المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا العربية

تصوير النفس في شعر المتنبي

إعداد الطالب

عبده حسين مبروك البركاتي

الرقم الجامعي ٤٢٣٨٠١٦٢

إشراف الأستاذ الدكتور

مصطفى عبد الواحد

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي الحبية وأبي الغالي

إلى زوجتي العزيزة

إلى فلذات قلبي أبنائي : مهند ، علي ، معتز

إلى إخوتي وأخواتي وأقاربي جميعاً

أهدي لهم جميعاً هذا الجهد سائلاً المولى أن يوفقنا لما يحب ويرضى

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد على واسع فضلك وجزيل عطائك

يسرني أن أتوجّه بجزيل الشكر وبالغ العرفان إلى والدي ومشرفي الأستاذ مصطفى عبد الواحد الذي عبّد لي طريق البحث الوعر وكانت توجيهاته الخبيرة معينة لي على السير قدماً في هذا العمل

والشكر موصول لأحد أكبر صروح العلم في مملكتي الحبيبة جامعة أم القرى ممثلة في قسم الدراسات العليا العربية ولرئيسها الفذ الدكتور صالح الزهراني ولكل أساتذتها الفضلاء الذين أحاطوني بالرعاية والتوجيه

ثم الشكر موصول لزملائي الأفاضل عبد العزيز محمد القرمطي وعبد العزيز علي البركاتي ومحمد عبد العزيز البركاتي على مساندتي في تسهيل بعض أعمال هذا البحث فلهم مني جميعاً صادق الدعاء

الباحث

ملخص الرسالة

اسم الباحث عبده حسين مبروك البركاتي

عنوان الدراسة : تصوير النفس في شعر المتنبي

الباب الأول : الجوانب الموضوعية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

وقد توزعت الدراسة على ثمانية فصول على النحو التالي

الفصل الأول جمعت أبيات المتنبي التي استخدم فيها لفظ النفس وتعرضت لها بالشرح الموجز

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن تصوير المتنبي لآماله وآلامه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه

الفصل الثالث وتحدثت فيه عن الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها وخاصة الشجاعة والكرم والوفاء

الفصل الرابع وفيه تحدثت عن الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في مديحه لسيف الدولة الحمداني

الفصل الخامس وتحدثت فيه عن الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاءه لكافور الأخشيدي وغيره

الفصل السادس تعرضت فيه لتصوير المتنبي لتقلب الطباع واختلاف العواطف

الفصل السابع تعرضت فيه لتصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة

الفصل الثامن وفيه تحدثت عن أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية

الباب الثاني : الجوانب الفنية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

وقد توزعت على ستة فصول

الفصل الأول جانب التقرير في حديث المتنبي عن النفس الإنسانية

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الثالث وتناولت فيه استخدامه للكناية والاستعارة في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الرابع وتناولت فيه استخدام المتنبي للمجاز بأنواعه في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الخامس وتعرضت فيه لطريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

الفصل السادس آراء النقاد والدارسين حول قدرة المتنبي على تصوير النفس الإنسانية

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأفصحهم لساناً وأكملهم بياناً ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد :

لقد عُرِف عن العرب شغفهم بالشعر واهتمامهم بالشعراء الذين كثروا حتى أربوا على العّد كما يقول ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء : " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف[1] "

وقد برز من هذه الكثرة عدد من الشعراء على مّر السنين ، فاقوا أقرانهم وشغل الناس بهم ولعل شاعراً عربياً لم يملأ الدنيا باسمه وشعره كما ملأها المتنبي ، فقد شغل الأدباء وعلماء العربية به منذ حياته إلى يومنا الحاضر فأكثروا من شروح شعره وكتابة الدراسات حوله ، ولقد شغف الناس بشعره لما حمل من حكم وخبرات ولما امتاز به من قوة جرس ورصانة ولما تمثل به شعره من خصال عربية كريمة من إباء وعزة وترفع ولما فيه من تفرد وعبقرية شعرية ولما رسم من صور للنفس الإنسانية في كل حالاتها ولقد قدح عندي شعلة التفكير بموضوع تصوير النفس الإنسانية عند المتنبي إطلاعي على كتاب حقيقة النقد الثقافي للأستاذ الدكتور مصطفى عبد الواحد والذي تصّدى فيه لمحاولات قذف الثقافة العربية والأدب العربي بوابل من التهم على رأسها : الزعم بأن كبار شعراء العربية مستبدون طغاة لا يقبلون الآخر وليس عندهم إلا المحق والإبادة والعدوان وثانيها : نسبة المآسي والنكبات التي حاقت بالأمة إلى شعر هؤلاء العباقرة الذين لم يكن منهم إلا تمجيد البغي والتزلف والنفاق وثالثها : أنّ كبار شعراء العربية مداحون مرتزقة يبيعون شعرهم دون النظر لعقيدة أو مبدأ أو نظرة للحياة ولّما وجدت الدكتور الغذامي صاحب كتاب النقد الثقافي يصف الشاعر الكبير المتنبي بأنه أقل الشعراء اهتماما بالإنساني وتحقيراً له ولما لم أجد تركيزاً من دراسي شعر المتنبي على النواحي الإنسانية العظيمة في شعره جهدت في أن استكمل هذا الجانب المهم ، فلقد وسم عند بعض النقاد بالذاتية وهذا عين الصواب ، فشعره صورة لنفسه وذاته بكل ما فيها من استعلاء وشموخ وطموح وعظمة وعدائية وألفة وحب بآمالها وآلامها في وضاعتها وعليائها وفي كل حالاتها الإنسانية المختلفة والأدب في اعتقادي ليس وعظاً وإرشاداً ، بل متعة تهدف إلى التأثير في الروح الإنسانية من حيث إصلاحها وتثقيفها وإمتاعها وما أجملها من صورة تلك التي تنقل نوازع النفس الإنسانية واتجاهاتها ، هذا النقل الصادق لخلجات الداخل المختلفة في كل حالاتها ، فالأديب المتفوق من وجهة نظري هو من تأثرت نفسه بالحياة

---

[1] الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبعة دار الحديث بالقاهرة ، ص٦٢.

ومظاهرها تأثراً خاصاً بنفسيته ، ثم جهد بأدبه أن ينقل هذا التأثير إلى الناس وجعلهم يشعرون بما يشعر وينفعلون بما ينفعل به ، والمتنبي في نظري كان يتفاعل بمشاعره مع الأحداث المختلفة التي عايشها في كل البيئات التي تنقل فيها فصور لنا بكاميرا خاصة به ما دار حوله و لم ينكفئ على ذاته إلا بقدر ما نقل لنا كل شيء حوله على ضوء ما اعتقد من المثل والقيم ، وقد رسم لنا نواحي إنسانية فيها إحاطة وشمول بكل ما يواجه الإنسان من الآلام والآمال والضعة والرفعة ، فرسم الطباع والعواطف في تقلباتها وسمت نفسه فاتخذ وسيلة الشعر تعبيراً عن ذلك السمو ووجدت شعره الذاتي يفيض بآلامه وآماله ورأيته مثالاً للنفس البشرية في حالاتها المختلفة متقلباً بين جوانبها فجوابنا عن سؤال : هل نجح المتنبي في التأثير على سامعيه وقُرّاء شعره ؟ وهل نقل إليهم مشاعره أم عجز عن ذلك ؟ أهم من نفي الذاتية عن المتنبي أو إثباتها ... نعم لقد كان شعر المتنبي فيضاً من نفس حساسة اعتملت فيها الأحداث وأثرت فيها التجارب فأظهرت ذلك تعبيراً إنسانياً عكس انفعالها بالأحداث وعلل لنا الأمور تعليلاً نرضاه ونسلم به ونراه صدى لما في نفوسنا وتصويراً لما اختلج في عواطفنا ومن هنا قلت إنّ المتنبي صور النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة وجهدت استطاعتي في قراءة شعر المتنبي وإبراز هذه الصور الإنسانية منه والتي لم تجد تركيزاً كبيراً ممن سبقوني لدراسة شعر المتنبي وركزت جهدي على فهم أشعاره وقلبّتُ النظر فيها بعمق متخذاً المنهج الفنّي التكاملي سبيلاً لبحثي حيث أفدت من جميع المناهج النفسية والتاريخية والذوقية فعايشت نصوصه الشعرية سابراً أغوارها آخذاً في الاعتبار المرويات التاريخية حول كل فكرة متذوقاً لأبيات المتنبي ومهتماً بلغته وأساليبه الفنية بعد وضعها في مكانها من تاريخ حياته ونفسه محاولاً قدر جهدي إزاحة القناع عن السبب والجانب المهم من شعر المتنبي الذي استحق به أن يكون شاعراً عظيماً وهو تصويره للنفس الإنسانية في جوانبها المختلفة من سمو وضعة وحب وعداء وتقلب لطباعها كما يرى الأستاذ عباس محمود العقاد حيث يقول عنه " لم يكن المتنبي ممن شغفوا بمحاسن الطبيعة وأسرارها ولكنه كان ممن يقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمعة فيحصون عليها هزائمها وانتصاراتها ويكتبون لها حسناتها وسيئاتها وكان الرجل أشبه رجال القول برجال العمل في الخلق والمزاج ، فأقبل على الجهاد في عصره عاملاً كما أقبل عليه مترقباً دارساً فأعانه ذلك على تقييد ضوابطه وتعليق شوارده وأخرج لنا من شعره معرضاً واعياً لكل ما يعتلج بالنفس المجاهدة وعيبة حاوية الأشكال من الحكم العربية والقواعد المقررة المشاهدة [1] "

---

[1] مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، طبعة دار المعارف ، ص١٤٢ .

ثم جهدت مستفيداً من توجيهات مشرفي الدكتور مصطفى عبد الواحد حفظه الله نحو ما يجب عليّ قراءته من المراجع وإلى الأسلوب الأمثل في مثل هذه الأبحاث وإلى طرق توزيع أبواب وفصول البحث وقد عدت خلال ذلك إلى شروح الديوان فوجدت شرح البرقوقي أكمل الشروح ففيه إشارات إلى كل الشَّروح وطبعته أحسن الطبعات وأشملها ولذا رأيت أن أعتمد عليه في فهم شعر المتنبي مع عدم إغفالي النظر إلى جملة شروح الديوان حتى أحيط فهماً بكلام الشاعر ولقد وجدت الشراح يتفاوتون في فهم وتأويل أشعار المتنبي فكان ذلك معيناً لي على تكامل الصورة حول المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

و لم أقدم شيئاً عن سيرة المتنبي لأني وجدتها أشبعت بالبحث والدراسة .

الدراسات السابقة

قد وجدت بعض الدراسات السابقة التي طرقت بعض جوانب هذا الموضوع على النحو التالي :

الدراسة الأولى بعنوان : المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس ":

وهي بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود تحت عنوان " المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس " للدكتورة نورة الشملان ، وقد أطلعت على نسخة دار مصر للطباعة والتي استبعدت منها المؤلفة ما يتعلق بالموازنات وهذا ملخص هذا البحث :

توزع البحث على أربعة فصول سبقت بتمهيد عن نشأة المتنبي وحياته .

الفصل الأول : عن شخصية المتنبي

وقد خرجت الباحثة بتصور لشخصية مبعثه ديوانه فهو أصدق تعبير ـــ كما ترى الباحثة ـــ عن حياته وأحسن تصوير لنفسيته ثم تناولت أشهر ما قيل عن شخصيته فكانت ملامحها عندها :

١. الإحساس بالعظمة ٢. الطموح ٣. التشاؤم ٤. الإيمان بالقوة

وقد رجحت الباحثة القول بإصابة المتنبي بداء العظمة مستفيدة من علم النفس في هذا الاتجاه .

الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في شعره وقد عدت العوامل التالية :

- بيئته المملوءة بالفتن .
- تضخم الشعور بالذات لديه
- اضطراره للتكسب لدى الأمراء والكبراء
- ثقافته الواسعة

الفصل الثالث : أغراضه الشعرية

الشعر الحربي ــ الحكمة ــ المدح ــ الهجاء ــ الشكوى ــ الرثاء ــ الغزل ــ العتاب والاستعطاف والاعتذار ــ الشعر السياسي ــ الوصف .

الفصل الرابع : خصائصه الفنية

الأسلوب ــ المعاني ــ العاطفة

أثر سيف الدولة في الخصائص الفنية للمتنبي .

الدراسة الثانية : دراسة بعنوان " لغة الحب في شعر المتنبي "

وهو كتاب للدكتور عبد الفتاح صالح نافع صادر عن دار الفكر للنشر والتوزيع بعمان وقد جاءت نتائجها كالتالي :

توزعت الدراسة على أربعة أبواب واشتمل كل باب منها على عدة فصول وقد خرجت بالنتائج التالية :

١. إنّ فن المتنبي الشاعر العظيم كان صورة صادقة لحياته ونفسيته وأن شخصيته القوية الجبارة بتساميها وطموحها كانت ذات أثر كبير في توجيه فنّه في مسار خاص وطبعه بطابع من الأصالة والاستقلال .
٢. إنّ الظروف التي أحاطت بالمتنبي إلى جانب ما طبعت عليه نفسه من رفعة وسمو وتطلع للمثل جعلته يستقل بمذهب خاص في الحب يقيم عليه كثيراً من جوانب شعره ، وإن آثار هذا المذهب وبصماته تسربت إلى لغة الشاعر فمنحتها صفة خاصة ذات دلالة نفسية ، فلم تعد اللغة في شعره مجرد ألفاظ وتراكيب لا تعني سوى دلالاتها المباشرة ، وإنّما اصطبغت بصبغة إيحائية استمدها الشاعر من حياته وتجاربه ونفسيته ولونها بكل هذه معاً فجاءت لغته فيضاً من الأحاسيس والمشاعر وتعبيراً صادقاً لما يحس به ويشعر نحو الوجود والناس والأفراد .
٣. إن تطلع المتنبي للمثال أصبح لديه مبدأ يغذي فنه ونفسه معاً ويمده بطاقة هائلة من التصور والتعبير ويحدد رؤيته للوجود والناس والأفراد ويرسم له إطار علاقاته مع الآخرين .

٤. إنّ لغة المتنبي في الحب تسربت إلى مراثيه ، فعبّرت بصدق عن وفائه وعن شعوره الحزين نحو من يرثيهم وعن مواساته الصادقة لأولئك الأحياء الذين فقدوا أحبتهم . وقلنا إنّ المتنبي خرج بالرثاء عن نطاقه الرسمي القائم على المجاملات ليدخل في صلب التجربة الإنسانية العميقة فيصور فلسفته في الحياة والفناء وينقل لنا تأملاته بصدق ويجعلنا نعيش معه لحظات حزنه الحي بما يبعثه من تأثير ويولده من تجاوب .

٥. تتبع الباحث أبعاد لغة الحب في شعر المتنبي القومي ، فوجدها في غيرته القومية وفي حبه لقومه وعروبته ولمسها في تغنيه الدائم بقيم العروبة ومثلها وفي حنينه الجارف لمواطن ذكرياته في دمشق وحلب حين كان يعيش في بلاد الغربة ويمدح ملوكاً لا صلة لهم بالعروبة كما خلص إلى أن ثورته وسخطه على بني قومه وهجائه لأهل عصره وجيل زمنه لم يكونا في الحقيقة سوى إشفاق زائد على هؤلاء القوم الذين ارتضوا بواقعهم المؤلم وقبلوا بسادة من العبيد يتحكمون في مصائرهم دون أن يحركوا ساكناً أو يحاولوا شيئاً لتغيير هذا الواقع أو السمو به

٦. إنّ علاقة الشاعر بالمرأة إنما هي علاقة سطحية ، وأن هناك من الأمور الأخرى ما كان يشغل باله ويملأ عليه نفسه فلا يترك للمرأة مكاناً في قلبه ويقول إن إجادة الشاعر في الغزل تكمن في مقدرته الفنية العظيمة وخياله الخلاق . وقوة ذاكرته التي استطاعت أن تستوعب ما في القديم من صور وأساليب استخدمها الشعراء في تغزلهم ، ثم في تطويعه اللغة لتعبر عما يجول في فكره نحو المرأة .

٧. تحدث الباحث في الفصل الثاني عن عشق المتنبي للممدوح ، فعرض لكثرة المدح في شعره ورأى أن هذه الظاهرة لا تعيبه ، فمدائحه كانت تمجيداً للمبادئ والأفكار ـــ التي آمن بها ـــ أكثر منها تمجيداً للأشخاص الذين يمدحهم وهو يصور فيها ذاتيته ونزعات نفسه ورغباته التي كان يسعى إليها أكثر مما يصور أهواء ممدوحيه من الملوك والأمراء والقادة .

وقد اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسة الثانية في الآتي :

١. إن فنّ المتنبي كان صورة صادقة لحياته ونفسيته .

٢. إنّ الحب الذي يضني الروح ويدله العقل ويضرم السعير في الجوف لم يدخل قلب المتنبي .

مع اختلاف طرق الاستنباط وشواهده وكذا اختلاف طريقة التحليل والمعالجة للشواهد

وتختلف الدراسة الحالية عن هاتين الدراستين في الآتي :

١. أنها تركزت فقط على شعر المتنبي الذي صوّر فيه النفس الإنسانية بينما شملت الدراسة الأولى جملة أغراض شعر المتنبي المختلفة وناقشت الدراسة الثانية شعر الحب عند المتنبي فقط .

٢. تختلف هذه الدراسة مع الدراسة الأولى في أسباب تميز ونجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية وبيّن ذلك في جملة النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة .

٣. اختلف المنهج المتبع في دراستي عن الدراستين حيث اتخذت الدراسة الأولى منهج المقارنة والموازنة وذكر صاحب الدراسة الثانية أنه اتبع منهجاً يقوم على ربط الشعر بالتجربة ودراسة الشعر من خلال تجربة الفنان وموقفه النفسي بينما اتخذت المنهج التكاملي منهجاً لدراسة وتحليل شعر النفس الإنسانية عند المتنبي .

خطة البحث

وقد اقتضت خطة البحث تقسيمه إلى بابين تحت كل منهما عدة فصول تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع وقائمة للأشعار الواردة في البحث وقائمة بالموضوعات التفصيلية للبحث .

الباب الأول : **الجوانب الموضوعية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية**

وقد توزعت الدراسة على ثمانية فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : جمعت أبيات المتنبي التي استخدم فيها لفظ النفس وتعرضت لها بالشرح الموجز

الفصل الثاني : وفيه تحدثت عن تصوير المتنبي لآماله وآلامه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه .

الفصل الثالث : وتحدثت فيه عن الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها وخاصة الشجاعة والكرم والوفاء .

الفصل الرابع : وفيه تحدثت عن الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في مديحه لسيف الدولة الحمداني .

الفصل الخامس : وتحدثت فيه عن الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاءه لكافور الأخشيدي وغيره .

الفصل السادس: تعرضت فيه لتصوير المتنبي لتقلب الطباع واختلاف العواطف .

الفصل السابع: تعرضت فيه لتصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة .

الفصل الثامن : وفيه تحدثت عن أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية

الباب الثاني : **الجوانب الفنية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية**

وقد توزعت على ستة فصول :

الفصل الأول : جانب التقرير في حديث المتنبي عن النفس الإنسانية .

الفصل الثاني : وفيه تحدثت عن التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية .

الفصل الثالث : وتناولت فيه استخدامه للكناية في حديثه عن النفس الإنسانية .

الفصل الرابع : وتناولت فيه استخدامه الاستعارة في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الرابع : وتناولت فيه استخدام المتنبي للمجاز بأنواعه في حديثه عن النفس الإنسانية .

الفصل الخامس : وتعرضت فيه لطريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء .

الفصل السادس : آراء النقاد والدارسين حول قدرة المتنبي على تصوير النفس الإنسانية .

الباحث

الباب الأول

الجوانب الموضوعية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

ويشتمل على ثمانية فصول

الفصل الأول جمعت أبيات المتنبي التي استخدم فيها لفظ النفس وتعرضت لها بالشرح الموجز

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن تصوير المتنبي لآماله وآلامه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه

الفصل الثالث وتحدثت فيه عن الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها وخاصة الشجاعة والكرم والوفاء

الفصل الرابع وفيه تحدثت عن الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في مديحه لسيف الدولة الحمداني

الفصل الخامس وتحدثت فيه عن الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاءه لكافور الأخشيدي وغيره

الفصل السادس تعرضت فيه لتصوير المتنبي لتقلب الطباع واختلاف العواطف

الفصل السابع تعرضت فيه لتصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة .

الفصل الثامن : وفيه تحدثت عن أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية

الفصل الأول

ترديد المتنبي للفظ
" النفس " في شعره

الفصل الأول : ترديد المتنبي للفظ " النفس " في شعره

من خلال قراءتي لشعر المتنبي وجدته مولعاً باستخدام لفظ النفس ، فقد أورده في مدائحه وأهاجيه وفي فخره أيضاً وقد جاء به على صيغة المفرد والجمع وقد قصد به خطاب ممدوحيه وعنى به نفسه ، وسأعرض أمثلة لكل ذلك في هذا الفصل متعرضاً بشيء من الشرح للأبيات تاركاً ما جاء منها على صورة التقرير إلى الفصل الخاص بذلك في الباب الثاني .

أولاً : ما قصد به ممدوحيه ومن هجاهم

قال من الطويل :

فَتًى عَلّمَتْهُ نَفْسُهُ وجُدودُهُ قِراعَ العَوالي وابتِذالَ الرّغائبِ [1]

والبيت قاله يمدح أبا القاسم طاهر العلوي والمعنى أنّ شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان وأضاف إلى ذلك أنّ نفسه علمته هاتين الخصلتين أيضاً .

وقال من الطويل :

فَرُبّ غُلامٍ عَلّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ كتعليمِ سيفِ الدّوْلة الطّعنَ والضرْبَا [2]

والمعنى رب إنسان علم نفسه المجد من غير أن يعلمه أحد لأنّ طبعه فيه ذلك فهو ينظر في أفعال المجد ويحمل نفسه عليها .

وقال من الطويل :

إذا عُرِضَتْ حَاجٌ إلَيْهِ فَنَفْسُهُ إلى نَفْسِهِ فِيها شَفيعٌ مُشَفَّعُ [3]

والبيت في مدح علي بن احمد الطائي والمعنى أنّ طلاب الحاجات لا يحتاجون إلى شفعاء عند الممدوح فهو شفيع إلى نفسه مقبول الشفاعة لأنّ فيه من الكرم ما يغني عن الوسائل .

وقال من الوافر :

أخِفْتِ اللهَ في إحْيَاءِ نَفْسٍ متى عُصِيَ الإل؟هُ بأنْ أُطِيعَا [4]

يقول : إنّ وصالك إحياء لنفسي التي ستموت بدونه ويخبر أنّ معصية الله في قتل النفس لا في إحياءها فهو طاعة لله .

---

[1] الديوان ج١ / ٢٧٩ وشرح البيت من ديوان أبي الطيب لأبي العلاء المعري تحقيق د. عبد المجيد دياب ، ط دار المعارف ج٢ /٤٣٧

[2] الديوان ج١ ص١٨٦ وشرح البيت بحاشية شرح المعري ج٣/٢٣٢

[3] الديوان ج٢ ص٣٥١ وشرح البيت بحاشية ص٣٥٢

[4] الديوان ج٢ ص٣٦٠ وشرح البيت بحاشية الصفحة

وقال من الطويل :

عَلى مَهَلٍ إنْ كنتَ لَستَ براحِمٍ لنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فإنّكَ تُرْحَمُ [1]

والبيت في مدح عمر بن سليمان الشرابي فيقول له ارفق بنفسك فإنّك إن لم ترحمها من بذلك إياها في الحرب فإنّ الناس يرحمونك .

وقال من الوافر :

وَآمَنّا فِداءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَلَوْ كانَتْ لَمْلَكَةٍ مِلاكَا [2]

وهو يمتدح عضد الدولة وقيل أنها آخر قصيدة والمعنى قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين وملوكهم المترفين فهم عند إضافتهم إليك كالعوام لا يحصل بهم نفع .

وقال من الوافر :

كأنّ المَوْتَ لم يَفْجَعْ بنَفْسٍ و لم يَخْطُرْ لَمخلُوقٍ ببالِ [3]

والبيت في رثاء والدة سيف الدولة وهو يستعظم موت هذه المرأة حتى كأنّ النّاس لم يروا موتاً و لم يخطر على قلب أحد منهم قبلها وهكذا موت العظماء .

وقال من الطويل :

شَريكُ المَنَايَا وَالنّفُوسُ غَنيمَةٌ فَكُلُّ مَمَاتٍ لم يُمِتْهُ غُلُولُ [4]

والبيت في مدح سيف الدولة يقول بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خانته المنايا فيها يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه .

وقال من الطويل :

لِمَنْ هَوّنَ الدّنْيا على النّفسِ ساعَةً وَللبِيضِ في هامِ الكُماةِ صَليلُ [5]

وهو في سيف الدولة والمعنى أنّ الدولة تدول لمن وطّن نفسه على القتل و لم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد في رؤوس الشجعان .

---

[1] الديوان ج٤ ص٢١٣ وشرحه بحاشية الصفحة

[2] الديوان ج٣ ص١٢٤ وشرحه بحاشية صفحتي ١٢٤ ــ١٢٥

[3] الديوان ج٣ ص١٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

[4] الديوان ج٣ ص٢٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

[5] الديوان ج٣ ص٢٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الخفيف :

وَلَقَدْ رُمْتَ بالسّعادَةِ بَعْضاً　　　من نُفُوسِ العِدى فأدركتَ كُلاّ [1]

وهي من قصيدة يُعزّي فيها سيف الدولة بوفاة أخته الصغرى فيقول : طلبت بعض أعداءك فأدركت الكل بما أعطيت من السعد في الظفر بالأعداء .

وقال من الطويل :

ووَيْلٌ لنَفسٍ حاوَلَتْ منْكَ غرّةً　　　وَطُوبَى لعَينٍ سَاعَةً منكَ لا تخلو [2]

والبيت في شجاع بن محمد الطائي والمعنى ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إبصارك والويل كلمة عذاب وطوبى فعلى من الطيب أي العيش الطيب لها .

وقال من الوافر :

وأشرَفُ فاخِرٍ نَفْساً وقَوْماً　　　وأكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمّاً وخالا [3]

وهو في بدر بن عمّار فيقول : وهو شريف حسيب إذا انتسب من جهة نفسه وآباءه وحتى من جهة أمه فهو شريف أيضاً .

وقال من الوافر :

لَقَد أمِنَتْ بكَ الإعدامَ نَفْسٌ　　　تَعُدّ رَجاءَها إيّاكَ مَالا [4]

والبيت في بدر بن عمّار والمعنى كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالاً لها تأمن الفقر لأنك تبلّغها آمالها .

وقال من البسيط :

في الجاهِلِيّةِ إلاّ أنّ أنْفُسَهُمْ　　　من طيبِهِنّ به في الأشْهُرِ الحُرُمِ [5]

والمعنى لتمّرنهم على الحرب هم في مثل أحوال الجاهلية إلا أنّ أنفسهم غير خائفة لشجاعتهم وثقة بنصرهم فكأنهم في الأشهر الحرم .

ويقول من الطويل :

وَإنّ نُفُوساً أمّمَتْكَ مَنيعَةٌ　　　وَإنّ دِمَاءً أمّلَتْكَ حَرَامُ [6]

والمعنى من قصدك راجياً صار منيعاً وحرمت إراقة دمه وهو في سيف الدولة .

---

[1] الديوان ج٣ ص٢٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ ص٣٠٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص٣٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ / ٢٨٨ وشرحه بحاشية الصفحة
[5] الديوان ج٣ ص٣٤٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٤ ص١١١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من البسيط :

نَفَتْ رُقادَ عَليٍّ عَنْ مَحاجِرِهِ ... نَفْسٌ يُفَرّحُ نَفساً غَيرَها الحُلُمُ [1]

البيت في سيف الدولة والمعنى نفى رقاده عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو .

وقال من الطويل :

تَحَرّجَ عن حَقْنِ الدّماءِ كأنّهُ ... يرَى قتل نفس ترْكَ رَأسٍ على جسْمِ [2]

والبيت في الحسين بن إسحاق التنوخي والمعنى أنه يرى ترك رأس عدو من أعداءه على جسمه كقتل نفس لا يحل له قتلها .

وقال من الخفيف :

تُشرِقُ أعْرَاضُهُمْ وأوْجُهُهُمْ ... كأنّها في نُفوسِهِمْ شِيَمُ [3]

والبيت في مدح علي بن إبراهيم التنوخي والمعنى كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم يصفهم بنقاء الأعراض والوجوه والشيم .

وقال من الخفيف :

دانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا ... وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلّ دُنْيَاهَا [4]

والبيت في مدح عضد الدولة والمعنى أطاعه أهل الشرق والغرب ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا

وقال في عضد الدولة من الخفيف :

لَوْ كَفَرَ العالَمُونَ نِعْمَتَهُ ... لَمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا [5]

والمعنى لو أنّ إنعامه قوبل بالكفران و لم يُشكر لم يترك الإحسان لأن نفسه جبلت على السجايا الكريمة

وقال من الطويل :

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ ... فِدَى ابنِ أخي نَسلي وَنَفسي وَمالِيَا

مَدًى بَلّغَ الأستاذَ أقصَاهُ رَبُّهُ ... وَنَفْسٌ لَهُ لم تَرْضَ إلاّ التّنَــــــاهِيَا

---

[1] الديوان ج٤ ص١٤١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص١٧٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص ١٨٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص٤١٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٤١٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

دَعَتْهُ فَلَبّاهَا إلى المَجْدِ وَالعُلَى   وَقد خالَفَ النّاسُ النّفوسَ الدّوَاعيَا [1]

والأبيات في مدح كافور وسام هو سام بن نوح ويقال هو أبو البيض وأنّ السود من ولد أخيه حام والمعنى لو رآك لفضّلك على أبناءه البيض لنجابتك ولجعل نفسه فداء لك ، والأستاذ أي الرئيس والمعنى أن ما ذكرته من مناقبه مدى بلغهُ الله غايته ولكن نفسه تأبى أن تقف إلى حد معين ثم يمدحه بأن نفسه عظيمة لمّا دعاها إلى المجد أجابته بعكس غيره من الناس فهم عاجزون عن ذلك لأنهم ليس لهم في الجود والشرف والشجاعة والأخلاق الحميدة .

وقال من الكامل :

ودَعَوْهُ من فَرْطِ السّخاءِ مُبَذّراً   ودَعَوْهُ من غصْبِ النّفوسِ الغاصِبَا [2]

والبيت في مدح علي بن منصور الحاجب يمدحه بسعة العطاء والشجاعة .

وقال من الطويل :

ذَرِ النّفْسَ تأخذْ وُسعَها قبلَ بَينِها   فمُفْتَرِقٌ جارانِ دارُهُما العُمْرُ [3]

والبيت من قصيدة مدح لعلي بن أحمد بن عامر الأنطاكي والمعنى دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه فإنها غير باقية مع الجسد .

وقال من الكامل :

مُتَشابِهُو وَرَعِ النّفُوسِ كَبيرُهم   وصَغيرُهمْ عَفُّ الإزارِ حُلاحِلُ [4]

والبيت في مدح القاضي أبي الفضل أحمد الأنطاكي وهو يمدح قومه بأن كبيرهم وصغيرهم سواء في العفة وأن لهم جميعاً سيادة وريادة عظيمة .

وقال من الطويل :

إذا عايَنَتْكَ الرُّسْلُ هانَتْ نُفُوسُها   عَلَيْها وَما جاءَتْ بهِ وَالمُرَاسِلُ [5]

وهو في مدح سيف الدولة فإذا رأته رسل الروم وما هو عليه من المهابة تصاغرت عندهم أنفسهم وما أتوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم لفخامة قدره .

وقال لسيف الدولة من الطويل :

إذا العَرَبُ العَرْباءُ رَازَتْ نُفُوسَها   فأنْتَ فَتَاهَا وَالمَليكُ الحُلاحِلُ [6]

---

[1] الديوان ج٤ ص٤٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج١ ص٢٥٦
[3] الديوان ج٢ / ٢٥٣ وشرح البيت بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ ص٣٧٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٣ ص٢٣٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٣ ص٢٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

والعرب العرباء : القديمة الخالصة التي لم تشبها هجنة والحلاحل : السيد والمعنى إذا اختبروا أنفسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك سيدهم وأجودهم وأشجعهم .

وقال من البسيط :

وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ   بِمَا يَهَبْنَ وَلا يَسخُونَ بالسَّلَبِ (١)

والبيت في رثاء أخت سيف الدولة والمعنى إنما تحزن لأن الدهر سلبك أختك وأنت من قوم أهل عزة وأنفة يجودون بما يعطون عن طيب نفس ولا يجودون بما يؤخذ منهم قهراً .

وقال من البسيط :

كأنّ نَفْسَكَ لا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا   إلاّ وَأَنْتَ على الِمفضَالِ مِفضَالُ (٢)

والبيت في مدح فاتك الأسدي والمعنى لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة كأن نفسك لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضال وتربى عليهم .

وقال من الوافي :

أطابَ النّفسَ أنّكِ مُتِّ مَوْتاً   تَمَنّتْهُ البَوَاقي والخَوَالي (٣)

وهو في رثاء والدة سيف الدولة والمعنى مت في العز والعفاف وهذا يتمناه من بقي من النساء ومن مضى منهن فأنت فزت بخيري الدنيا والآخرة .

وقال من الطويل :

وَلكنْ تَفُوقُ النّاسَ رَأياً وَحِكمةً   كما فُقتَهمْ حالاً وَنَفساً وَمَحْتِدَا (٤)

وهو في مدح سيف الدولة والمحتد : الأصل والمعنى أنت أعرف بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان لأنك فقتهم في الرأي والحكمة ، كما فقتهم بالحال فأنت أمير وبالنفس فأنت أعلاهم همة وبالأصل فأنت شريف الأصل .

وقال من الطويل :

أُرِيكَ الرّضَى لوْ أخفَتِ النفسُ خافِيا   وَمَا أنَا عنْ نَفسي وَلا عنكَ رَاضِيَا (٥)

وهو في هجاء كافور والمعنى لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك الرضا ولكني لست راضٍ عن نفسي في قصدي إليك ولا عنك لتقصيرك في حقي .

وقال من البسيط :

---

١ الديوان ج١ ص٢٢٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج٣ ص٤٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج٣ ص١٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج٢ ص١١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج٤ ص٤٣٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

حتى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ   تَلقَى النّفُوسَ بفَضْلٍ غيرِ مَحْجوبِ (1)

والبيت في مدح كافور والمعنى : تحجب الملوك عدم ابتذالهم أنفسهم للناس لكن نوال كافور قريب للجميع .

وقال من الطويل :

لَقِيتَ القَنَا عَنْهُ بنَفْسٍ كريمَةٍ   إلى الموْتِ في الهَيجا من العارِ تَهرُبُ (2)

والبيت في مدح كافور يقول ذدت الرماح بنفسك عن علي بن الإخشيد فكنت من شجاعتك تهرب في الحرب من العار إلى الموت .

وقال من الطويل :

وَيَا آخِذاً من دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ   وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهابُ (3)

البيت في كافور والمعنى لا تنقص الأيام شيئاً من حقك لمنعتك .

وقال من الطويل :

فعِشْ لوْ فدى المَملوكُ رَبّاً بنفسِهِ   من الموْتِ لم تُفقَدْ وفي الأرض مُسلمُ (4)

البيت في مدح عمر بن سليمان الشرابي يقول إن المسلمين جميعاً مملوكون لك فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكه لم تمت مادام في الأرض مسلم لأنهم يفدونك بأنفسهم .

وقال من الكامل :

لا خَلْقَ أسمَحُ منكَ إلاّ عارِفٌ   بك راءَ نَفسَكَ لم يقلْ لك هاتِهَا (5)

والبيت في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران والمعنى لا أحد أكرم منك إلا من عرف مدى كرمك فلم يسألك أن تهبه نفسك إذ لو سألك لجدت بها فكان تركها لك جوداً عليك بها .

وقال من الكامل :

وبَذَلْتَ ما عَشِقَتْهُ نَفسُك كلّه   حتى بذَلْتَ لهَذِهِ صِحّاتِهَا (6)

وهو في مدح أحمد بن عمران والمعنى : الضمير في لهذه أي للحمى أي أنك بذلت كل ما أحبته نفسك حتى بذلت للحمى صحتك يريد أنه جواد يجود بكل شيء يحبه .

وقال من الكامل :

---

1 الديوان ج1 ص299 وشرحه بحاشية الصفحة .
2 الديوان ج1 ص309 وشرحه بحاشية الصفحة .
3 الديوان ج1 ص323 وشرحه بحاشية الصفحة .
4 الديوان ج4 ص214 وشرحه بحاشية الصفحة .
5 الديوان ج1 ص354 وشرحه بحاشية الصفحة .
6 الديوان ج1 ص357 وشرحه بحاشية الصفحة .

وارفق بنفسك إنّ خلقك ناقص واستر أباك فإنّ أصلك مظلم (1)

وهذا البيت في هجاء ابن كيغلغ والمعنى لا تتحرش بالشعراء كي لا يذكروا عيوبك لأنه أعور وقصير ووصم أصله بالدناءة واللؤم .

وقال من الخفيف :

أنْتِ مِنّا فَتَنْتِ نَفسَكِ لَكِنّـــ ـــكِ عُوفيتِ مِنْ ضَنًى واشتياقِ (2)

والخطاب للمحبوبة يقول أنتِ في معشر عشاقك إلا أنّك عوفيت من الضنى والاشتياق لأنّك واصلت محبوبك وهو نفسك وفتنت نفسك أي بالحب وهو حب نفسها .

قال من البسيط :

أجْرِ الجِيادَ على ما كنتَ مُجرِيَها وخُذْ بنَفْسِكَ في أخْلاقِكَ الأُولِ (3)

والبيت في سيف الدولة والمعنى عاود القتال ودع السلم وكان سيف الدولة ترك الحرب مدة وقد قصد المتنبي حرب الروم وحماية الثغور .

وقال من الطويل :

ومَنْ كانَ ذا نَفسٍ كنَفسِكَ حرّةٍ فَفيهِ لها مُغْنٍ وفيها لَهُ مُسلِ (4)

وهو من قصيدة رثاء أبي الهيجا عبد الله بن سيف الدولة والمعنى : من كانت نفسه حرة كنفسك أغنته عن تعزية غيره وأسلته عن مصيبته لأنه يعرف أنّ الدهر لا يخلو من الحوادث .

وقال من البسيط :

ألزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيسَ يَلزَمُها أنْ لا يُوارِيَهُمْ أرْضٌ وَلا عَلَمُ (5)

والبيت في سيف الدولة والمعنى : ألزمت نفسك أن تتبع الروم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض وهذا لا يلزمك لأنك هزمتهم و لم تكتفِ بما اكتفى به غيرك في الظهور عليهم .

وقال من الكامل :

قالَتْ فَلا كَذَبَتْ شَجاعَتُهُ أقْدِمْ فنَفْسُكَ مَا لَهَا أجَلُ (6)

والبيت في مدح عضد الدولة والمعنى : هو يقتحم الأهوال غير مبال حتى كأنّ شجاعته قالت له أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس ثم دعا له بالبقاء فقال : لا كانت شجاعته كاذبة .

---

[1] الديوان ج٤ ص٢٥٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ / ١٠١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص١٦٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ ص١٧٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٨٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٤ ص٢٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من البسيط :

قالتْ عنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْساً فقلتُ لها — لا يَصْدُرُ الحُرُّإلاّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ (١)

وهو من أبيات صبى المتنبي والمعنى دع الرفد والعطاء ولا تطلبهما فقال إنّ الحر إذا قصد أمراً لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه والضمير في قالت للعاذلة .

وقال من البسيط :

نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفسَ الدّهرِ من كِبَرٍ — لَهَا نُهَى كَهْلِهِ في سِنّ أمْرَدِهِ (٢)

وهو من أبيات صباه والمعنى إن نفس الممدوح في عظمها وكبرها تصغر نفس الدهر الذي هو مجمع الخير والشر .

وقال من البسيط :

ما يَقبضُ المَوْتُ نَفساً من نفوسِهِمُ — إلاّ وَفي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ (٣)

وهو في هجاء كافور والمعنى إن أرواحهم قذرة فإذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

وقال من السريع :

وَإنْ عَرَاكَ الشّكُّ في نَفْسِهِ — بحَالِهِ فانْظُرْ إلى جِنْسِهِ (٤)

وهو في هجاء كافور والمعنى : إذا شككت في نفسه و لم تعرفه فقسه بغيره من العبيد فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم .

وقال من الخفيف :

وَأرَادَتْهُ أنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيــ — ــرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَينَ الْمُرَادِ (٥)

وهو في مدح كافور والمعنى : بعض النفوس أرادت الشر ولكن حسن تدبيرك حال بينها وبين ذلك .

وقال من الطويل :

---

١ الديوان ج٢ ص١٨٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج٢ ص١٨٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج٢ ص١٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج٢ ص٣١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج٢ /١٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وَدَى ما جَنى قَبلَ المَبيتِ بنَفْسِهِ   وَ لم يَدِهِ بالجَامِلِ العَكَنَانِ [1]

وهي في شبيب العقيلي حيث خرج على كافور فقتله والمعنى أنه بهلاكه اقتص منه فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم و لم تكن الدية من الإبل .

وقال من المتقارب :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ   رَأى غَيرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى [2]

وهو في هجاء كافور والمعنى : من لم يعرف قدر نفسه غروراً وإعجاباً خفيت عليه عيوبه فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستقبحوا منه ما استحسن .

وقال من الطويل :

وَلَوْ لم تَسِرْ سِرْنَا إلَيكَ بأنْفُسٍ   غَرَائِبَ يُؤثِرْنَ الجِيادَ على الأهلِ [3]

وهو في مدح دلير بن لشكروز والمعنى : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس ومن غرابتها أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد .

وقال من الطويل :

وَرَيّانُ لا تَصْدَى إلى الخمرِ نَفْسُهُ   وَصَدْيانُ لا تَرْوَي يَداهُ من البَذلِ [4]

وهو في مدح دلير بن لشكروز والمعنى : أنه لا يشرب الخمر فكأنه مرتو منها لا يعطش إليها ولا يفتر عن البذل فكأنه عطشان لا يروى منه .

وقال من الطويل :

وَفي كُلِّ نَفْسٍ ما خَلاهُ مَلالَةٌ   وَفي كُلِّ سَيفٍ ما خَلاهُ فُلُولُ [5]

وهو في مدح سيف الدولة والمعنى : كل نفس من نفوس جيشه دخلها الملل ما عداه وكل سيف قد ثلمه الضرب أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال .

وقال من المتقارب :

أحَبُّ امرِىءٍ حَبّتِ الأنْفُسُ   وأطْيَبُ مَا شَمّهُ مَعْطِسُ [6]

وهو في ابن العميد والمعنى : أنت أحب امرئ حبته النفوس وهذا الند أطيب رائحة شمتها الأنوف .

---

[1] الديوان ج٤ ص٣٧٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج١ ص١٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص١٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص١٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٣ ص٢٢٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٢ ص٣١٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الوافر :

وَتَمْلِكُ أنْفُسَ الثّقَلَينِ طُرّاً فكَيفَ تَحُوزُ أنفُسَها كِلابُ [1]

وهو في مدح سيف الدولة والمعنى : أنك تملك أنفس الإنس والجن جميعاً فكيف لقبيلة بني كلاب ملك أنفسهم .

وقال من الطويل :

وَمَنْ لم تُعَلّمْهُ لكَ الذّلَّ نَفْسُهُ منَ النّاسِ طُرّاً عَلّمَتْهُ المَناصِلُ [2]

وهو في مدح سيف الدولة والمعنى : من لم يخضع لك طوعاً ورغبةً خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال من الطويل :

ألا لَيسَتِ الحاجاتُ إلاّ نُفُوسَكمْ وَلَيسَ لَنا إلاّ السّيوفَ وَسائِلُ [3]

يقول لملوك عصره : لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا .

وقال من الطويل :

وَتَنْسُبُ أفعالُ السّيُوفِ نُفُوسَهَا إلَيْهِ وَيَنْسُبنَ السّيُوفَ إلى الهِنْدِ [4]

وهو في مدح ابن العميد والمعنى : السيوف تنسب فعلها العظيم إلى كفه وهي منسوبة إلى الهند فالضربة دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف .

وقال من الخفيف :

ونُفُوسٌ إذا انْبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الإقْدامُ [5]

وهو في مدح علي من أحمد المري الخراساني والمعنى هم يعلّمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باق فالذكر الحسن عمر تالٍ للإنسان .

وقال من الكامل :

تِلْكَ النّفُوسُ الغالِباتُ على العُلى والمَجْدُ يَغْلِبُها على شَهَواتِهَا [6]

---

[1] الديوان ج١ ص٢٠٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ / ١٤١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص٢٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٢ ص١٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٢٢٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج١ ص٣٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

والبيت في مدح أحمد بن عمران والمعنى : هم يغلبون الناس على العلى فيحوزونها دونهم والمجد يغلبهم على شهواتهم فلا يمكنهم منها خشية العيب والنقص .

وقال من الطويل :

أَبَتْ لكَ ذَمّي نَخْوَةٌ يَمَنِيّةٌ ... ونَفسٌ بها في مأزِقٍ أبَداً تَرْمي [1]

وهو في مدح الحسين بن إسحاق التنوخي والمعنى : ترفعك عن النقائص ونفسك التي ترمي بها في مآزق الحرب يأبيان ذمي لك .

وقال من البسيط :

تَجْرِي النّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً ... مِنهَا عُداةٌ وَأغْنَامٌ وَآبَالُ [2]

والبيت في مدح فاتك الكبير الملقب بالمجنون وأراد بالنفوس هنا الدماء والمعنى تجري الدماء حوله مختلطة دماء أعداءه بدماء الذبائح للأضياف من إبل وغنم .

وقال من الطويل :

تَحَاسَدَتِ البُلْدانُ حتى لوَ ؟نّها ... نُفُوسٌ لَسارَ الشّرْقُ والغرْبُ نحوَكا [3]

وهو في مدح بدر بن عمار والمعنى إنّ البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك فلو أن لها نفوساً تعقل لسعى إليك الشرق والغرب تمالكاً عليك وسعياً للافتخار بك .

وقال من البسيط :

وَرَدَّ بَعضُ القَنَا بَعضاً مُقارَعَةً ... كأنّها مِنْ نُفُوسِ القَوْمِ في جَدَلِ [4]

والبيت في مدح سيف الدولة والمعنى : حين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها لا يثبت في هذه الحال إلا أنت .

وقال من الكامل :

وَلَما تَفَاضَلَتِ النّفُوسُ وَدَبّرَتْ ... أيدي الكُماةِ عَوَالِيَ المُرّانِ [5]

والبيت في مدح سيف الدولة والعوالي : صدور الرماح والمران : الرماح اللينة والمعنى لأن الشجاعة إنما تستعمل بالعقل فالعقل يجعل الشجاع يتخذ حركات معينة في تحريك الرماح وهو مرتبط بالبيت قبله حيث يقول :

---

[1] الديوان ج٤ ص١٧٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ ص٤٠٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص١٢٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ ص٢١٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٣٠٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

لَوْلا العُقولُ لكانَ أدنَى ضَيغَمٍ   أدنَى إلى شَرَفٍ مِنَ الإنْسَانِ (١)

وقال من الخفيف :

فِي خَميسٍ مِنَ الأُسودِ بَئيسٍ   يَفْتَرِسْنَ النّفُوسَ وَالأمْوَالا (٢)

وهو من قصيدة مدح لسيف الدولة والمعنى : سار بجيش عظيم شديد ذو بأس كأنهم أسود وقوله والأموال أي وينتهبن الأموال فهو من باب : علفتها تبناً وماءً بارداً .

وقال من البسيط :

ساداتُ كلّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ   وَسادَةُ المُسلِمينَ الأعْبُدُ القَزَمُ (٣)

وهو في هجاء كافور والمعنى : كل أمة يملكهم من هو من جنسهم فكيف يسود المسلمين عبيد لئام ؟

وقال من الطويل :

إذا استَقبَلَتْ نَفسُ الكريمِ مُصابَها   بِخُبْثٍ ثَنَتْ فاسْتَدْبَرَتْهُ بطيبِ (٤)

والبيت من قصيدة يعزي بها سيف الدولة لوفاة عبده يماك والمعنى : إذا استقبل الكريم إصابة الدهر بالجزع راجع عقله فاعتصم بالصبر لعلمه أن الجزع لا يفيد .

وقال من الخفيف :

وَأحَقُّ الغُيُوثِ نَفْساً بحَمْدٍ   في زَمانٍ كلُّ النّفوسِ جَرَادُهْ (٥)

وهو في مدح ابن العميد والمعنى : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيوث بالحمد ويعني ابن العميد لعموم صلاحه ، ووجد في زمان قد استشرى فساد أهله فكانوا كالجراد .

وقال من المتقارب :

وَمَن ضاقَتِ الأرْضُ عَنْ نَفسه   حَرًى أن يَضِيقَ بها جسمُهُ (٦)

والبيت في مدح فاتك الكبير والمعنى : إنّ من ضاقت الأرض عن همته لخليق أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ولذا هلك لأنه لم يطق احتمالها لعظم ما تطلب .

وقال من الرمل :

---

١ الديوان ج٤ ص٣٠٨

٢ الديوان ج٣ ص ٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

٣ الديوان ج٤ ص٢٨١ وشرحه بحاشية الصفحة .

٤ الديوان ج١ ص١٨٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

٥ الديوان ج٢ ص١٥٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

٦ الديوان ج٤ ص٢٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

باعِثُ النّفسِ على الهوْلِ الذي لَيْـــ ـــسَ لنَفْسٍ وَقَعَتْ فيهِ إيَابُ [1]

وهو في مدح بدر بن عمار والمعنى : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذي لا خلاص لمن وقع فيه .

وقال من الخفيف :

إنّما الجِلدُ مَلبَسٌ وَابيضَاضُ الــ ـــنّفسِ خَيرٌ من ابيضَاضِ القَبَاءِ

يقول إنما الجلد بمترلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المعوّل عليه بياض النفس ونقاءها من العيوب والكلام عن كافور .

ثانياً : ما قصد به نفسه

قال من الكامل :

لِهَوَى النّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أني أسْلَمُ [2]

والمعنى إن سر الهوى لا يعرف من أين يتسرب إلى قلب العاشق ثم قال إني نظرت إليها عن غير قصد ـــ يعني المحبوبة ـــ فعشقتها وكنت أظن أني أسلم من هواها .

وقال من الطويل :

حُشاشةُ نَفسٍ وَدّعتْ يوْمَ وَدّعوا فَلَمْ أدرِ أيّ الظّاعِنَينِ أُشَيِّعُ [3]

والمعنى : بقية نفسي ودعتني يوم ودعني الأحباب فذهبت البقية والحبيب فحرت أيهما أودع .

وقال من الطويل :

أشاروا بتَسْليمٍ فَجُدْنَا بأنْفُسٍ تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسَّمُّ أدْمُعُ [4]

والمعنى : أشاروا بسلام التوديع فجدنا بأرواح سالت من الآماق تسمى دموعاً .

وقال من الطويل :

وَإنّا لَنَلْقَى الحادِثاتِ بأنْفُسٍ كَثيرُ الرّزايا عندَهنّ قَليلُ [5]

والمعنى : يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر ولذا يحتقر الخطوب الجليلة .

وقال من البسيط :

حتى وَصَلْتُ بنَفْسٍ ماتَ أكثرُها وَلَيْتَني عِشْتُ مِنْهَا بالّذي فَضَلا [6]

---

[1] الديوان ج١ ص٢٦٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٢٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٢ / ٣٤٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ / ٣٤٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٣ ص٢٣٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٣ ص٢٩٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : وصلت إلى الممدوح بنفس ذهب أكثر لحمها لما قاست من هول الطريق ثم تمنى العيش بما بقي ليقضي حق الممدوح .

وقال من البسيط :

سُبحانَ خالِقِ نَفسي كيفَ لذّتُها　　　فيما النّفُوسُ تَراهُ غايَةَ الألَمِ (١)

يتعجب من أنّ الله جعل لذته في التمرس بالمهالك وهو غاية ألم النفوس .

وقال من الطويل :

وإنّي لَمِنْ قَوْمٍ كأنّ نُفُوسَهُمْ　　　بها أنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا (٢)

يقول أنا من قوم ديدنهم التعرض للحرب فكأن نفوسنا ترى البقاء في أجساد من لحم وعظم عار تأنف منه ولذا هي تختار الموت على الحياة .

وقال من الخفيف :

كُنْ أيّها السّجنُ كيفَ شئتَ فقد　　　وَطّنْتُ للمَوْتِ نَفْسَ مُعترِفِ (٣)

يقول للسجن كن كيف شئت من الشدة فأنا صابر لا محالة .

وقال من البسيط :

رِدِي حِياضَ الرّدى يا نفسِ وَاتّركي　　　حياضَ خوْفِ الرّدى للشّاء والنَّعَمِ (٤)

(٤)

يقول : ردي المهالك والحروب واتركي الخوف للنعم والشاة فهي لا تقاتل عن نفسها .

وقال من الوافر :

وشُغلُ النّفسِ عن طَلَبِ المَعالي　　　ببَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ (٥)

يقول : إلى كم أشغل نفسي عن طلب المعالي بنظم الشعر في مدح من لا قيمة عنده للشعر .

وقال من المديد :

يَشغَلُني عَنها وعَنْ غَيْرِهَا　　　تَوْطينَ النّفسَ لِيَوْمِ الطِّعانْ (٦)

يقول : مالي ولهذه البطيخة إني مشغول عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والطعن في الحرب .

---

١ الديوان ج٤ ص ٢٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج٤ ص٢٣٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج٣ ص٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج٤ ص١٦٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج٢ ص٧٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
٦ الديوان ج٤ ص٣٦٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وَلَوْ فَارَقَتْ نَفْسِي إِلَيكَ حَيَاتَها   لَقُلْتُ أصَابَتْ غَيرَ مَذمومةِ العهدِ (١)

يقول : لو آثرت نفسي البقاء لديك على الحياة معي لقلت أنها أصابت فيما فعلت لأنك أبرّ بها منّي وهو يخاطب ابن العميد .

وقال من الطويل :

وَفي النّفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطَانَةٌ   سُكُوتي بَيَانٌ عِنْدَها وَخِطابُ (٢)

والمعنى في نفسي حاجات لا ينبعث بها لساني وأنت من الفطانة بحيث تدركها دون أن أذكرها .

وقال من البسيط :

إذا أرَدْتُ كُمَيْتَ اللّوْنِ صَافِيَةً   وَجَدْتُهَا وَحَبيبُ النّفسِ مَفقُودُ (٣)

والمعنى : إن الخمر لا تطيب إلا مع الحبيب وحبيبي بعيد عني فلا معنى لشرب الخمر .

وقال من المتقارب :

سَأجْعَلُهُ حَكَماً في النّفُوسِ   وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِساني كَفاني (٤)

والمعنى سأقتل من أعدائي من شئت ولساني كسيفي في الحدة وهو يكفي مكانه .

وقال من البسيط :

يا مَنْ تَحَكّمَ في نَفسي فعَذّبَني   وَمَنْ فُؤادي على قَتلي يُضافِرُهُ (٥)

والمعنى : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله فقلبه العاشق عون عليه مع حبيبه .

وقال من المتقارب :

وَأَلْهَجَ نَفْسي لغَيرِ الخَنَا   بحُبّ ذَواتِ اللَّمَى والنّهُودِ (٦)

والمعنى : ما أولع نفسي بحب سمر الشفاة الناهدات لغير الفحش والفجور .

وقال من المتقارب :

وفي جُودِ كَفّيْكَ ما جُدْتَ لي   بنَفسي ولوْ كنتُ أشْقَى ثَمُودِ (٧)

---

(١) الديوان ج٢ ص١٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٢) الديوان ج١ ص٣٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٣) الديوان ج٢ ص١٤١ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٤) الديوان ج٤ ص٣٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٥) الديوان ج٢ /٢٢١ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٦) الديوان ج٢ ص٦٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٧) الديوان ج٢ ص٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : إن جودك لي بنفسي هو في جملة عطاياك .

وقال من الكامل :

لّما تَقَطّعَتِ الحُمُولُ تَقَطّعَتْ   نَفْسِي أسًى وكأنّهُنّ طُلُوحُ (١)

والمعنى : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحزناً .

وقال من الطويل :

بنَفْسِي الخَيَالُ الزّائري بعد هجعَةٍ   وقوْلَتُهُ لي بعدَنا الغُمضَ تَطعَمُ (٢)

والمعنى : أفدى بنفسي الخيال الذي زارني بعد نومي وقال مخاطباً لي : أتنام بعد فراقنا ؟ وهل من فارق أحبته ينام ؟

وقال من الطويل :

أجارُكِ يا أُسْدَ الفَراديسِ مُكْرَمُ   فتَسكُنَ نَفسي أمْ مُهانٌ فمُسلَمُ (٣)

والمعنى : يخاطب أسود المكان هل من جاورها عزيز مكرم فتسكن نفسه أم مهان مخذول .

وقال من الخفيف :

واقِفاً تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفسي   واقِفاً تحتَ أخْمَصَيّ الأنَامُ (٤)

والمعنى نفسي عالية وإن كان جسمي بين الناس فأنا واقف تحت قدر نفسي والأنام وقوف تحت أخمصي والأخمص باطن القدم .

وقال من البسيط :

إنّي لأعْذِرُهُمْ مِمّا أُعَنّفُهُمْ   حتى أُعَنّفُ نَفْسِي فيهِمِ وأبي (٥)

والمعنى : إني أجعل لهم عذراً فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسي باللوم فأقتصر في لومهم فهم جهال والجاهل لايلام على ترك المكارم وقد بين ذلك في البيت التالي .

وقال من الطويل :

كذا أنَا يا دُنْيا إذا شِئْتِ فاذْهَبي   ويا نَفسِ زيدي في كرائهِها قُدْمَا (٦)

والمعنى : أنا كما وصفت نفسي لا أقبل الضيم ولا آسف لدنية فاذهبي عني فلست أبالي ويا نفس تقدمي فيما تكرهه الدنيا من ترك الانقياد لها ومن الحروب التي يكرهها أهل الدنيا .

---

(١) الديوان ج١ ص٣٧٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٢) الديوان ج٤ ص٢٠٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٣) الديوان ج٤ ص٢١٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٤) الديوان ج٤ ص٢١٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٥) الديوان ج٤ ص٣٤٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٦) الديوان ج٤ ص٢٣٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وأُكْبِرُ نَفسي عَن جَزاءٍ بغِيبَةٍ   وكلُّ اغتِيابٍ جُهدُ مَن ما لَه جُهدُ [1]

والمعنى : إني أكبر نفسي عن جزاء عدوي باغتيابه لأن هذا طاقة من لا طاقة له بمحاربة عدوه .

وقال من الطويل :

بنَفسي الذي لا يُزْدَهَى بخَديعَةٍ   وإنْ كَثُرَتْ فيها الذّرائعُ والقَصْدُ [2]

والمعنى : أفدي بنفسي الممدوح صاحب الفطنة الذي لا تنطلي عليه خدع أعداءه وإن حاولوا بشتى الوسائل لعلمه بقصدهم .

وقال من الوافر :

ونَفْسٍ لا تُجيبُ إلى خَسِيسٍ   وعَينٍ لا تُدارُ على نَظيرِ [3]

والمعنى : قل ما شئت في نفس ـــ يعني نفسه ـــ لا تؤاتيني على أمر خسيس وعين لا تفتح على نظير لي .

وقال من الخفيف :

تَرْكُ مَدحيكَ كالهِجاءِ لنَفسِي   وقَليلٌ لَكَ المَديحُ الكَثيرُ [4]

والمعنى ترك مدحي إياك هجاء لنفسي وما يستكثرون قليل بالنسبة إلى حقك وما تستأهل .

وقال من الطويل :

ونَفْسي لَهُ نَفْسي الفِداءُ لنَفْسِهِ   ولكِنّ بَعضَ المالِكينَ عَنيفُ [5]

والمعنى : أنا مملوك له إذ أسرني بإحسانه لكنه مالك عنيف وهو دعاء معناه أفديه بنفسي

وقال من الطويل :

بنَفسي وَليدٌ عادَ مِن بَعدِ حَمْلِهِ   إلى بَطنِ أُمٍّ لا تُطرقُ بالحَمْلِ [6]

والمعنى : أفدي بنفسي مولوداً صار بعد حمل الأم إلى حمل أم لا تطرق وهي الأرض .

وقال من البسيط :

وَما الحَياةُ ونَفسي بَعدَمَا عَلِمَتْ   أنّ الحَياةَ كَما لا تَشتَهي طَبَعُ [1]

---

[1] الديوان ج٢ ص٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص٩٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٢ ص٢٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٢ ص٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٣ ص٣٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٣ ص١٧٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : ما لنفسي والحياة ؟ أي لا أريدها بعدما عرفت أنها دنس فعلام الحرص عليها ؟

وقال من الطويل :

وَأُورِدُ نَفْسِي والمُهَنّدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَن لا يُجالِدُ [٢]

والمعنى : أورد نفسي في الحرب وهي مهلكة لا يصدر منها حي ما لم يكن شجاعاً مثلي .

وقال من المتقارب :

أُصَرّفُ نَفْسِي كَمَا أشْتَهي وَأمْلِكُهَا وَالقَنَا أحْمَرُ [٣]

والمعنى : قادر على تصريف نفسي لا تغلبني على شيء لا أريده وهو يصبرها إذا احمرت الرماح بالدماء في الحرب .

وقال من الكامل :

إنّي لأجْبُنُ عَن فِراقِ أحِبّتي وَتُحِسّ نَفسِي بالحِمامِ فأشجُعُ [٤]

والمعنى : الفراق عنده أعظم من الموت فهو جبان أمامه شجاع لا يهاب الموت في ساحة المعركة .

وقال من البسيط :

سُبحانَ خالِقِ نَفسي كيفَ لذّتُها فيما النّفُوسُ تَراهُ غايَةَ الألَمِ [٥]

يتعجب من أنّ الله جعل لذته في اقتحام المهالك وهو غاية ألم النفوس .

وقال من الوافر :

لَقد عَلّمتُ نَفسِي القَوْلَ فيهِمْ كَتَعْليمِ الطّرَادِ بِلا سِنَانِ [٦]

والمعنى : تعلمت المدح في الناس لأمدحك كما يتعلم الطراد بغير سنان ليصبح المتعلم ماهراً .

وقال من الطويل :

سَجِيّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليحَةً منَ الضّيمِ مَرْمِيّاً بها كلّ مَخْرِمِ [٧]

والمعنى : هذه الأنفة هي من طبيعة نفسي فهي أبداً خائفة من أن يبخس حقها من الإكرام .

وقال من الطويل :

رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بهِ لِي مَحَبّةً وَقُدْتُ إلَيكَ النّفسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ [٨]

---

[١] الديوان ج٢ ص٣٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٢] الديوان ج١ ص٣٩٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٣] الديوان ج٢ ص ١٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٤] الديوان ج٣ ص١٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٥] الديوان ج٤ ص٢٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٦] الديوان ج٤ ص٣٩٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٧] الديوان ج٤ ص٢٦٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٨] الديوان ج٤ ص٢٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : رضيت بما ترضاه لي موافقة لهواك لأني قدت نفسي إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

وقال من الطويل :

وَهَبْتَ على مِقدارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا ... وَنَفسي على مِقدارِ كَفّيكَ تطلُبُ [1]

والمعنى : أنت تعطيني على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه وأنا أطلب ما توجبه همتك ويقتضيه كرمك .

وقال من الطويل :

وَفي الجسْمِ نَفسٌ لا تَشيبُ بشَيْبِهِ ... وَلَوْ أنّ مَا في الوَجْهِ منهُ حِرَابُ [2]

والمعنى أنّ همته لا تشيب مع جسمه ولو أنّ الشعرات البيض في وجهه كانت حرابا .

ثالثاً : ما أورده في أبيات الحكمة

قال من الخفيف :

وَلَذيذُ الحَيَاةِ أنْفَسُ في النّفْـ ... ـسِ وَأشهَى من أنْ يُمَلّ وَأحْلَى

وَإذا الشّيخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَـ ... ـلّ حَيَاةً وَإنّمَا الضّعْـفَ مَلاّ [3]

والمعنى : الحياة لذيذة شهية إلى الناس من أن تمل وإنما يتضجر كبار السن من الضعف لا من طول الحياة فهي محببة إلى النفس في الشيبة والكبر .

وقال من الطويل :

تَغُرُّ حَلاواتُ النّفُوسِ قُلُـوبَهَا ... فتَختارُ بَعضَ العَيشِ وَهْوَ حِمامُ

وَشَرُّ الحِمَامَينِ الزّؤامَينِ عِيشَةٌ ... يَذِلُّ الذي يَختَارُها وَيُضَـامُ [4]

والمعنى إن حلاوة النفوس تغر قلوب أربابها حتى تختار عيشاً فيه ذل وهذا العيش هو الموت في الحقيقة بل هو شر من الموت لما فيه من تجرع الهوان.

قال من البسيط :

تَخالَفَ النّاسُ حتى لا اتّفاقَ لَهُمْ ... إلاّ على شَجَبٍ وَالخُلفُ في الشجبِ

فقِيلَ تَخلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَـالمَةً ... وَقيلَ تَشرَكُ جسْـمَ المَرْءِ في العَطَبِ

---

[1] الديوان ج١ ص ٣٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج١ ص٣١٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص٢٤٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص١١١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَـــا وَمُهْجَتِهِ   أقامَهُ الفِكْـــرُ بَينَ العَجزِ وَالتّعَبِ (1)

والمعنى : جرى اختلاف الناس في كل شيء و لم يتفقوا إلا على الهلاك أي أن كل نفس ستموت ثم اختلفوا في حقيقة الموت فمنهم من قال الروح لا تفنى بفناء الجسم وآخرون خالفوهم ثم قال : إنّ من تفكر في مفارقة الدنيا أتعبه ذلك لما يجد في نفسه من الأسف على الدنيا ثم يعود فيقر في نفسه أنّ ذلك قضاء محتوم فهو بين حالي التعب والعجز .

وقال من الطويل :

وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ   وَقَصّرَ عَمّا تَشتَهي النّفس وَجدُهُ (2)

والمعنى : كأنه يضرب مثلاً لنفسه حيث همته عالية ولكن قصور طاقته من الغنى لا تبلغه ما يريد .

وقال من الطويل :

أُصَادِقُ نَفسَ المرْءِ من قبلِ جسمِهِ   وَأعْرِفُهَا في فِعْلِهِ وَالتّكَلّمِ (3)

والمعنى : أراد بالنفس هنا المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية فهو قبل أن تقع بينه وبين من يحب معرفة يصادق نفسه أولاً ويستدل عليها بكلامه وفعله وهو كما قال العكبري معنى قول الحكيم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

وقال من الخفيف:

وَمُرَادُ النّفُوسِ أصْغَرُ من أنْ   تَتَعَادَى فيهِ وَأنْ تَتَفَانَى (4)

والمعنى : هو ينهى عن المعاداة والتحاسد مخبراً أنّ ما تريده النفوس من حطام الدنيا أحقر من يعادي بعضنا بعضاً لأجله .

وقال من الكامل :

تَصْفُو الحَياةُ لجَاهِلٍ أوْ غافِلٍ   عَمّا مَضَى فيهِـــا وَمَا يُتَوَقّعُ
وَلَمَنْ يُغالِطُ في الحَقائِقِ نفسَهُ   وَيَسومُها طَلَبَ الُمحالِ فتطمَعُ (5)

والمعنى : أي تصفو الحياة لمن يغالط حقيقة أن الدنيا دار غرور فانية وأنّ الإنسان فيها على خطر فمن منّى نفسه السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه التفكر في العواقب وكلّف نفسه طلب المحال في البقاء مع السلامة ونيل المراد فطمعت نفسه في ذلك .

---

1 الديوان ج1 ص224 وشرحه بحاشية الصفحة .
2 الديوان ج2 ص122 وشرحه بحاشية الصفحة .
3 الديوان ج4 ص265 وشرحه بحاشية الصفحة .
4 الديوان ج4 ص372 وشرحه بحاشية الصفحة .
5 الديوان ج3 ص13 وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الكامل :

وَالظّلمُ من شِيَمِ النّفوسِ فإن تجدْ ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ [1]

والمعنى : من طبيعة النفوس أن تظلم فإذا رأيت عفيفاً لا يظلم فإنما تركه لعلة كالخوف أو العجز ونحوهما.

[1] الديوان ج٤ ص٢٥٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

الفصل الثاني

تصوير المتنبي لآلامه وآماله ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه

الفصل الثاني : تصوير المتنبي لآلامه وآماله ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه

إنّ الباحث القارئ لحياة المتنبي يجدها رحلة كان خلفها آمال كبار ونفس ذات طموح عالي وأنها تغلغلت في كل مراحلها بآلام جسام وقد عاني المتنبي خلالها أكثر ما عاني صعوبات معاملة من لا يوافقون طباعه ، بل ويخالفونها إلى النقيض تماماً ولذا رأينا المتنبي وهو كالأسد الهائج هابّاً لتحقيق آماله ومتبرماً مما قاساه من الآلام ومفصحاً عن آماله العريضة ، وقد استقرأت ديوانه مستخرجاً ذلك منه مما سأعرضه في هذا الفصل إن شاء الله .

من الصعب أن تقرأ قصيدة للمتنبي لا يذكر فيها آماله وأمانيه ومن الصعب أيضا أن تفصل بين آماله وآلامه لأنّه كان يضّمن هذه الآلام صعوبة تحقيقها وبُعد الرجاء الكامن في معاكسة الأيام والناس له ووقوف الظروف دون تحقيق هذه المآرب من مثل قوله من الطويل :

أوَدُّ مِنَ الأيّامِ مَا لا تَوَدُّهُ وَأشكُو إلَيهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ (١)

ونحو قوله من الخفيف :

أَبَداً أقْطَعُ البِلادَ وَنَجْمي في نُحُوسٍ وَهِمّتي في سُعُودِ (٢)

فهو يخبر عن طموحه العالي وهمته البعيدة وسعيه الدائب وإن كان حظه قليلاً من الرزق .

وقد وجدت المتنبي في طموحه هذا معتداً بنفسه وبمواهبه محتقراً لكل ما يجد أمامه فلا شيء مما يفعل أمامه جدير بالإهتمام ولا أحد من الناس الذين قابلهم خليق بالحذر منه حيث يقول من الرجز:

أيَّ مَحَـــــــلٍّ أرْتَقي أيَّ عَظيـــــــم أتّقي
وَكُلّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّـــ ـــهُ وَما لَمْ يُخْـــــلَقِ
مُحْتَـــــــقَرٌ في هِمّتي كَشَعْرَةٍ في مَفْرِقي (٣)

والدارس لحياته يرى بجلاء أنّ المتنبي ظهرت محاولاته في الارتقاء نحو طموحاته ولكنه ظل يتبرم ويشتكي من أهل زمنه مصوراً آلامه الجسام منهم ، فهم يجهلون رسالته ويخذلونه في تحقيق مراده ويضمرون له العداء أيضاً كما يقول من البسيط :

حَوْلي بكُلّ مكانٍ مِنهُمُ خِلَقٌ تُخطي إذا جئتَ في استِفهامِها بمَنِ
لا أقْتَري بَلَداً إلاّ على غَـــرَرٍ ولا أمُرّ بخَلْــــــقٍ غيرِ مُضْطَغِنِ (٤)

---

١ الديوان ج٢ ص١١٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج٢ ص٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج٣ ، ص:٨١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج٤ ص٣٤١

ولكن انطلاقته لتحقيق طموحه ترتكز على ثقته العظيمة بنفسه التي هلّل بها في كل أحاديثه من مثل قوله من الوافر :

وكم طَرِبِ المَسامعِ ليس يَدري   أيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائي أمْ عُلاكَا [1]

وقوله من الطويل :

فلم أرَ قَبلي مَن مَشَى البحرُ نَحوَهُ   ولا رَجُلاً قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسْدُ [2]

حتى وصل به الحال إلى أن يضع نفسه في مقام الممدوحين :

وَأنَا مِنْكَ لا يُهَنّيءُ عُضْوٌ   بالمَسَرّاتِ سائِرَ الأعْضَاءِ [3]

بل وجدته يميز نفسه عن الملوك أيضاً كما يقول من البسيط :

سَيَعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا   بأنّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني   وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ [4]

ويساويهم بنفسه أحياناً أخرى :

كما في خطابه لأبي عبيد الله محمد الخطيب الخصيبي من البسيط :

وإنّما نَحْنُ في جيلٍ سَواسِيَةٍ   شَرٍّ على الحُرّ من سُقْمٍ على بدَنِ [5]

وقد قال ذلك لكافور أيضاً كما سبق وأكد ذلك بعد عدة أبيات في ذات القصيدة بقوله من الخفيف :

وَفُؤادي مِنَ المُلُوكِ وَإن كا   نَ لِساني يُرَى منَ الشّعراءِ [6]

وقد حاول في كلا البيتين أن يوضح مكانته العالية أمام كافور ولا أدري كيف قبل كافور ذلك منه ؟ وأعتقد أن مردّ تلك المغالاة عند المتنبي إلى حالته النفسية حيث يحاول أن يردّ على أعداءه ومنافسيه ومن يحاول أن ينقص من قدراته فدعاه ذلك إلى المغالاة الممقوتة في مكانته وقدراته فوجدته يقول من الخفيف :

إنْ أكُنْ مُعجَباً فعُجبُ عَجيبٍ   لمْ يَجدْ فَوقَ نَفْسِهِ من مَزيدِ [7]

---

[1] الديوان ج٣ ص١٣١
[2] الديوان ج٢ ص٩٦
[3] الديوان ج١ ص١٥٦
[4] الديوان ج٤ ص٨٥
[5] الديوان ج٤ ص٣٤١
[6] الديوان ج١ ص١٥٩
[7] الديوان ج٢ ص٤٧

بل وجدته يرفض أن يتشبه به أحد أو يحاول الوصول إلى قدراته كما يقول من الطويل :

أمِطْ عَنكَ تَشبيهي بمَا وَكَأنّهُ   فَمَا أحَدٌ فَوْقي وَلا أحَدٌ مِثْلي (١)

بل ويضع نفسه وقومه في طبقة مستقلة كما يقول من الطويل :

وإنّي لَمِنْ قَوْمٍ كأنّ نُفُوسَهُمْ   بها أنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا

تَغَرّبَ لا مُسْتَعْظِماً غَيرَ نَفْسِهِ   ولا قابلاً إلاّ لخالِقِهِ حُكْمَـــــــا (٢)

وقد درج على أنّ يقول بأن مواهبه لا مثيل لها وأنّ طموحه لا يحده حّد ولا نهاية لمطالبه كما يقول من الطويل :

وما الجَمْعُ بَينَ الماءِ والنّارِ في يدي   بأصعَبَ من أنْ أجمَعَ الجَدّ والفَهمَا

يَقُولونَ لي ما أنتَ في كلّ بـَلدَةٍ   وما تَبتَغي؟ ما أبتَغي جَلّ أن يُسْمى (٣)

ولقد كان للطموح الكبير والآمال البعيدة التي حملتها نفس المتنبي العظيمة فلسفة مختلفة جعلته يسبح بالآفاق ويقطع البيداء طولاً وعرضاً وقد كانت دونها بيد حتى كاد هذا الطموح أن يجلب المنية لطرفه في كل لحظة من حياته ولا شك أنه جلبها على يد فاتك الأسدى حيث كان المتنبي كما وصفه أبو القاسم مظفر بن علي الطبسي من الخفيف :

كان من نفسه الكبيرة في جيـــ   ش ومن كبريائه في سلطان

نعم فنبتة الطموح التي هي في قلب كل إنسان كانت شجرة عظيمة عند أبي محسّد فقد نظر بعيداً إثباتا لوجوده ، واعتزازاً بقدرته الفكرية وإمكاناته التي رأى أنها تؤهله لمكانة مرموقة ، وأما فلسفة طموحه فتقول بأنّ عمر الإنسان محدود وسيواجه الموت حتماً فالأولى به إذاً أنْ يموت ميتة شريفة تخلد ذكره كما قال من الوافر :

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ   فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجـــومِ

فطَعْمُ المَوْتِ في أمْرٍ حَقِيرٍ   كطَعْمِ المَوْتِ في أمْرٍ عَظيمِ (٤)

ولكن هذه المطامح والآمال وقفت دونها عوائق كثيرة فقد كانت تثير حفيظة أصحاب السلطان والولاة الذين لم يمكّنوا المتنبي من تحقيقها خوفاً من منافستهم في حلبة الرياسة والزعامة وخاصة أن صوت المتنبي ملأ الدنيا تهديداً ووعيداً مرة بالتلميح وأخرى بالتصريح كما قال من البسيط :

ميعادُ كلّ رَقيقِ الشّفرَتينِ غَداً   ومَن عصَى من ملوكِ العُرْبِ والعجمِ (١)

---

١ الديوان ج٣ ص٢٨١

٢ الديوان ج٤ ص٢٢٦

٣ الديوان ج٤ ص٢٢٦

٤ الديوان ج٤ ، ص:٢٤٥ .

وقد وجدته يلبس نفسه أثواب البطولة والعظمة ولكن سهامه ارتدت إلى نحره حيث لم يكن عتاده الدفاعي كافياً كما حصل في قصة قتله من قبل فاتك الأسدي .

ولقد كان المتنبي ذكياً حيث فطن إلى أمر هام وهو أنّ الزعامة تحتاج لما يقوم بتكاليفها من مال وثروة وأتباع حيث قال من الطويل :

فَلا يَنحَلِلْ في المَجدِ مالُكَ كُلّهُ   فيَنحَلَّ مَجْدٌ كانَ بالمالِ عَقدُهُ

وَدَبِّرْهُ تَدْبيرَ الذي المَجْدُ كَفُّهُ   إذا حارَبَ الأعداءَ وَالمَالُ زَنْدُهُ

فَلا مَجْدَ في الدّنْيَا لمَنْ قَلّ مَالُهُ   وَلا مالَ في الدّنيا لمَنْ قَلّ مَجدُهُ (٢)

ومن ركائز فلسفة الطموح عند المتنبي أن يخالف المرء طبيعته الميّالة إلى الدعة والاستقرار كما يقول من البسيط :

سُبحانَ خالِقِ نَفسي كيفَ لذّتُها   فيما النّفُوسُ تَراهُ غايَةَ الألَمِ (٣)

وعنده أنّ طبع النفوس هو ما يقودها إلى المخاطر كما يقول من الطويل :

وَكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشّجاعَةِ والنّدى   وَلكِنّ طَبْعَ النّفْسِ للنّفسِ قائِدُ

فطريق المجد وتحقيق الآمال والمآرب له معبر واحد عند المتنبي وهو معبر التعب والأشواك والمرارة في معاناة الحياة حيث يقول من الطويل :

ذَريني أنَلْ ما لا يُنَالُ مِنَ العُلَى   فصَعْبُ العلى في الصّعب وَالسهلُ في السهلِ

تُريدينَ لُقيانَ المَعَالي رَخيصَةً   وَلا بُدّ دونَ الشّهـــــــدِ من إبَرِ النّحلِ (٤)

وإذا ما تعمقنا إلى داخل المتنبي وسبرنا غور نفسه رأينا أنّ هذا الطموح كان فردياً يخصه ولكنه عممه في قصائده حتى لتحس أنه يحدثك عن كل طموح وأمل لكل إنسان في حياته وقد وجدت أنّ الفشل الذي لاقاه في فترات من حياته كان حافزاً نفسياً قوياً له إلى البحث عن نجاح آخر فقد أمضى حياته متنقلاً بين الممدوحين مع ما لاقاه من فتور أحياناً وفشل عند بعضهم واستجابات رخيصة لا تفي بعظيم طموحه كل ذلك انعكس على أحواله النفسية وجسّده شعراً عكس لنا الطبع الإنساني والخلق الاجتماعي وأشعل الثورة في نفس المتنبي ما رأى بعينه وعاش بنفسه ممن تسنّم ذروة السلطة وهم كما يرى دونه مما دعاه إلى الزراية بالعقل الإنساني والطبائع التي رآها مختلة وموازينها متقلبة وحركتها مضطربة مما دعاه إلى أن يثبّت أقدامه للخروج من هذا الوحل

---

[1] الديوان ج٤ ، ص :١٦١ .

[2] الديوان ج٢ ، ص:١٢٢ .

[3] الديوان ج٤: ، ص:٢٩٥ .

[4] الديوان ج٤ ، ص :٤ .

الذي كبّل حركته وهنا لم يكن له طريق إلا الخروج على قوانين المجتمع حيث كان باستمرار يدعو إلى منطق المغامرة وأسلوب الكفاح مما جعل حياته بين مدّ وجزر وأمل وفشل وبقي نَفَسُه الشعري الذي تغّلب عليه عامل الطموح والأمل يحاول أبداً أن يفسح لنفسه تحقيق مآربها وآمالها العظيمة إلى آخر لحظة من حياته .

ولا شك أنّ المتنبي أخفق في الوصول إلى تحقيق حلمه لتحقيق الإمارة والسيادة والرئاسة وخاصة بعد عودته من عند كافور ، فرجع يعزّي نفسه ويختلق التعليلات النفسيّة لهذا الفشل كما يقول من البسيط :

مَا كلُّ ما يَتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ تجرِي الرّياحُ بمَا لا تَشتَهي السّفُنُ [1]

وزادت شكايته من الدهر والأيام وسوء الطالع كما يقول من الطويل :

ألا لَيْتَ شعري هَلْ أقولُ قَصِيدَةً فَلا أشْتَكي فيها وَلا أتَعَتّبُ [2]

ومرد هذه الشكوى إلى حالته النفسية بعد يأسه من إجابة طلبه من قبل كافور فأوضح عن ذلك رغم أن القصيدة أنشأها لمدح كافور بعد أن أعطاه ست مائة دينار ذهبا .

وقد حاول المتنبي وخاصة في هذه الحقبة في مصر أن يعزّي نفسه نتيجة عدم تحقيق المطالب كما يقول من البسيط :

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيرَ مُكتَرِثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدنُ

فَمَا يُديمُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ وَلا يَرُدّ عَلَيـــكَ الفَائِتَ الحَزَنُ [3]

وقد كرر ما يمكن أن أطلق عليه تعزية النفس وخاصة في فترة وجوده ببلاط كافور من مثل أبياته التالية :من الخفيف :

صَحِبَ النّاسُ قَبلَنا ذا الزّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِن شأنهِ مَا عَنَانَا

وَتَوَلّوْا بِغُصّــــةٍ كُلّهُمْ مِنْـــهُ وَإنْ سَرّ بَعْضَهُمْ أحْيَانَا

رُبّمَا تُحسنُ الصّنيــعَ لَيَالِيــهِ وَلَكِنْ تُكَدّرُ الإحْسَانَا

كُلّمَا أنْبَتَ الزّمَـــانُ قَنَاةً رَكّبَ المَرْءُ في القَنَاةِ سِنَانَا

---

[1] الديوان ج٤ ص٣٦٦

[2] الديوان ج١ ص٣٠٤

[3] الديوان ج٤ ص٣٦٤

وواضح جلي إسقاطات المتنبي النفسية نتيجة فشله في تحقيق مآربه وتطمينه لنفسه بأنّ ذلك يحصل مع البشر من بدء الإنسانية ويمر على الجميع وليس عليه وحده ولا أدل على ذلك من هذا البيت الذي أورده تالياً للأبيات الماضية :

كلّ ما لم يكُنْ من الصّعبِ في الأنـــ ـــفُسِ سَهْلٌ فيها إذا هوَ كانَا [1]

والمعنى أن الفشل صعب قبل وقوعه ولكنه إذا وقع هان وكذا كل الخطوب التي تعترض النفس . ولكن أبا الطيب رغم كل ذلك كان في كل مرة ينهض من جديد يستحث عزيمته ويعاود السير في طريق المعالي ولتحقيق آماله وقد حاول أن يتصبر رغم وعورة ذلك الطريق من الوافر :

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَـــــــــدٌّ وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَـــامِ
وَمَنْ يَجِدُ الطّـــــرِيقَ إلى المَعَالي فَلا يَذَرُ المَطيَّ بِلا سَنَـــامِ
فإنْ أمرَضْ فما مرِضَ اصْطِباري وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتزَامي
وَإنْ أسْـــــــلَمْ فَمَا أبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الحِمامِ إلى الحِمامِ [2]

وعلى الرغم من أنه كان يرى أنّ الجسم لا يهم تعبه وهو سيتعب حتماً ما دامت الهمة في طلب المعالي عالية وأنّه لن يرضى بالمنـــزلة الدون .

وقال من الخفيف :

وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ [3]

إلا أنّه عاد إلى نظرة واقعية تأثرت فيها نفسه بما حصل له من الاحباطات في تحقيق الأماني فبدأ يطلق التعميمات التي أجد له فيها متنفساً ومجالاً يرمي فيه أتعاب نفسه وهو إن عمم الكلام ولكني أجد ذلك خطابا لنفس المتنبي كما يقول من الكامل :

تَصْفُو الحَياةُ لجَاهِلٍ أوْ غافِلٍ عَمّا مَضَى فيها وَمَا يُتَوَقّـــعُ
وَلمَنْ يُغالِطُ في الحَقائِقِ نفسَهُ وَيَسومُها طَلَبَ المُحالِ فتطمَعُ [4]

والمتتبع المتمعن في شعره يجد أنّ الطموح والافتخار يكاد ينعدم في قصائده الأخيرة كمدحته لابن العميد ولأبي الفوارس ، وكذا مديح عضد الدولة ، بل يجد التعقل والحكمة فقد وجدت أنه أمام ابن العميد رضي بالمنـــزل الطيب وسّر بذلك وفَضُل جميع الناس به كما يقول من الطويل :

---

[1] الديوان ج٤ ص٣٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٢٧٩
[3] الديوان ج٢ ص٦٤
[4] الديوان ج٣ ص١٣

أنَا من جَميعِ النّاسِ أطيَبُ مَنزِلاً   وَأسَرُّ رَاحِلَةً وَأرْبَحُ مَتْجَرَا [1]

وبعد هذه القراءة الذي تعرفنا من خلالها على المميزات العامة للشعر الذي تحدث فيه المتنبي عن آماله وآلامه أستطيع أنْ أصنّف هذا الشعر إلى ثلاثة أقسام بحسب ما تميز به كل قسم من مميزات وسأضرب لكل قسم أمثلة وشواهد توضح ذلك :

١. حديثه عن آماله وآلامه في فترة صباه .
٢. حديثه عن آماله وآلامه في فترة اتصاله بسيف الدولة وبدايات بقاءه مع كافور .
٣. حديثه عن آماله وآلامه في آخر بقاءه عند كافور إلى وفاته .

وسأفصل الحديث عن كل مرحلة معتمداً على الشواهد من شعره .

القسم الأول : حديثه عن آماله وآلامه في صباه

قال المتنبي هذه القصيدة في صباه من الخفيف :

أينَ فَضْلي إذا قَنِعْتُ منَ الدّهْـ ـــ   ـــرِ بعَيْشٍ مُعَجَّلِ التّنكيـــدِ
ضاقَ صَدري وطالَ في طَلَبِ الرّزْ   قِ قيامي وَقَلّ عَنهُ قُعُـــودِي
أبَداً أقْطَعُ البِـــــلادَ وَنَجْمي   في نُحُوسٍ وَهِمّتي في سُعُـودِ
وَلَعَلّي مُؤمِّلٌ بَعْضَ مَا أبْـــــ   ــلُغُ باللّطْفِ من عَزيزٍ حَميدِ
عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَـــرِيمٌ   بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُـودِ
لا كَما قد حَيِيتَ غَيرَ حَميـــدٍ   وإذا مُتَّ مُتـــَّ غَيْرَ فَقيدِ
فاطْلُبِ العِـــزّ في لَظَى وَدَعِ الذّ   لّ وَلَوْ كانَ في جنـانِ الخُلُودِ
يُقْتَلُ العاجزُ الجَبـانُ وقَدْ يَعـــ   ـجزُ عَن قَطْعِ بُخْنُقِ المَولودِ
لا بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفُــوا بي   وَبنَفْسي فَخَـرْتُ لا بجُدودِي
وبهِمْ فَخْرُ كلّ مَنْ نَطَقَ الضّـــا   دَ وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطّرِيدِ
إنْ أكُنْ مُعجَــباً فعُجبُ عَجيبٍ   لَمْ يَجدْ فَوقَ نَفْسِهِ من مَــزِيدِ [2]

لقد لاحظت في هذه الأبيات لغة طموحة واندفاعاً قوياً للمستقبل فالمتنبي ينفي أن يكون له فضل إذا قنع بعيش عجل له نكده وأبطأ عنه خيُره ولذا قرر أن يمتطي صهوة السفر والكفاح

[1] الديوان ج٢ ص٢٧٩
[2] الديوان ، ج٢ /٤٤ وشرحه بحاشية الصفحات ٤٤ ــ ٤٧

لطلب الرزق ويخبر عن همته وطموحه الكبير وإن قل نصيبه من الرزق وينطق بهذه اللغة القوية الخالدة فيقول عش ممتنعاً من الأعداء أو مت موت الكرام في الحرب كما يقول :

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ ... بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ (١)

ثم يخبر بأن الإنسان يجب أن يخلّد له ذكراً بعد موته ولا يكون ذلك إلا بالإقدام والشجاعة ثم يعود لتلك اللغة المجلجلة :

فاطْلُبِ العِزّ في لَظَى وَدَعِ الذّ ... لّ وَلَوْ كانَ في جنانِ الخُلُودِ (٢)

وكم حفظ هذا البيت وأصبح حكمة تردد لكل أبيّ يرفض الذل والمهانة وهو من أجمل مبالغات المتنبي التي حفظها الدهر وسأعرض هنا مثالاً آخر لحديثه عن آماله في صباه حيث يقول من البسيط :

لَيسَ التّعَلّلُ بالآمَالِ مِن أرَبي ... وَلا القَناعَةُ بالإقْلالِ من شِيَمي
وَلا أظُنّ بَناتِ الدّهْرِ تَترُكُني ... حتى تَسُدّ علَيها طُرْقَها هِمَمي
لُمِ اللّيالي التي أخْنَتْ على جِدَتي ... بِرِقّةِ الحَالِ وَاعذِرْني وَلا تَلُمِ
أرَى أُناساً ومَحصُولي على غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ ومحْصُولي على الكَلِمِ
سيَصحَبُ النّصلُ مني مثلَ مَضربه ... وَيَنجَلي خَبَري عن صِمّةِ الصِّمَمِ
لقد تَصَبّرْتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ ... فالآنَ أقْحَمُ حتى لاتَ مُقْتَحَمِ
لأترُكَنّ وُجوهَ الخَيْلِ ساهِمَةً ... وَالحرْبُ أقوَمُ مِن ساقٍ على قَدَمِ
والطّعْنُ يُحرِقُها وَالزّجرُ يُقلِقُها ... حتى كأنّ بها ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ
قَد كَلّمَتْها العَوالي فَهْيَ كالِحَةٌ ... كأنّما الصّابُ مَذرُورٌ على اللُّجُمِ (٣)

ولا شك أن لغة هذه الأبيات كلغة سابقتها فهي ضاربة في قوة طلب الآمال فالمتنبي لا يضيع وقته في الرجاء ولا يقنع باليسير ، فهو يسافر في طلب المال والعلا حتى ولو دفع حياته ثمناً لذلك وهذه الآمال لا حدود لها عند المتنبي فقد قال من الطويل :

تَغَرّبَ لا مُسْتَعْظِماً غَيرَ نَفْسِهِ ... ولا قابلاً إلاّ لخالِقِهِ حُكْمَا
ولا سالِكاً إلاّ فُؤادَ عَجاجَةٍ ... ولا واجداً إلاّ لمَكْرُمَةٍ طَعْمَا
يَقُولونَ لي ما أنتَ في كلّ بَلدَةٍ ... وما تَبتَغي؟ ما أبتَغي جَلّ أن يُسْمى (٤)

---

[١] الديوان ج٢ ص٤٥
[٢] الديوان ج٢ ص٤٦
[٣] الديوان ج٤ ص١٥٥
[٤] الديوان ج٤ ص٢٣٣

ولنأخذ هذا المثال أيضاً على حديثه عن الآمال في صباه وهو قوله من الطويل :

تُحَقِّرُ عِندي هِمّتي كُلَّ مَطلَبٍ وَيَقصُرُ في عَيني المَدى المُتَطاوِلُ
وما زِلْتُ طَوْداً لا تَزُولُ مَناكِبي إلى أنْ بَدَتْ للضَّيْمِ فيَّ زَلازِلُ
فقَلْقَلْتُ بالهَمّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنّ قَلاقِلُ
إذا اللّيْلُ وَارَانَا أرَتْنا خِفافُها بقَدحِ الحَصَى ما لا تُرينا المَشاعِلُ
كأنّي منَ الوَجْناءِ في ظَهرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بي بحاراً ما لَهُنّ سَواحِلُ
يُخَيَّلُ لي أنّ البِلادَ مَسَامِعي وأنّيَ فيها ما تَقُولُ العَواذِلُ
وَمَنْ يَبغِ ما أبْغي مِنَ المَجْدِ والعلى تَسَاوَ المَحايي عِنْدَهُ وَالمَقَاتِلُ [1]

فهمة المتنبي الكبيرة وآماله البعيدة تريه الغايات البعيدة قريبة والأمور الجسام حقيرة وهو كالجبل العظيم لا يقبل الظلم أبداً فداخله ملتهب حتى صوّره بهذه الألفاظ التي امتلأت بحروف القلقلة ليعطي لهذه الصورة حركة تكاد تبصرها حين تقرأ البيت:

فقَلْقَلْتُ بالهَمّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنّ قَلاقِلُ

فهو لا يكف عن سُرى الليل بل ويغذّ السير فيه حتى أنّ الأحجار المنفية من أقدام ناقته ضؤها غلب ضوء المشاعل ، فهو لا يستقر له قرار في بلد ، بل يديم السفر والترحال ولكل هذا سبب عظيم واحد وهو قوله :

وَمَنْ يَبغِ ما أبْغي مِنَ المَجْدِ والعلى تَسَاوَ المَحايي عِنْدَهُ وَالمَقاتِلُ

فالهلاك مرتبط بطلب المعالي والمتنبي وطّن نفسه لذلك .

القسم الثاني : حديثه عن آماله وآلامه في فترة ما بعد الصبا "

من خروجه من الكوفة قرابة سنة ٣٢٥ إلى سنة ٣٤٧ "

سأضرب لهذه الحقبة عدة أمثلة نستوضح من خلالها سماتها يقول في قصيدة يمدح فيها على بن إبراهيم التنوخي من الوافر :

أُفَكّرُ في مُعاقَرَةِ المَنَايَا وقَوْدِ الخَيْلِ مُشرِفةَ الهَوادي
زَعيمٌ للقَنَا الخَطّيّ عَزْمي بسَفكِ دمِ الحَواضرِ والبَوادي
إلى كمْ ذا التخَلّفُ والتّواني وكمْ هذا التّمادي في التّمادي
وشُغلُ النّفسِ عن طَلَبِ المَعالي ببَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ

[1] الديوان ج٣ ص٢٩٣ ــ ٢٩٤ وشرحها بحاشية الصفحات ٢٩٣ ــ ٢٩٥ .

وما ماضي الشّبابِ بمُسْتَرَدٍّ ولا يَوْمٌ يَمُرّ بمُسْتَعادِ [1]

وتميزت هذه الفترة بقوة طلب الآمال ولكنها قوة مختلطة بالعقل والرّوية إلى حد ما منتفياً عنها اندفاع الشباب الأهوج فنراه هنا سيلتزم ملازمة الحروب ليحقق مآربه وسيقطع رأس من يقف في وجهه سواء كان من أهل الحضر أو البادية ، فعزمه كفيل له بذلك ولذا لا داعي لتأخير هذا الأمر فهو يبحث عن المعالي ولذا لن يشغل نفسه بقول الشعر فيمن لا يستحق ذلك فما يمر من الأيام لا يعود والشباب إذا تقضّى فات بلا رجعة .

ولنأخذ مثالاً آخر لهذه الحقبة وهو قوله يمدح كافور ويصور آماله العظيمة من الطويل :

أوَدُّ مِنَ الأيـــــــّامِ مَا لا تَوَدُّهُ وَأشكُو إلَيهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ

يُباعِـــــدْنَ حِبّاً يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ فكَيفَ بحِبٍّ يَجْتَمِعنَ وَصَدّهُ

أبَى خُـــــــلُقُ الدّنْيَا حَبيباً تُديمُهُ فَمَا طَلَبي مِنهَا حَبيبـــاً تَرُدّهُ

وَفي النّاسِ مَنْ يرْضَى بميسورِ عيشِهِ وَمَرْكوبُهُ رِجْلاهُ وَالثّوْبُ جلدُه

وَلَكِنّ قَلْباً بَينَ جَنْبَيّ مَـــــــا لَهُ مَدًى يَنتَهي بي في مُرَادٍ أحُـــدُّهُ

يَرَى جسْمَهُ يُكْسَى شُفُـوفاً تَرُبُّهُ فيَختارُ أن يُكْسَى دُرُوعاً تَهُدّهُ

يُكَلّفُني التّهْجـــــيرَ في كلّ مَهْمَهٍ عَليقي مَرَاعِيـــهِ وَزَادي رُبْدُهُ [2]

والمتأمل لهذه الأبيات يلمس شدة الطلب الممتزجة بالعقل والنظر الصحيح فهو يطلب الإنصاف من الأيام ويستغرب هذا الطلب من الأيام وهي سبب الفراق ويخبر عن غرابة ذالك فالأيام تبعد الحبيب المواصل فكيف سترد الحبيب المقاطع ؟! فالأيام لا تبقي عليك ما في يدك وأمّا ما مضى فهو أبعد من الرجوع إليك !

القسم الثالث : حديثه عن آماله من آخر عهده بكافور إلى وفاته "

المستقرئ لأشعاره في هذه الفترة يجد أنّ الطموح خفت بشكل كبير وأصبح المتنبي يرضى بالقليل ويتبرم من الدهر كثيراً فقد قال عند ابن العميد من الكامل :

أعطَى الزّمانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأرَادَ لي فأرَدْتُ أنْ أتَخَيّرَا [3]

---

[1] الديوان ج٢ /٧٦ ــ ٧٧ وشرحها بحاشية صفحتي ٧٦ و ٧٧

[2] الديوان ج٢ /١١٩ وشرحها بحاشية صفحتي ١١٩ ــ ١٢٠ .

[3] الديوان ج٢ ص٢٦٩

وهو لم يساو نفسه بالممدوح كعادته و لم يتحدث عن نفسه وطلبه للمعالي وآماله إلا بهذا البيت بعد تأول منا حيث يمكن تفسيره بأنّه ترفع عن قبول عطايا الزمن لبعد همته ولكنها همة محدودة هذه المرة حيث عاد وأخبر بأنه رضي بالمنـــزل الطيب عند ابن العميد وسر بذلك بل وفضل به جميع الناس و لم يعد يتحدث عن طلب الملك كعادته عند كافور مثلاً حيث قال في آخر قصيدته العميدية :

أنَا من جَميعِ النّاسِ أطيَبُ مَترِلاً وَأسَرُّ رَاحِلَةً وَأرْبَحُ مَتْجَرَا [١]

وكذا فعل عند عضد الدولة حيث لم يعل صوتاً بآماله التي كان يملأ الدنيا بها دويّاً و لم أجد في العضديات سوى الكثير من الشكاوى والتبرم من الزمن وغيظ وحنق على الأيام وسأتعرض لبعض الأمثلة في السطور التالية ثم ، سأضرب أمثلة لحديثه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه :

يقول المتنبي لأبي عبيد الله الخصيـــبي القاضي من البسيط التام :

أفاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لَدى الزّمَنِ يَخلُو مِنَ الهَمّ أخـلاهم من الفِطَنِ
وإنّما نَحْنُ في جيلٍ سَـــواسِيَةٍ شَرٍّ على الحُرّ من سُقْمـٍ على بدَنِ
حَوْلي بكُلّ مكانٍ مِنهُمُ خِـــلَقٌ تُخطي إذا جئتَ في استِفهامِها بمَنِ [٢]

ويتضح من لغة المتنبي معاناته الشديدة من كيد ومكر مخالفيه ومقدار ما كانوا عليه من الخسة واللؤم وهو يريد أن يقول : على قدر الهمم تكون الهموم وذلك لأنّ العاقل يفكّر في عواقب الأمور ويهتم لها والمتنبي مهتم ومغتمّ ممن حوله حتى أنكر الاستفهام عنهم بمَن التي هي للعاقل .

ويواصل المتنبي قائلاً:

لا أقْتَري بَلَداً إلاّ على غَــرَرٍ ولا أمُرّ بخَـــــلْقٍ غيرِ مُضْطَغِنِ
ولا أُعاشِرُ من أملاكِهِمْ مَلِكاً إلاّ أحَقَّ بضَرْبِ الرّأسِ من وَثَنِ
إنّي لأعْذِرُهُمْ مِمّا أُعَنّفُهُــمْ حتى أُعَــنّفُ نَفْسِي فيهِمِ وأني
فَقْرُ الجَهُولِ بِلا قَلْبٍ إلى أدَبٍ فَقْرُ الحِمــارِ بلا رَأسٍ إلى رَسَنِ
ومُدْقِعِينَ بسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُــمُ عارِينَ من حُلَلٍ كاسينَ من دَرَنِ [٣]

[١] الديوان ج٢ ص٢٧٩
[٢] الديوان ج٤ ص٣٤١
[٣] الديوان ج٤ ص٣٤١

وحالة المتنبي النفسية الصعبة جعلته يتصور كل الناس يحملون له الحقد والضغينة وجعلته يتوقع الخطر في أي لحظة من هؤلاء المتربصين وحتى الملوك استحقوا القتل لأنهم صور لا معنى وراءها ثم التفت المتنبي التفاتة نفسية رائعة فقال إني أجعل لهم عذراً فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود إلى نفسي في لومهم والعذر أنهم جهال والجاهل لا يلام على ترك المكارم وقد ضرب لهؤلاء الجهال مثلاً رائعاً مبدياً تعجبه بأن كيف يحتاجون للأدب وهم لا عقول لهم كالحمار كيف ما لم يكن له رأس يحتاج إلى الرسن ، وواضح من لغة الشاعر شدة الغيظ من هؤلاء الأعداء وعمق ما لقي من تربصهم له ومحاولة صده عن المعالي وسد طرقها عنه .

وهناك مثال آخر على معاناة شاعرنا الكبير ممن لا يوافقون طبعه حيث يقول مادحاً علي بن محمد بن سيار التميمي مستذكراً ما لقي من الحساد كابن كروس وغيره ممن آذوه وهو بطبرية وانطاكية حيث يذكر الليل من الوافر :

أُقَلّبُ فيهِ أجْفـــاني كأنّي ... أعُدّ بهِ على الدّهرِ الذّنُوبَا
وما لَيْلٌ بأطْـــوَلَ مِنْ نَهارٍ ... يَظَلّ بلَحظِ حُسّادي مَشُوبَا
وما مَوْتٌ بأبْغَضَ مِنْ حَيـاةٍ ... أرَى لَهُمُ مَعي فيهـا نَصيبَا
عَرَفْتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ حتى ... لَوِ انْتَسَبَتْ لكُنتُ لَهَا نَقيبَا [1]

وهل أكبر من هذه المعاناة التي جعلت المتنبي تستوي عنده حياته مع حساده بموته

وهنا مثال آخر من رثائيته لجدته وقد شدد فيها الذم على من لا يوافقون طبعه فقال من الطويل :

أذُمّ إلى هذا الزّمـــانِ أُهَيْلَهُ ... فأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأحزَمُهمْ وَغْدُ
وأكرَمُهُمْ كَلْبٌ وأبصرُهُمْ عمٍ ... وأسهَدُهُمْ فَهدٌ وأشجَعُهم قِرْدُ [2]

فأهل زمانه وحساده يتصفون في رأيه بقلة الفهم والحمق والخسة وعمى القلب وعدم التيقظ ولقد عانى المتنبي في معاملة من لا يوافقون طبعه كبير المعاناة ولا أدل على ذلك من بيته الذائع الذي ذكره في مدحته لمحمد بن سيار التميمي حيث قال من الطويل :

ومن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أنْ يَرَى ... عَدُوّاً لَهُ ما من صَداقَتِهِ بُدُّ [3]

وقد وجد في نسخة الواحدي دون غيرها هذين البيتين بعد البيت السابق من الطويل :

---
[1] الديوان ج١ ص٢٦٧
[2] الديوان ج٢ ص٩٣
[3] الديوان ج٢ ص٩٣

فيا نكد الدنيا متى أنت مقصر   عن الحر حتى لا يكون له ضدُّ
يروح ويغدو كارها لوصـــاله   وتضطره الأيام والـــزمن النكد [1]

فالكريم عنده لا يجد مندوحه من إظهار الصداقة لعدوه وهذا من نكد الدنيا مع علمه أنه عدوله ليأمن شره ويدفعه عنه .

وعند الخطيب التبريزي[2] أن المراد بهذا السلطان الذي لابد من صداقته ، وكلام المتنبي هذا منتزع مما أصابه من الرزايا وما أدركه من الإخفاق في المطلب وما وجده من الحسرة والمرارة وألم الحرمان ولكن همته وآماله كانت بعيدة المدى حيث وجدته يقول من الطويل :

تُحَقِّرُ عِندي هِمّتي كُلَّ مَطلَبٍ   وَيَقصُرُ في عَيني المَدى المُتَطاوِلُ [3]

وقد كان لزاماً على من هذه همته وطموحه أن يعدّ نفسه لمعالي الأمور وأن يكدّ ويكدح ويصبر ويصابر ويعمل ويثابر وهذا ما فعله المتنبي حتى انطفأت شمعة حياته .

الفصل الثالث

[1] الديوان
[2] الديوان
[3] الديوان

الكمالات النفسية التي عني
المتنبي بإبرازها
الشجاعة ـــ الكرم ـــ الوفاء

الفصل الثالث : الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها

الشجاعة ـــ الكرم ـــ الوفاء

الشجاعة :

من أبرز ما تغنى به المتنبي من الصفات النبيلة وشعره يوضح لنا ذلك بجلاء فقد تحدّث فيه عن قيم فارس صنديد مستعد متأهب دوماً لخوض غمار المعارك وقد تحدث عن ذلك منذ صغره إلى آخر حياته الحافلة بالكفاح .

فمن شعر صباه قوله من الطويل :

إلى أيِّ حينٍ أَنْتَ في زِيِّ مُحْـــرِمِ ... وَحتى مَتى في شِقْـــــــــوَةٍ وَإلى كَمِ

وَإلاّ تَمُتْ تَحْتَ السّيوفِ مكرَّماً ... تَمُتْ وَتُقـــــــــاسي الذّلّ غَيرَ مُكَرَّمِ

فَثِبْ وَاثِقاً باللهِ وِثْبَةَ مَاجِـــــــدٍ ... يرى الموتَ في الهيجا جنى النحل في الفَمِ [1]

فهذا منهج الإقدام اختطه لنفسه من البداية فسبيله أبداً خوض المعارك وهو مستلذ بذلك بل يراه أحلى من الشهد فهل من شجاعة أكبر من ذلك ؟

وفي قصيدة أخرى من صباه وهي القصيدة التي يرى الواحدي أنه سميّ المتنبي بسبب البيت الذي ورد فيها يشبه المتنبي نفسه فيه بالسيد المسيح ونبي الله صالح عليه السلام وقد ورد فيها العديد من الأبيات يمتدح فيها شجاعته منها قوله من الخفيف :

مَفْرَشِي صَهْوَةُ الحِصانِ وَلَكِـــ ... ـــنّ قَميصِي مسرُودَةٌ مِنْ حَديدِ

لأمَةٌ فـاضَةٌ أضَــــاةٌ دِلاصٌ ... أحْكَمَـــــتْ نَسْجَها يَدَا داوُدِ [2]

فموضع فراشه ظهر حصانه على الدوام وثيابه الدروع ،ووصف الدرع بعدة صفات فهي لأمة أي ملتئمة الصنع وفاضة أي تعم جسم صاحبها والأضاءة : الغدير شبهت الدرع به لبريقها وصفائها ودلاص أي براقة لينة ملساء فهو على تأهب دائم وتيقظ مستمر لحرب أعداءه .

ويبرز لنا في أبيات هذه القصيدة ذلك البيت المجلجل الذي حفظته القلوب وردّد على كل لسان وهو قوله :

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ ... بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ [3]

فإما أن تعيش عزيزاً ممتنعاً من أعدائك أو تموت موت الكرام في الحرب فلا أدل على شجاعة الرجل من أن يموت في أرض المعركة وهذا خير له من العيش في الذل .

---

[1] الديوان ج٤ ص١٥٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

[2] الديوان ج٢ ص٤٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

[3] الديوان ج٢ ص٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

ولقد ترعرع المتنبي بهذه النفس الشجاعة التي لا تهاب فوجدته على مستوى رفيع من الشجاعة حينما عذله معاذ اللاذقي على تهوره فرد بهذه الأبيات التي لا يقولها إلا رجل مغوار حيث قال من الوافر :

أَبَا عَبْدِ الإلهِ مُعاذُ: إنّي ... خَفيٌّ عَنْكَ في الهَيْجا مَقامي

ذكَرْتُ جَسيمَ ما طَلَبي وإنّا ... نُخاطِرُ فيهِ بالمُهَجِ الجِسامِ

أَمِثْلي تأخُذُ النّكَباتُ مِنْهُ ... وَيَجزَعُ مِنْ مُلاقاةِ الحِمامِ

وما بَلَغَتْ مَشيئَتَها اللّيالي ... ولا سَارَتْ وفي يَدِها زِمَامي

إذا امتَلأتْ عُيُونُ الخَيْلِ مني ... فَوَيْلٌ في التّيَقّظِ والمَنَامِ [1]

وهي بلا شك أبيات غاية في القوة يخبر فيها عن مقدار ما في نفسه من الشجاعة وما طبع عليه من الجرأة والبأس ، فهو يخاطر بروحه العظيمة لأمر عظيم ، غير آبه بالنكبات فهو أمامها إما صابر أو حازم متحدياً كل أحد حتى الزمان نفسه لو برز إليه لجذّ هامته عن جسده وقد ختم هذه الأبيات ببيت غاية في روعة التعبير عن مراده فكل من يقف في طريقه محاولاً صده عن مراده له الهلاك فلن يهنأ بالأمن في يقظته ولن يذوق اللذة والراحة في منامه وماذا ننتظر ممن هذا قوله وهو على مشارف العشرين من عمره إلا أن يكون سيداً مقداماً له صولات وجولات ونزالات ينتصر فيها على أعدائه .

وهذا مثال آخر على ما في نفس أبي المحسّد من الشجاعة وهو من قصيدة بلغت الغاية في القوة وقد قالها مادحاً علي بن احمد بن عامر الأنطاكي حيث قال من الطويل :

أُطاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوارِسِها الدّهْرُ ... وَحيداً وما قَوْلي كذا ومَعي الصّبْرُ

وأشْجَعُ مني كلَّ يومٍ سَلامَتي ... وما ثَبَتَتْ إلاّ وفي نَفْسِها أمْرُ

تَمَرّسْتُ بالآفاتِ حتى ترَكْتُهَا ... تَقولُ أماتَ المَوْتُ أم ذُعِرَ الذُّعْرُ

وأقْدَمْتُ إقْدامَ الأتيّ كأنّ لي ... سوَى مُهجَتي أو كان لي عندها وِتْرُ

ذَرِ النّفْسَ تأخذْ وُسعَها قبلَ بَينِها ... فمُفْتَرَقٌ جارانِ دارُهُما العُمْرُ

ولا تَحْسَبَنّ المَجْدَ زِقّاً وقَيْنَةً ... فما المَجدُ إلاّ السّيفُ والفتكةُ البكرُ

وتَضريبُ أعناقِ المُلوكِ وأن تُرَى ... لكَ الهَبَواتُ السّودُ والعسكرُ المَجْرُ

وترْكُكَ في الدّنْيا دَوِيّاً كأنّما ... تَداوَلَ سَمْعَ المَرْءِ أنْمُلُهُ العَشرُ [2]

---

[1] الديوان ج٤ ص١٦٢ وشرحها بحاشية صفحتي ١٦٢ ـــ ١٦٣

[2] الديوان ج٢ ص٢٥٢ وشرحها بحواشي الصفحات ٢٥٢ ـــ ٢٥٤

والمتنبي يخبر عن مقاتلته لأحداث الدهر الجسام وحيداً ثم يعود على نفسه ويقول لست وحيداً ومعي صبر عظيم أقوى من هذه الأهوال والأحداث ويخبر عن عدم إصابة الأحداث له بسوء بمجاز رائع حيث يقول إنّ سلامتي وبقاءها معي في هذه المطاعنة أشجع مني ويواصل المتنبي حديثه عن سلامته التي جسمها في صورة آدمي يستغرب ما يحصل من مخاطراته بنفسه في الحروب حتى أنّ سلامته تسأل مستغربة هل مات الموت ؟ أم خافت المخاوف فلا تصيبك ؟

وما قولها إلا لما رأت كثرة إقدامه دون أن يلحقه أذى ، ثم يعاود التأكيد على أنّ المجد الحقيقي والشرف الرفيع ليس في شرب الخمر وسماع المغنيات ولكنه في البطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله وأن تثير الغبار بحوافر خيلك في المعارك وقد ختم هذه الأبيات بهذا الصوت الذي بلغ الدنيا بأسرها وهو قوله :

وترْكُكَ في الدّنْيا دَوِيّاً كأنّما   تَداوَلَ سَمْعَ المَرْءِ أنْمُلُهُ العَشرُ

وهذا الصوت العظيم لاشك هو صوت المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام !

ومثل هذه الأبيات السابقة في تمدحه برباطة الجأش وعدم المبالاة بالأخطار ـــ هذه الأبيات في مدحته لأبي أيوب أحمد بن عمران وفيها قوله من الكامل :

وتَرَى المُرُوّةَ والفُتُوّةَ والأبُوّ   ةَ فيّ كُلُّ مَليحَةٍ ضَرّاتِهَا

هُنّ الثّلاثُ المانعاتي لَذّتي   في خَلْوَتي لا الخَوْفُ من تَبعاتِهَا

ومَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أتَيْتُها   ثَبْتَ الجَنانِ كأنّني لم آتِهَا

ومَقانِبٍ بمَقانِبٍ غادَرْتُهَا   أقْوَاتَ وَحْشٍ كُنّ من أقواتِهَا [1]

فهو يتمدح بكرمه وسخائه وبمروءته وبعزة نفسه فهذه الصفات الجليلة تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنّما هي ضرائر لهنّ وأوضح ذلك في البيت الثاني بأنّه لا يخاف عواقب الأمور في خلوته بالحسان ولكنّ كرمه وعزة نفسه ومروءته هي تمنعه حتى لو لم يكن للشارع عقاب لهذه الأمور وهذا ينبئ عما في طبعه الكريم من الخلال الحميدة وهو هنا لا يفوته التنوية برباطة جأشه في مواطن الهلاك وهو دليل قوي على شجاعته ولقد كان من عادته أن يلقى المقنب وهو الطائفة من الخيل تجتمع للإغارة على مثلها ولكنه لا يغادرها حتى يتركها طعام للوحوش والطيور التي كانت تصطادها قبل لقاءه وتقتات بها فتحولت بعد اللقاء إلى طعام لها ! .

والمتنبي لا يهاب أبداً فقد قال عند أبي الفضل الأنطاكي من الطويل :

---

[1] الديوان ج١ ص٣٤٩ وشرحها بحواشي الصفحات ٣٤٩ ـــ ٣٥٠

لا تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنشِدُ ههُنا بَيْتاً ولكِنّي الهِزَبْرُ البـــــَاسِلُ

ما نالَ أهْلُ الجـــاهِلِيّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي ولا سمعتْ بسحري بابِلُ[١]

وهو لا يرى من يماثله في الشجاعة بين الخلائق فقال من الطويل :

أمِطْ عَنكَ تَشبيهي بمَا وَكَأنّهُ فَمَا أحَدٌ فـَــــــــوْقي وَلا أحَدٌ مِثْلي

وَذَرْني وَإيّاهُ وَطِرْفي وَذابلي نكنْ واحداً يلقى الوَرَى وَانظرَنْ فعلي[٢]

فهو يمنع أن يستخدم معه التشبيه لأنّه لا شبيه له ولا أحد أفضل منه وهو وفرسه ورمحه تكون في رأي العين شيئاً واحداً لكنّه له فعل عظيم في رقاب محاربيه فإنّ من يراه سيسره ذلك المنظر الذي تساقط فيه رقاب الأعداء والخصوم .

ولنا في قصيدته التالية وهي من قصائد صباه شاهد قوي على ما في نفسه من الشجاعة وقد أطلق فيها الوعيد والتهديد لكل من يقف في طريقه حيث يقول فيها من البسيط :

سَيَصحَبُ النّصلُ مني مثلَ مَضربه وَيَنجَلي خَبَري عن صِمّةِ الصَّمَمِ

لقد تَصَبّرْتُ حتى لاتَ مُصْـطَبَرٍ فالآنَ أقْحَمُ حتى لاتَ مُقْتَحَـــمِ

لأترُكَنّ وُجـــــوهَ الخَيْلِ ســاهِمَةً وَالحرْبُ أقوَمُ مِن ساقٍ على قَدَمِ

والطّعْنُ يُحـــرِقُها وَالزّجرُ يُقلِقُها حتى كأنّ بها ضَرْباً مِنَ اللَّمـــــَمِ

قَد كَلّمَتْها العَـــوالي فَهْيَ كـــالحَةٌ كأنّما الصّابُ مَذرُورٌ على اللُّجُمِ

بكُلّ مُنصَـــــلَتٍ ما زالَ مُنْتَظري حتى أدَلْتُ لَهُ مِنْ دَولَةِ الخـــــَدمِ

شَيخٌ يَرَى الصّلواتِ الخَــمسَ نافلةً ويَستَحِلّ دَمَ الحُجّاجِ في الحـــرَمِ

وكُلّما نُطِحَتْ تحْتَ العَجـــــاجِ بهِ أُسْدُ الكتـــــائبِ رامَتْهُ ولم يَرِمِ

تُنسِي البِلادَ بُرُوقَ الجَـــــــوّ بارِقَتي وتَكتَفي بالـدّمِ الجاري عَنِ الدِّيَمِ

رِدِي حِياضَ الرّدى يا نفسِ وَاتّركي حياضَ خوْفِ الرّدى للشّاء والنَّعَمِ

إنْ لم أذَرْكِ على الأرماحِ ســائِلَةً فلا دُعيتُ ابنَ أُمّ المَجدِ والكـَـرَمِ

أيَمْلِكُ المُلْكَ وَالأسيافُ ظامئَةٌ وَالطّيرُ جائِعَةٌ لَحْـــــــمٌ على وَضَمِ

مَنْ لَوْ رَآنيَ ماءً ماتَ مِنْ ظَمَإٍ وَلَوْ عَرَضْتُ لهُ في النّـــــوْمِ لم يَنمِ

ميعادُ كلّ رَقيقِ الشّفرَتينِ غَداً ومَن عصَى من ملوكِ العُرْبِ والعجمِ

---

[١] الديوان ج٣ ص٣٧٦

[٢] الديوان ج٣ ص٢٨١ وشرحها بحاشية الصفحة .

فإنْ أجابُوا فَما قَصدي بِهَا لَهُمُ   وَإنْ تَوَلّوْا فَمَا أرْضَى لَهـــــا بهِمِ[1]

وهذا صوت عالي يصيح المتنبي به معلنا عن شجاعته وتحديه فهو حاد كحدة سيفه لاشيء يرده عن تحقيق مبتغاه ومراده وقد نفذ صبره فلا سبيل إلا إقحام نفسه في المهالك والحروب حتى تتغير معها ألوان وجوه خيله وهي توصف بالجنون من كثرة اضطرابها ولي هنا وقفتان مع بيتين من هذه القصيدة الأولى مع قوله:

شَيخٌ يَرَى الصّلواتِ الخَمسَ نافلةً   ويَستَحِلّ دَمَ الحُجّاجِ في الحرَمِ

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة   ويستحل دم الحجاج في الحرم [2]

وهذا البيت إن أخذنا بظاهره فهو أقرب إلى الهجاء من المدح ولكني أرى أن تفسير كلمة شيخ الأقرب للمعنى هو أن الشيخ من أسماء السيف وهو ينسجم مع هذا البيت ومع معنى البيت التالي له وهو قوله :

وكُلّما نُطِحَتْ تحْتَ العَجاجِ بهِ   أُسْدُ الكتائبِ رامَتْهُ و لم يَرِمِ [3]

والعرب تتمدّح بقدم السيوف ولذا سمي بالشيخ وقيل سمي به لبياضه تشبيهاً بالشيب وقد فسر صاحب المشكل الشيخ بالمجرب وقال أي لا يعني بمفروضات الدين مبالغة في المضاء حتى لا يرده التحرج الذي يوجبه الدين فضلاً عما سواه .

وأما الوقفة الثانية فمع قوله :

تُنسِي البِلادَ بُرُوقَ الجَوّ بارِقَتي   وتَكتَفي بالدّمِ الجاري عَنِ الدِّيَمِ [4]

وقد علق العكبري على البيت بقوله " وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد بنى بويه أو بنى أرتق أو بني أيوب لنسب إلى ذلك وهم ملوك الأرض وحماتها وأرباب المغازي وولاتها[5].

أقول بأنّ المتنبي قد أراد المبالغة ليدل على كثرة ما يريق من الدماء فما يسقى الأرض من الدم الذي يسفكه ينوب عن ماء السماء ولا أرى أنّ الأمر يستحق الوصف بالحماقة كما يقول العكبري الذي كانت له أفضال كثيرة في شرحه للديوان .

وهذا قول من أقواله مرتبط بصول فقد قاله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بعد وقعة حصلت قرب بحيرة الحدث حيث نكب معظم الجيش و لم يثبت إلا المتنبي ونفر قليل مع سيف الدولة حيث يقول من البسيط :

---

[1] الديوان ج٤ ص١٥٧ وشرحها بحواشي الصفحات ١٥٧ ــ ١٦٢ .
[2] الديوان ج٤ ص١٥٩ ينظر شرح الديوان حاشية ص ١٥٩
[3] الديوان ج٤ ص١٥٩ ينظر شرح الديوان حاشية ص ١٥٩
[4] الديوان ج٤ ص١٦٠ ينظر شرح الديوان حاشية ص ١٦٠ .
[5]

أأطرَحُ المَجْدَ عَنْ كِتْفي وَأطْلُبُهُ وَأتْرُكُ الغَيثَ في غِمْدي وَأنْتَجعُ
وَالمَشْرَفِيّةُ لا زَالَتْ مُشَرَّفَةً دَواءُ كلّ كَريمٍ أوْ هيَ الوَجَعُ
وفارِسُ الخَيْلِ مَن خَفّتْ فوَقّرَهَا في الدّرْبِ والدّمُ في أعطافِهِ دُفَعُ
فَأوْحَدَتْهُ وَما في قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأغضَبَتْهُ وَمَا في لَفْظِهِ قَذَعُ [1]

فالمجد وسعة الرزق عند المتنبي يطلبان بالسيف وهو يتساءل هل أطلبهما من غير طريقهما ؟ وإذا فعل فإنه يكون كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك في غمدة ما ينتجعه .

والبيتان الأخيران يعدان من أجود الأبيات في حميمية العلاقة بين الفارس وفرسه ، فخيله وإن تركته وحيداً لا يكون في لفظة فحش ، فهو لا يقلق لشجاعته وهو حليم عليها .

وهذا مثال آخر من قصيدة يصف فيها مسيره في البوادي حيث يقول من الوافر :

أواناً في بُيُوتِ البَدْوِ رَحْلي وآوِنَةً عَلى قَتَدِ البَعِيرِ
أُعَرِّضُ للرّماحِ الصُّمّ نَحري وأنْصِبُ حُرّ وَجْهي للهَجيرِ
وأسري في ظَلامِ اللّيلِ وَحْدي كأنّي مِنْهُ في قَمَرٍ مُنيرِ [2]

فهو يصف لنا طول ارتحاله وقلة مقامه ولذا استخدم مع طول الارتحال الآونة وهي في اللغة جمع الأوان وقال في النزول أواناً فهو صاحب سفر مستمر يعرض من شجاعته نفسه دوماً للأخطار ولا يرده عن مراده شدة الحر ولا ظلمة الليل وفيه دليل على معرفته بالطرق بالإضافة إلى شجاعته فهو يهتدي إلى ما يريد في كل وقت ولا يهاب شيئاً يصده عن مراده .

وقبل أن أترك زمام الحديث عن شجاعته سأورد بعض الأدلة على تأكيدها من حوادث حياته وسأرد على بعض الشكوك حولها على النحو التالي :

الأدلة على شجاعة المتنبي :

(١) نزلاته الطويلة مع سيف الدولة في حروب الروم

صحب المتنبي سيف الدولة ثمان سنين وأصبحت قصائده في وصف حروبه مع الروم سجلاً ماثلاً وحافلاً بكل تفاصيل هذه المعارك فقد وصفها وصف الموقف المعاش عن قرب وقد قالت العرب في أمثالها ليس الخبر كالمعاينة وقد كانت معاينة المتنبي عن قرب وأنا أعتقد أن سبب ذلك يعود إلى أن المتنبي قد وجد في سيف الدولة الحمداني ضالته المنشودة ومثله الذي يسعى إليه

---

[1] الديوان ج٢ ص٣٣٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص٢٤٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

وجزم بأن طموحه سيتحقق معه بالإضافة إلى ما وجده عند الأمير العربي من الحرية والإكرام ووجد سداً لكل فراغاته النفسية ، فسيف الدولة رجل عربي الأصل يعادي العجم ويحارب الروم ويدافع عن الإسلام ويحمي ثغوره وهو من جهة أخرى رجل أديب عذب اللسان متفهم للشعر كريم العطاء وما مشاركة المتنبي في كل هذه المعارك إلا دليل واضح على قوة قلبه وأنه رجل غير هيّاب للحروب ، بل نزاع لكل شرف وقد عرفنا أن المتنبي لا يرى الشرف إلا في ظلال السيوف وساحات الوغى .

(٢) حادثة مقتله :

وسأروي هنا مقطعين من كتاب الصبح المنبي للبديعي في حادثه مقتله الأول :

" يقول أبو نصر محمد الجبّلي : " وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفسية والكتب الثمينة والآلات لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منـــزله درهماً ... فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب على أي شيء أنت مجمع ؟ قال : على أن اتخذ الليل مركباً فإن السير فيه يخف عليّ قلت : هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً وقلت له : والرأي أن يكون معك من رجاله هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد فقطب وجهه وقال : لم قلت هذا القول ؟ فقلت : لتأنس بهم ، فقال أما والجزار في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره قلت : الأمر كما تقول والرأي في الذي أشرت به عليك فقال تلويحك يبين على تعريض وتعريضك ينبي عن تصريح ، فعرفني الأمر وبيّن لي الخطب فقلت : إن هذا الجاهل فاتكا كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته طبة وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ومعه أيضاً نحو العشرين من بني عمه قولهم مثل قوله فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلاً : الصواب ما رآه أبو نصر خذ معك عشرين رجلاً يسيرون بين يديك إلى بغداد فأغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً وقال والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي .

قال أبو نصر : يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة يسيرون في مسيرك وهم في خفارتك فقال: والله لا فعلت شيئاً من هذا ثم قال : يا أبا نصر : أبخرء الطير تخشيني ؟ ومن عبيد العصا تخاف عليّ ؟ والله لو أنّ مخصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد

نظروا إلى الماء كبطون الحياة ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين ... [1] "

وقد أوردت هذه القصة لما تدل عليه من شجاعته وعدم تهيبه مع علمه بما أمامه من الخطر المحدق ولكنه أقدم و لم يحجم .

وأما المقطع الثاني من قصة قتله فعلى النحو التالي :

" قيل أن سبب قتله أنه لما ورد عن عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مرجلة محلاة ثم دس له من يسأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إنّ سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة تطبعاً ، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز إليه قوماً من بني ظبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديداً ، ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك من البسيط :

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل [2]

وهنا دلائل عدة على شجاعته أولها قوله " قاتل قتالاً شديداً ولا يفعل هذا إلا الشجعان ، فالجبناء حتما سينهزمون سريعاً والدليل الثاني بقاءه تحت معنى بيته الشعري مع علمه بتحقق حتفه وهذه قمة الشجاعة وقوة القلب على مواجهة الموت المحقق ، والثالث أنه عبّر عن رأيه و لم يهب أحداً مع علمه أنّ هذا القول قد يصل لعضد الدولة وأنّ العقاب المر قد يحل به .

(٣) مفارقة الملوك وهجائه لهم دون خوف من ملاحقتهم له وقتله

وقد فعل المتنبي ذلك مع كافور وقريباً منه مع سيف الدولة وكان المتنبي قد فارق عدداً من أمراء الشام كالتنوخيين وبدر بن عمار وابن طغج وأبي العشائر بن حمدان وإن لم يهج هؤلاء ولكنه لم يطل الإقامة في ظلال ممالكهم ويرضيهم بما يريدون من المدائح الكثيرة وهو كذلك فعل مع ابن العميد ومثله مع عضد الدولة حتى أنّه كما ذكرنا في قصة سلفت تصريحه بعدم رضاه عن عطاء عضد الدولة وأنه يرى أنه من التطبع لا من الطبع ورفضه للإقامة في بلاده وتعذره بأعذار لم تقنع عضد الدولة حتى أنّ بعض الرواة كما ذكرنا جعل لعضد الدولة يداً في مقتل المتنبي وهذه المفارقات التي لم يرضها هؤلاء الملوك والأمراء ولا شك تدل فيما تدل عليه على جنان ثابت غير هيّاب لما سيتخذون من قرارات صارمة وقد كان من بينها وأنا لا أستبعد مقتل شاعرنا الكبير على يد عضد الدولة .

[1] الصبح المنبي للبديعي ، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص١٧٤

[2] الصبح المنبي للبديعي ، ط دار المعارف ، ص١٧٥ .

(٤) ثبات المتنبي في معركة الفنا :

ثبات المتنبي وستة نفر مع سيف الدولة في معركة الفنا بعد انحسار الجيش عنهم وهي التي قال فيها قصيدته من البسيط :

غَيرِي بأكْثرِ هذا النّاسِ يَنْخَدِعُ   إنْ قاتَلُوا جَبُنوا أوْ حدّثوا شجُعُوا [١]

وقد ذكرت شروح الديوان شيئاً من تفاصيل هذه المعركة وهذا الثبات يدل على شجاعة أبي المحسّد وما من شك في ذلك .

(٥) شهادات المعاصرين له:

فهذا ابن فورجة يقول عنه :

" كان المتنبي داهية مر النفس ، شجاعاً ، حافظاً للأدب ، عارفاً بأخلاق الملوك "[٢]

ولا أظنهم يقولون هذا عنه إلا بما خبروا منه وسمعوا ما تنوقل من أخبار شجاعته .

وسأورد الرد على بعض الشكوك حول شجاعته :

(١) الرد على قصة الرقي :

ورد في كتاب الصبح المنبى [٣] هذا الخبر " حكى الرقّي عن سيف الدولة قال : كان المتنبي يسوق فرسه فأعتلقت بعمامته طاقة من الشجر المعروف بأم غيلان فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامة وتخيل المتنبي أنّ الروم قد ظفرت به فكان يصيح الأمان ياعلج قال سيف الدولة فهتفت به فقلت : أيّما علج ؟ هذه شجرة علقت بعمامتك فوّد أنّ ألأرض غيبته . فقال له ابن خالويه أيها ألأمير أليس أن ثبت معك حتى بقيت في ستة أنفار تكفيه هذه الفضيلة ؟

وآخر هذه القصة يرد على أولها فثبات المتنبي مع سيف الدولة مع خمسة رجال آخرين وفرار بقية الجيش دليل أكيد على شجاعته ويبدو أنّ القصة تشير إلى معركة الفنا هذا أولاً وثانياً أن راو القصة " الرقي" هذا كما ذكر محققا الكتاب هو من شعراء بلاط سيف الدولة المنافسين للمتنبي فلا نستبعد أن يورد مثل هذا الخبر غمزاً في المتنبي وثالثاً إن كانت هذه القصة في معركة الفنا فلا ننفي أن يهاب الشجاع تكالب أعداءه بعد أن انحسر عنه أعوانه فلا تستلزم كلمة شجاع أنه لا يهاب الموت على الإطلاق وأن يرمي بنفسه في يد أعداءه فالحذر واجب وعدم إلقاء النفس في التهلكة مأمور به في ديننا .

---

١ الديوان ج٢ ص٣٣٠

٢ الصبح المنبي ، ط دار المعارف ، ص٩٥ .

٣ المرجع السابق ص ٧٨

(٢) قصة ابن خالوية والمفتاح :

ورد في الصبح المنبي " قال عبد المحسن علي بن كوجك : عن أباه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي وأبو الطيب المتنبي وأبو عبد الله بن خالويه النحوي وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالوية مع أبي الطيب اللغوي والمتنبي ساكت فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب فتكلم فيها بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي وضعف قول ابن خالوية ، فأخرج من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبي فقال له المتنبي : أسكت ويحك فإنك أعجمي وأصلك خوزي فما لك وللعربية ؟ فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من ذلك إذا لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً[1] "

وأقول تعليقاً على هذه القصة أولاً أننا لا نعرف لابن خالوية أنه من أهل الحرب والشجاعة والضرب حتى نحكم بتفوقه على المتنبي .

وثانياً أن القصة وقعت في مجلس سيف الدولة وليس المكان والموقف هنا موقف نزال وعراك ويبدو أن المتنبي فضل عدم الاكتراث بفعل ابن خالوية وثالثاً وهو الأهم في نظري أن المتنبي أراد التدلّة على سيف الدولة ليختبر مكانته عنده ومما يقوي هذا الرأي أن الراوي قال بعد ذكر القصة مباشرة " فكان ذلك أحد أسباب فراقة سيف الدولة "

ومن هنا نستشف قوة هذا الاستنتاج وإلا فلن يعدم المتنبي صاحب التعالي على الملوك حيلة في رد فعل ابن خالويه في هذا الموقف .

(٣) الرد على قوله في كافور من البسيط :

ألا فَتًى يُورِدُ الهِنْدِيَّ هَامَتَهُ — كَيما تزولَ شكوكُ النّاسِ وَالتُّهمُ [2]

وقولهم لماذا قال " ألا فتى" و لم يكن هو هذا الفتى

وهذا ليس مناف للشجاعة بل يأتي في باب التحريض لأهل مصر على كافور فهو يريد أن يحرّض أهل مصر كلهم على كافور ثم إن الموقف ليس موقف نزال فردي حتى يتبين من الأشجع فهذا ملك بحرس وجيش وهذا فرد بنفسه .

(٤) الرد على من فسر قوله من البسيط :

---

[1] الصبح المنبي ، ط دار المعارف ، ص٨٧ .

[2] الديوان ج٤ ص٢٨١

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ؛ أَلجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ (١)

بأنه جبان يخاف لقاء الأعداد وأنّ ذلك ينافي الشجاعة

وأقول هذا تفسير من بتر البيت عن سياقة وشرحه منفرداً وأنا أعود بأهل هذا الشرح إلى البيتين السابقين للبيت حيث يقول من البسيط :

كأنّ نَفْسَكَ لا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إلاّ وَأَنْتَ على المِفضَالِ مِفضَالُ

وَلا تَعُدـــُّكَ صَوّاناً لُمهْجَتِهَا إلاّ وَأَنْتَ لهَــا في الرّوْعِ بَذّالُ

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ؛ ألجُــــودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ (٢)

فهو يقول بإنّ نفس أبي شجاع لا تعدّه قائماً بحق صيانتها حتى ببذلها في الروع ويقتحم بها المهالك ويتعرض بها لمواجهة الخطر ثم قال في البيت التالي بأن من أقدم على الحرب فهو معرض للقتل ومن جاد فهو معرض للفقر وبأنّ السيادة الحقيقية لا تتحقق دون الجود والشجاعة والبيت دون شك مفرغ عن البيتين السابقين له لا يفهم وحده وبذا يتضح أنه دعوة للشجاعة لا دليل على الجبن والخور كما قال الزاعمون .

(٢) الحديث عن وفاء المتنبي

يقول في قصيدة يمدح بها فاتكاً متحدثاً عن وفائه العظيم من البسيط :

وَإنْ تكُنْ مُحْكَماتُ الشّكلِ تمنَعُني ظُهُورَ جَرْيٍ فلي فيهِنّ تَصْهالُ

وَمَا شكَرْتُ لأنّ المـَالَ فَرّحَني سِيّانِ عِنْديَ إكْثَارٌ وَإقْـلالُ

لَكِنْ رَأيْتُ قَبيحاً أنْ يُجَـادَ لَنَا وَأنّنَا بقَضَاءِ الحَقّ بُخّـــالُ

فكُنْتُ مَنبِتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكرَهُ غَيثٌ بغَيرِ سِباخِ الأرْضِ هَطّالُ

غَيْثٌ يُبَيِّنُ للنُّظّـــارِ مَوْقِعُهُ أنّ الغُيُوثَ بمَا تَأتيهِ جُهّـالُ (٣)

فيقول عن نفسه إنه وإن كانت حاله ضيقة عن مكافأة الممدوح ما لا جازاه قولاً وقد جعل النضال مثلاً لثنائه على الممدوح وقد عبر عن وفاءه الكبير قائلاً بأن سبب شعره الجميل هو أنه وفيّ لا لأن الجوائز فرّحته فالفقر والغنى عنده سواسية ويذكر في البيت التالي أنّ سبب شكره أيضاً لأنه يرى أنه من القبح أن يجاد له بالبر والعطاء فيسكت عن الشكر لهذه النعماء ويضرب لنفسه مثلاً رائعاً بالأرض المنبتة يعني أن مطر بره لم يصادف أرضاً سبخة بل وقع على من يعرف حقه

---

١ الديوان ج٣ ص٤٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

٢ الديوان ج٣ ص ٤٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

٣ الديوان ج٣ ص٣٩٦ وشرحه بحاشية صفحتي ٣٩٦ ــ٣٩٧ .

ويذيع شكره وأكد ذلك في البيت التالي بأن ممدوحه عرف أين يرسل بره فهو ليس كغيره من الجهال الذين لا يعرفون المواطن الصحيحة لإحسانهم .

وعبر عن وفائه في هذه الأبيات بعد فراره من مصر ووصوله إلى الكوفة من المتقارب :

فَلَمّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَـــا ... حَ بَين مَكـــارِمِنَا وَالعُلَى

وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أسْيَــــــافَنَا ... وَنَمْسَحُهَا من دِماءِ العِدَى

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بالعِراقِ ... ومَنْ بالعَـــوَاصِمِ أنّي الفَتى

وَأنّي وَفَيْــتُ وَأنّي أبَيْتُ ... وَأنّي عَتَوْتُ على مَنْ عَتَا [1]

فعبر هنا عما في نفسه وكان يتحدى هؤلاء الذين استكرهوا طموحه وجابهوا شوقه للمعالي ونزوعه للمجد متفاخراً بشجاعته ووفاءه وعتوه على أعداءه .

وقد كان المتنبي نزاعاً إلى فضيلة الوفاء حتى أنني وجدته يطلب من قلبه الوفاء في أحد أبياته حيث يقول من البسيط :

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبلَ حُبّكَ من نأى ... وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنتَ وَافِيَا [2]

وهذه الرواية للواحدي وعليها أرى الدعوة للوفاء جلية واضحة فهو يطالبه بأن يكون وفياً .

ومن عظيم وفاءه حمله هم الشكر على المعروف كما قال لعضد الدولة من الوافر :

أرُوحُ وَقد خَتَمتَ على فُؤادي ... بحُبّكَ أنْ يحِلّ بهِ سِوَاكَا

وَقَد حَمّلْتَني شُكْـــــراً طَوِيلاً ... ثَقِيلاً لا أُطيقُ بهِ حَرَاكَا [3]

فهو من وفاءه يحمل هم رد الجميل لأهله حتى لا يستطيع معه الحركة والتنقل .

ولا أدل على عظيم وفاء المتنبي لمن يصاحبه وحفظه خالص الود لمن يخالطه من أنه لو رحل إلى الصبا مع أثرته وأسف النفوس على انصرام مدته لفارق شيبه موجع القلب باكياً مع أنّ الشيب مؤذن بذهاب القوة وقرب الرحيل عن هذه الدنيا المحبب البقاء فيها إلى النفس الإنسانية حيث يقول من الطويل :

خُلِقْتُ أُلُوفاً لَوْ رَجعتُ إلى الصّبَى ... لَفارَقتُ شَيبي مُوجَعَ القلبِ باكِيَا

وإني لأعدّ من الوفاء قصائده في رثاء صديقه فاتك الأسدي وكذلك في رثاء جدته حيث أن قصائد الرثاء لا تُعطى عليها الجوائز ولكنها تنظم وفاء لمن ماتوا وقيلت فيهم .

---

[1] الديوان ج١ ص١٦٥ وشرحها بحاشية الصفحة .

[2] الديوان ج٤ ص٤١٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

[3] الديوان ج٣ ص١٢٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

الفصل الرابع

الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها في مديحه لسيف الدولة

الفصل الرابع :الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها في مديحه لسيف الدولة

سأبدأ هذا الفصل محاولا تلمس الأسباب التي جعلت المتنبي معجبا أيما إعجاب بسيف الدولة حتى يمدحه بهذا الكم الهائل من المدائح وليس هذا فحسب بل إني وجدت المتنبي يكاد يقصر مدحه على سيف الدولة في هذه الفترة التي قضاها معه من سنة ثلاثمائة وسبع وثلاثين إلى سنة ثلاثمائة وست وأربعين من الهجرة وهي على النحو التالي :

المتنبي وجد طموحه عند سيف الدولة

نعم لقد وجد المتنبي عند سيف الدولة كل ما يصبو إليه مما سأوضحه في السطور التالية فقد وجد في سيف الدولة مثله الأعلى الذي كان يبحث عنه ورأى فيه طموحه الذي يلهث

وراءه كما وجد معه حريته وأستطيع أن أختصر القول في أن المتنبي قد التقى بذاته لأول مرة مع سيف الدولة وقد تعرض قبل ذلك للغربة بكل ألوانها الحسية والمعنوية فقد قال من الكامل وهي من أوائل قصائده في سيف الدولة :

كُنْ حيثُ شئتَ فما تحولُ تَنوفةٌ   دونَ اللّقاءِ ولا يَشِــطّ مَزارُ
وبدونِ ما أنا مِنْ وِدادِكَ مُضمِرٌ   يُنضَى المَطِيُّ ويَقرُبُ المُسْتارُ
إنّ الذي خَلّفْتُ خَلْفي ضــائِعٌ   ما لي على قَلَقي إلَيْهِ خِيارُ
وإذا صُحِبْتَ فكلّ ماءٍ مَشرَبٌ   لَوْلا العِيالُ وكلّ أرضٍ دارُ [1]

فهو إذن لن يمنعه عنه بعد المسافات ولا هزال الراحلة من طول السير بل إنّ مودة سيف الدولة وحبه قرّب له كل ذلك ورغم ضياع من خلّف وراءه وترك برحيله عنهم إلا أنه تخيّر البقاء مع سيف الدولة رغم الاشتياق والقلق على عياله، ولا شك أنه لن يفعل ذلك إلا لما وجد في سيف الدولة من المثل الأعلى المنشود ولأنه شعر بالامتزاج الكامل بين ما تطمح إليه نفسه وبين إمكانية تجسيد ذلك واقعاً مع سيف الدولة ويتفرع عنه الأسباب التالية .

أولاً : منـــزع العروبة وكراهية العجم

أقصد بالعروبة هنا الإحساس الذي حمله المتنبي بين جوانحه بالشخصية العربية كما عرفت في الجاهلية وما تلاها متمثلة في معاني البطولة والمروءة والفداء وكل ما يتصل بالمثل الأعلى للفتى العربي كما تجسده القيم العربية الأصيلة وهي التي تعرضت لهزات قوية بسبب ما تعرضت له بغداد والكوفة وبقية حواضر الشام من سيطرة الترك والديلم ولذا لـــمّا وجد هذه القيم متمثلة في شخصية سيف الدولة هام بها أيّما هيام وقطع مديحه عليها وقصر الحديث عن نفسه في المدائح إليها وامتزجت دواخل نفسه بها دليلا على الإعجاب ورافقها حلا وترتحالا حربا وهدنة .

ثانياً : توافر قيم الفروسية والشجاعة في سيف الدولة

لقد كانت أولى الصفات التي امتدحها المتنبي في سيف الدولة هي صفات الفروسية حيث وصفه بالشجاعة والإقدام وذلك من خلال المعارك التي خاضها المتنبي مع سيف الدولة وسنجد ذلك من أول وهلة في أولى قصائده من الطويل والتي مطلعها:

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجاهُ طاسمه   بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجِمُهْ

---
[1] الديوان ج٢ ص١٩٢ وشرحها بحاشية الصفحة .

ووجدته في هذه القصيدة يصوره صورة الفارس العربي المنتصر على أعداءه الروم ويفخّم هيبته عند أعداءه حيث يقول:

لَهُ عَسكَرَا خَيْلٍ وطَيرٍ إذا رَمَى ... بها عَسكَراً لم يَبقَ إلاّ جَماجِمُهْ
أجلّتُها مِنْ كلّ طاغٍ ثِيــــابُهُ ... ومَوْطِئُها مِن كلّ باغٍ مَلاغِمُهْ
فَقَدْ مَلّ ضَوْءُ الصّبْحِ مّما تُغيرُهُ ... ومَلّ سَوادُ اللّيلِ مّما تُزاحِــمُهْ
ومَلّ القَنَا مّما تــَــدُقّ صُدورَهُ ... ومَلّ حَديدُ الهِنْدِ مّما تُلاطِــمُهْ [1]

والمعنى : يسلب ثياب كل طاغٍ من ملوك الروم فيتخذ منها أجله لخيله وهي ما يجعل على ظهر الدابة وهو يوطئ حوافرها وجه كل باغ من أعداءه وهذا لا يتم إلا بعد الانتصار وتمام الظهور عليهم .

ويقول له في موضع آخر من مدائحه من الوافر:

ونَدعوكَ الحُسامَ وهَلْ حُسامٌ ... يَعيشُ بهِ مِنَ المَوْتِ القَتيلُ
وما للسّيفِ إلاّ القَطْعَ فِعْلٌ ... وأنْتَ القاطعُ البَرُّ الوَصُولُ
وأنْتَ الفارِسُ القَوّالُ صَبْراً ... وقَد فَنيَ التكلّمُ والصّهيلُ
يَحيدُ الرّمحُ عنكَ وفيهِ قَصْدٌ ... ويَقصُرُ أنْ يَنالَ وفيهِ طُولُ
فلَوْ قَدَرَ السّنانُ على لِسانٍ ... لَقالَ لكَ السّنانُ كما أقولُ [2]

وكل الأبيات تركيز لصفات الفروسية والشجاعة فهو حسام قاطع وفارس نبيل حتى بلغ الأمر أن الرماح ستمتدحه لما ترى من شجاعته وهو يمدحه بهذه الصفات في معظم أماديحه ولنأخذ هذا المثال أيضا من الكامل :

الجَيشُ جيشُكَ غيرَ أنّكَ جيشهُ ... في قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وشِمــالِهِ
تَردُ الطّعانَ المُرّ عَنْ فُرْسَــانِهِ ... وتُنازِلُ الأبطالَ عَن أبْطالِهِ
كُلٌّ يُريدُ رِجــــــالَهُ لحَيَاتِهِ ... يا مَنْ يُريدُ حَيَاتَهُ لرِجَــالِهِ
دونَ الحَلاوَةِ في الزّمانِ مَرارَةٌ ... لا تُختَطَى إلاّ على أهْوالِهِ
فَلِذاكَ جاوَزَها عَليٌّ وَحْــدَهُ ... وَسَعَى بمُنْصُلِهِ إلى آمَــالِهِ [3]

ثالثاً : حرب سيف الدولة للروم

---

[1] الديوان ج٤ ص٥٥ وشرحها بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص١٣٩ وشرحها بحاشية الصفحة .
[3] شرح الديوان ، ٣ /١٩٠

لما كانت الروم تمثل قوة عظمى وخطرا داهماً على المسلمين كانت حماية الثغور ومباغتة الأعداء بالهجوم تمثل هاجساً كبيرا لدى المسلمين ولذا كانت الحرب ضد الروم تمثل قمة الشجاعة والبروز ولذا وجدت المتنبي يذهب إلى أرض المعارك بنفسه ويخاطر بها ووجدته يصف معارك الروم وصف مشاهدة دقيقة ووجدته يمجّد نصر المسلمين على الروم أيّما تمجيد ويُسمع الدنيا دويّ هذه المعارك والأمثلة كثيرة متعددة من شعره على ذلك حيث يقول من الوافر :

الجَيشُ جيشُكَ غيرَ أنّكَ جيشهُ ... في قَلْبهِ وَيَمِينهِ وشِمــالِهِ
تَردُ الطِّعانَ المُرّ عَنْ فُرْسَــانهِ ... وتُنازِلُ الأبطالَ عَن أبْطالِهِ
كُلٌّ يُريدُ رِجـــــالَهُ لحَيَاتِهِ ... يا مَنْ يُريدُ حَيَاتَهُ لرِجَــالِهِ
دونَ الحَلاوَةِ في الزّمانِ مَرارَةٌ ... لا تُختَطَى إلاّ على أهْوالِهِ
فَلِذاكَ جاوَزَها عَليٌّ وَحْــدَهُ ... وَسَعَى بمُنْصُلِهِ إلى آمَــالِهِ [1]

وقال في موضع آخر من الطويل :

وَقَدْ عَلِمَ الرّومُ الشّقِيّـــونَ أنّنَا ... إذا ما تَرَكْنا أرْضَهُمْ خـلفَنا عُدْنَا
وَأنّا إذا ما المَوْتُ صَرّحَ في الوَغَى ... لبسنا إلى حاجاتِنا الضّرْبَ والطّعْنَا
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الحَبيبِ لِقاؤهُ ... إلَيْنا وَقُلْنَا للسّيُـــــوفِ هَلُمّنّا [2]

ويقول أيضا من الطويل :

وَأنّكَ رُعْتَ الدّهْرَ فيهَا وَرَيبَهُ ... فإنْ شَكَّ فليُحدِثْ بساحتِها خَطْبَا
فيَوْماً بخَيْلٍ تَطْرُدُ الرّومَ عنهُمُ ... وَيَوْماً بجُودٍ تطرُدُ الفقــرَ وَالجَدْبَا
سَراياكَ تَترَى والدُّمُستُقُ هاربٌ ... وَأصْحــــابُهُ قَتْلَى وَأمْوالُهُ نُهْبَى
أتَى مَرْعَشاً يَستَقرِبُ البُعدَ مُقبِلاً ... وَأدبَرَ إذ أقبَلْتَ يَستَبعِــدُ القُرْبَا [3]

إلى أن يقول :

وَلَكِنّهُ وَلّى وَللطّعْنِ سَــــوْرَةٌ ... إذا ذَكَرَتْها نَفْسُـــــهُ لَمسَ الجَنْبا
وَخَلّى العَذارَى والبَطاريقَ والقُرَى ... وَشُعْثَ النّصارَى والقَرابينَ وَالصُّلبَا

---

[1] شرح الديوان ، ٣٦١/١
[2] شرح الديوان ، ٣٠٠/٤
[3] شرح الديوان ، ١٨٨/١

ويعد وصف المتنبي لحروب سيف الدولة للروم من أبرز ما فعل معه وهذا يدل على تولعه بحروب الأعداء الروم وأنه يجعل ذلك من أسمى مراتب الشجاعة ومن أعلى المطالب والأماني التي سعى لتحقيقها .

رابعاً : توفر الترف والعطاء في بلاط سيف الدولة

كان سيف الدولة معجبا بأبي الطيب من أول أمره وكان يغدق عليه العطاء سواء لقوله القصائد أو لمناسبات أخرى ولا أدلّ على ذلك من الحقد الكبير الذي حمله عليه جلساء سيف الدولة وشعراء البلاط الحمداني بما فيهم ابن عم سيف الدولة أبو فراس وسأذكر هذا الخبر عن صاحب الصبح المنبي " قال ابن الدهان في المآخذ الكندية من المعاني الطائية: إن أبا فراس قال لسيف الدولة : إنّ هذا المتشدق كثير الادلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره ..[1] " ونستدل من هذا الخبر على أن سيف الدولة ولا شك كان يغدق العطاء لأبي محسّد والأخبار كثيرة على عطاياه للمتنبي من الخيول والعبيد والسيوف والضياع وغيرها وسنأخذ عدة من أبياته للدلالة على جزالة العطاء الذي ناله في البلاط الحمداني حيث يقول في قصيدة هجاء لكافور من الطويل :

أقيم على عبد خصي منـــــافق   لئيم رديء الفعل للجـــود مدّعى
وأترك سيف الدولة الملك الرضا   كريم المحيــــا أروعا وابن أروع
فتى بحره عذب ومقصـــده غنى   ومرتع مرعى جوده خير مـــرتع
تظل إذا ما جئته الـــــدهر آمنا   بخير مكان بل بأشرف مـــوضع

وقد أبان المتنبي عن أهم أسباب ارتباطه بسيف الدولة في قصيدته من المتقارب التي مطلعها:

فَهِمْتُ الكِتابَ أَبَرَّ الكُتُبْ   فَسَمْعاً لأمْرِ أميرِ العَرَبْ [2]

حيث قال فيها:

وَما قِسْتُ كُلَّ مُلوكِ البِلادِ   فدَعْ ذِكْرَ بَعضٍ بمَن في حلَبْ
وَلَوْ كُنْتُ سَمّيْتُهُمْ باسْـــمِهِ   لَكانَ الحَديدَ وَكانُوا الخَشَبْ

---

[1] الصبح المنبي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ص٨٧
[2] الديوان ج١ ص٢٢٥

أفي الرّأيِ يُشْبَهُ أمْ في السّخَا ءِ أمْ في الشّجاعةِ أمْ في الأدبْ [1]

حيث عدّ حسن رأيه وكرمه وكثرة عطاءه وشجاعته وكمال فهمه للأدب والشعر من أهم أسباب ارتباطه به .

خامساً : حب سيف الدولة للأدب وفهمه للشعر

سأستشهد هنا برأي خبير ودارس لشعر المتنبي وحياته ومن أكثر من دقق النظر في أدبه وهو الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله في كتابه المتنبي حيث قال: " و لم يكن سيف الدولة يجهل ما سيكون من هذا الرجل أول ما لقيه بل يقينا أنه كان قد انكشفت له نفسية أبي الطيب فأخذها من حيث ينبغي أن تؤخذ ، وعرف أن هذا الذي مدحه بأنطاكيه سيكون مخلد ذكره وحافظ أخباره وصفاته في شعره وليس مثل سيف الدولة يغفل عن ذلك أو يتجاوزه بصره ، فقد كان سيف الدولة أديبا شاعرا ، نافذا في إدراك أسرار البيان ..." [2]

ولا أدل على ذلك من توافد كم كبير من الشعراء والأدباء والنقاد على بلاط سيف الدولة حيث كان يحصل في بلاطه الكثير من المماحكات الأدبية وكان سيف الدولة يضرم سعيرها ويشعلها بنفسه كما حصل في قصة أبي الطيب مع ابن خالويه التي أضرمها سيف الدولة .. "

وسأذكر هنا هذه القصة التي أوردها صاحب الصبح المتنبي حيث قال: " استنشد سيف الدولة أبا الطيب يوما قصيدته التي مدحه بها وقد سار لبناء الحدث وذكر إيقاعه بالدمستق وكشفه له وقتله خلقا من أصحابه وأسره صهره وابن بنته وإقامته على الحدث إلى أن بناها ... ولما بلغ المتنبي إلى قوله من الطويل :

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِمُ [3]

تَمُرّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً وَوَجْهُكَ وَضّـــاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ [4]

قال سيف الدولة قد انتقدهما عليك كما انتقد على امرئ القيس قوله :

كأني لم أركب جـــوادا للذة و لم أتبطن كاعبا ذات خلخال

و لم أسبأ الزق الردى و لم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفـــال

فبيتاك لم يلتأم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس وكان ينبغي له أن يقـــــول:

كأني لم اركب جوادا و لم أقل لخيلي كرى كرة بعد اجفال

---

[1] الديوان ج٤ ص ٢٢٧

[2] المتنبي لمحمود شاكر طبعة دار المدني ، ص٣٢٤

[3] الديوان ج٤ ص١٠١

[4] الديوان ج٤ ص ١٠٢

و لم أسبأ الـــــزق الروي للذة   و لم أتبطن كاعبا ذا خلخـــال

وكذلك كان ينبغي أن تقول:

وَقَفْتَ وَما فِي المَوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ   كأنّكَ فِي جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِمُ
تَمُرّ بكَ الأبطـــالُ كَلْمَى هَزيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُـــكَ باسِمُ

فقال المتنبي : إن صح أنّ الذي استدرك على امرئ القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك لأن البزاز يعلم جملته والحائك يعلم تفاصيله ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد والشجاعة في منازلة الأعداء بالسماحة في شراء الخمر للأضياف للتضايف بين كل من الفريقين وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤما ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوسا وعينه باكية قلت: ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى، فأعجب سيف الدولة كلامه[1] "

وفي الخبر السالف دلالة جلية على فهم سيف الدولة العميق للشعر ودراية عريضة بنقد الشعر ومعرفة عميقة للأشعار وحفظ واسع لأشعار العرب ومقولاتهم النقدية وهذا ما جعل المتنبي يبلغ بدرجات إجادته الشعرية أقصاها فهو يعرف أنه سيعرض بضاعته على خبير بها عالم بأسرارها . وسأحاول أن أتعرض لجوانب نفسية رائعة أبرزها المتنبي في مدائحه لسيف الدولة حيث صوّر إعجابه به بطرق شتى على النحو التالي:

أولا: ارتمائه بكل ما يملك إلى سيف الدولة

لقد كان من المتعارف عليه أن يذهب الشعراء المداحون إلى بلاط الخلفاء والوزراء والأمراء ليلقوا قصائدهم المادحة ثم يعودوا أدراجهم إلى محالهم ولكن المتنبي غيّر هذا المفهوم حيث فارق الأهل والديار وترك العيال والأصحاب وانقطع إلى سيف الدولة وعاش في كنفه وصحبه في حله وترحاله وخاصة في رحلاته الحربية ضد الروم والشواهد على ذلك من شعره كثيرة متعددة حيث يقول من الكامل :

كُنْ حيثُ شئتَ فما تحولُ تَنوفةٌ   دونَ اللّقاءِ ولا يَشِطّ مَزارُ
وبدونِ ما أنا مِنْ وِدادِكَ مُضمِرٌ   يُنضَى المَطِيُّ ويَقرُبُ المُسْتارُ
إنّ الذي خَلّفْتُ خَلْفي ضـــائِعٌ   ما لي على قَلَقي إلَيْهِ خِيارُ

---

[1] الصبح المنبي للبديعي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص٨٥

وإذا صُحِبْتَ فكلّ ماءٍ مَشرَبٌ   لَوْلا العِيالُ وكلّ أرضٍ دارُ [1]

وقد شرحت الأبيات وبيّنت أنّ المتنبي لم يجعل حائل بينه وبين صحبة سيف الدولة لا البعد ولا الراحلة وحتى عياله لم يمنعه بعدهم عنه من مصاحبة سيف الدولة .

ثانيا: توحد المتنبي مع ممدوحه سيف الدولة وإعجابه العظيم به

لقد وجدت المتنبي في مدائحه لسيف الدولة يؤخر نفسه عن ممدوحه بل رأيت أنه يوقف قصائد بأكملها على مدح ممدوحه فتبدأ القصيدة وتنتهي به وفي اعتقادي أنه لم يفعل ذلك إلا عندما شعر بالتوحد الكامل والامتزاج الروحي بينه وبين سيف الدولة وذلك لما رأى فيه من الصفات التي ذكرتها آنفا والتي من أجلها استحق سيف الدولة عنده هذا التقريظ الباهر حتى جلجلت الدنيا بأسرها مع المتنبي باسم سيف الدولة وحفظه التاريخ مع القلائل الذين خلدهم شعر العظماء كالمتنبي وسأضرب بعض الأمثلة على ذلك حيث يقول مادحا سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن إنطاكية من الخفيف :

لَيتَ أنّا إذا ارْتَحَلْتَ لكَ الخَيْـــ   ـــلُ وأنّا إذا نَزَلْتَ الخِـــيامُ

كُلَّ يَوْمٍ لكَ احْتِمــــالٌ جَديدٌ   ومَسيرٌ للمَجْـــــدِ فيهِ مُقامُ

وإذا كانَتِ النّفـُوسُ كِبـاراً   تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْســامُ

وكَذا تَطْلُعُ البـُـــــدورُ عَلَيْنَا   وكَذا تَقْلَقُ البُحورُ العِظــامُ

ولَنَا عادَةُ الجَميــلِ منَ الصّبْـــ   ـــرِ لَوَ انّا سِوَى نَوَاكَ نُسامُ

كُلُّ عَيْشٍ ما لم تُطِبْهُ حِمــامٌ   كلُّ شَمسٍ ما لم تكُنْها ظَلامُ [2]

فهو يتمنى صحبته في كل وقت ليقيه من الأذى ويتحمل عنه الردى وهو مستعد بالصبر على كل شيء سوى الصبر على فراق سيف الدولة ولكنه لا طاقة له ببعد سيف الدولة فبعده عنه ينغّص عيشه وأيامه تُظلم بفراقه فهو لا يرضى إلا بالتوحد مع سيف الدولة.

وقد كان كذلك من أول أمره مع سيف الدولة فقد قال هذا البيت المجلجل في أول قصيدة مدحه بها سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله إنطاكية في القصيدة من الطويل والتي مطلعها :

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجاهُ طاسِمه   بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجِمُهْ [3]

---

[1] الديوان ج٢ ص١٩٢
[2] الديوان ج٤ ص٦٥وشرحها بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص٤٣

وبيّن أنّ ما جعله يمدح سيف الدولة هو غيرة داخلية وأمر نفسي حيث رأى الشعراء يهذون ويطمطمون بكلام لا يصل لمرتبة سيف الدولة حيث يقول :

غَضِبْتُ لَهُ لَمّا رَأَيْتُ صِفاتِهِ ... بلا واصِفٍ والشِّعرُ تَهذي طَماطِمُهْ [1]

حيث أن الشعراء قصرّوا في مدحه فأراد أن ينصفه بما يستحق من المدح ويضعه في المكان المناسب لعلو أفعاله وصفاته .

ولقد كان المتنبي شاعرا غاية في الذكاء فاستفاد من الطاقات المعنوية الموجودة في اسم سيف الدولة ولقبه لينفث إعجابه من خلالها وسأضرب لذلك أمثلة متنوعة من أشعاره توضح هذه الفكرة وتجلّيها على النحو التالي :

شفي سيف الدولة من المرض فقال قصيدة يهنئه بالشفاء فيها ووصفه فيها بأنه سيف خاص وليس ككل السيوف وإن تشابه معها في الاسم فهو متميز عنها في صفاته حتما حيث يقول من البسيط :

يُسْمَى الحُسامَ ولَيستْ من مُشابَهَةٍ ... وَكَيفَ يَشتَبهُ المَخدومُ وَالخَدَمُ

تَفَرّدَ العُرْبُ في الدّنْيا بمَحْتِدِهِ ... وَشارَكَ العُرْبَ في إحسانِهِ العَجَمُ

وَأخْلَصَ اللهُ للإسْلامِ نُصْرَتَهُ ... وَإنْ تَقَلّبَ في آلائِهِ الأُمَمُ [2]

وسيف الدولة سيف نزاري اعروبي خالص كما يقول من الطويل :

تُهابُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَهْيَ حَدائِدٌ ... فكَيْفَ إذا كانَتْ نِزارِيّةً عُرْبَا [3]

وهو سيف منتقى ليناسب هذه الدولة التي هي خير الدول كما يقول من البسيط :

إنّ الهُمَامَ الذي فَخْرُ الأنَامِ بِهِ ... خيرُ السّيوفِ بكَفّيْ خيرَةِ الدّوَلِ [4]

وهذا السيف لا يفل له حد أبدا كما يقول من البسيط :

كلُّ السّيوفِ إذا طالَ الضّرَابُ بهَا ... يَمَسُّهَا غَيرَ سَيفِ الدّوْلَةِ السّأمُ [5]

وهذا السيف من بين بقية السيوف هو سيف الله كما يقول من المتقارب :

أيَا سَيفَ رَبّكَ لا خَلْقِهِ ... وَيَا ذا المَكارِمِ لا ذا الشُّطَبْ [6]

---

[1] الديوان ج٤ ص٥٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٩٢
[3] الديوان ج١ ص١٨٦
[4] الديوان ج٣ ص٢٠٥
[5] الديوان ج٤ ص١٣٠
[6] الديوان ج١ ص٢٢٨

والمولى القدير سبحانه ثبت بهذا السيف – دون غيره – أمره كما يقول من الطويل :

فأَنْتَ حُسامُ المُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ   وَأَنْتَ لِواءُ الدّينِ وَاللهُ عَاقِدُ [(١)]

وهذا السيف يفل بحده رقاب الأعداء كما يقول من الوافر :

وكنتَ السّيفَ قائِمُهُ إلَيْهِمْ   وَفي الأعداءِ حَدُّكَ وَالغِرارُ

فَأمْسَتْ بالبَدِيّةِ شَفْرَتَاهُ   وَأمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الحِيارُ [(٢)]

فقد كان سيفا لهم مقبضه في أيديهم وحدّه في أعدائهم فلما عصوه صارت شفرتاه حيث هم أي بالبدية وهو اسم مكانهم وجاوز الحيار وهو موقع بينه وبين البديّة مسير ليلة حتى صار خلفهم وأهلكهم بسيفه الذي كان يذود به عنهم .

وهذا السيف ليس للقطع فقط بل له مميزات خاصة كما يقول من الوافر :

ونَدعوكَ الحُسامَ وهَلْ حُسامٌ   يَعيشُ بهِ مِنَ المَوْتِ القَتيلُ

وما للسّيفِ إلاّ القَطْعَ فِعْلٌ   وأنْتَ القاطعُ البَرُّ الوَصُولُ [(٣)]

ثالثاً : انتشار لغة الحب ومخاطبة سيف الدولة بمخاطبة المحبوب

لقد لاحظ هذه الظاهرة وعللها في شعر المتنبي كثير من الدارسين ،كان أولهم الثعالبي في يتيمته حيث أفرد لها فصلا خاصا ويرى أنها مذهب خاص تفرّد به المتنبي[(٤)] وقد حاول الدكتور مندور في كتابه في الميزان الجديد أن يجد توضيحا أكثر لهذه الظاهرة حيث يقول :" ولقد أحب _المتنبي _ سيف الدولة حبا حقيقيا إذ رأى فيه رجلا شهما كريما وزاده حبا كونه عربيا في زمن غلب فيه الأعاجم وسيطروا على العرب في كل مكان إلا في حلب حيث كان يرابض الحمداني يحمي الثغور ضد الروم ثم يخضع القبائل الثائرة ويتابع النصر بالعفو عنهم ليضمهم إلى جانبه في دفاعه المجيد ضد أمراء بيزنطة أعداء العرب جميعا " ،وأقول بأن هذا الحب العظيم جاء لأن القضية كانت عند المتنبي قضية قيم توافرت جميعها – كما ذكرت آنفا– في شخصية وأفعال سيف الدولة فكان هذا الحب نتاجا طبيعيا لذلك[(٥)] .

ولقد صرح به المتنبي في معظم أماديحه حيث يقول من الطويل :

---

[١] الديوان ج١ ص٤٠٠

[٢] الديوان ج٢ ص٢٠٥

[٣] الديوان ج٣ ص١٣٩

[٤] يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٣٧ ط دار الكتب العلمية بيروت

٥ في الميزان الجديد لمحمد مندور طبعة مكتبة نهضة مصر الطبعة الثالثة ص ١١٠

أُحِبّكَ يا شَمسَ الزّمانِ وبَدْرَهُ وَإنْ لامَني فيكَ السُّهَى والفَراقِدُ
وَذاكَ لأنّ الفَضْلَ عندَكَ بَاهِرٌ وَلَيسَ لأنّ العَيشَ عندَكَ بارِدُ
فإنّ قَليلَ الحُبّ بالعَقْلِ صالِحٌ وَإنّ كَثيرَ الحُبّ بالجَهْلِ فاسِدُ [1]

وهذا الحب العظيم قد ترك آثاره على المتنبي كما يقول من البسيط:

وَاحَـــــــرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ [2]

وقد وجدت المتنبي يستخدم في مدائحه لسيف الدولة مفردات قاموس الغزل كالحب والوجد واللقاء والوداد والجوى والعشق فقد قال لسيف الدولة من البسيط :

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ [3]

وقال له أيضا من المتقارب :

وإنّي لأعْشَقُ مِنْ أجْلِكُمْ نُحُولي وكلَّ امرىءٍ ناحِلِ [4]

وقال له أيضا من الطويل :

فدَيناكَ أهدى النّاسِ سَهماً إلى قَلبي وَأقتَلَهُم للدّارِعِينَ بِلا حَربِ [5]

وقال له من الطويل :

وَنُصْفي الذي يُكنى أبا الحسنِ الهَوَى وَنُرْضِي الذي يُسمى الإل؟هَ وَلا يُكنى [6]

وكل هذه مفردات خاصة بالغزل وغيرها كثير في أماديح المتنبي لسيف الدولة .

رابعاً : توسيع دائرة المدح

لم يكتف المتنبي بحدود الوصف الجزئي في مدائحه بل أكثر من توسيع دائرة مدحه لتخرج من حدود الفردية إلى تعميم الصورة لتصبح صالحة لكل زمان فقد تجاوز حدود الزمان والمكان وقد وجدت أنه يستغل ظروف ووقت سيف الدولة ليكثف القصيدة بآرائه الفكرية وومضاته النفسية وقد فعل ذلك في معظم مدائحه لسيف الدولة وسأضرب الأمثلة على ذلك:

---

[1] الديوان ج١ ص ٤٠٣ـــ٤٠٤
[2] الديوان ج٤ ص٨٠
[3] الديوان ج٤ ص٨٧
[4] الديوان ج٣ ص١٥٣
[5] الديوان ج١ ص١٧٢
[6] الديوان ج٤ ص٢٩٩

أراد أن يمدحه بعد أن أوقع بالروم في إحدى غزواته فافتتح قصيدته وختمها بأبيات هي من أوسع ما يمكن حيث امتلأت بنظراته عن الصراع فقال من الخفيف :

ذي المَعَالي فلْيَعْلُوَنْ مَن تَعَالى   هَكَذا هَكَذا وَإلاّ فَلا لا
شَرَفٌ يَنْطِحُ النّجومَ برَوْقَيْـــ   ــــهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأجْبَالا [1]

وهو افتتاح قوي مجلجل ولقد وسّع فيه المتنبي ما شاء من التوسع وختمه بهذه النظرات عن الصراع فهو لا يفوّت فرصة ليذكر فيها آراءه عن الصراع والحياة والموت وشكاياته من الدهر ومن المتربصين فقال :

إنّمَا أنْفُسُ الأنيسِ سِبَـــاعٌ   يَتَفَـارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيالا
مَنْ أطاقَ التِماسَ شيءٍ غِلاباً   وَاغْتِصاباً لم يَلْتَمِسْهُ سُؤالا
كُلُّ غادٍ لحَـــــاجَةٍ يَتَمَنّى   أنْ يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالا [2]

ومدحه بعد إحدى غزواته فعمّم القول حتى غدت أبياته التي افتتح بها القصيدة أمثالا شوارد ومقولات رددها كل من تلاه من المادحين قائلا من الكامل :

الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشّجْعانِ   هُوَ أوّلٌ وَهيَ المَحَـــلُّ الثّاني
فإذا همَا اجْتَمَعَـــا لنَفْسٍ حُرّةٍ   بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كلّ مكانِ
وَلَرُبّمـــــا طَعَنَ الفَتى أقْرَانَهُ   بالرّأيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأقرانِ
لَوْلا العُقولُ لكانَ أدنَى ضَيغَمٍ   أدنَى إلى شَرَفٍ مِنَ الإنْسَانِ [3]

فهل يمكن لأحد أن يعمم إلى أبعد من هذا الحد الذي صارت معه هذه الأبيات لكل حالة إنسانية مشابهة مثلا ومضربا ورُدّدت على كل لسان ، وهذا القول يشمل معظم أماديحه ولا أدلّ على ذلك من ذلك الاستهلال الذي أصغت له أذن الدهر وحفظه كل من عرف الشعر بعد المتنبي لّما مدح سيف الدولة بعد بنائه ثغر الحدث حيث قال من الطويل :

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ   وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها   وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ [4]

خامساً : إعجاب المتنبي بأقارب سيف الدولة كافة .

---

[1] الديوان ج٣ ص٢٥٤
[2] الديوان ج٣ ص٢٦٦
[3] الديوان ج٤ ص ٣٠٧ـ٣٠٨
[4] الديوان ج٤ ص٩٤

لقد امتد إعجاب المتنبي بسيف الدولة إلى كل أقاربه وقومه فصور إعجابه بهم في صور متعددة وسأورد هنا شواهد متعددة على هذا الإعجاب المتناهي فقد قال عن قومه من الطويل :

هُمُ المُحسنونَ الكرَّ في حومةِ الوَغى　　　وأحْسَنُ منهُ كَرُّهُمْ في المَكارِمِ
ولَوْلا احتِقِـــارُ الأُسدِ شَبّهتُهمْ بها　　　ولكِنّها مَعــدودَةٌ في البَهائِمِ (1)

وقال عنهم أيضا:

إنّكَ مِنْ مَعشَرٍ إذا وَهَبُوا　　　ما دونَ أعمارِهمْ فَقد بَخِلُوا

وقال أيضا من الرجز :

إنْ كنتَ عَنْ خَيرِ الأنَامِ سَائِلا　　　فَخَيْرُهُمْ أكثَرُهُمْ فَضائِلا
مَن أنتَ مِنهـــمْ يا هُمامَ وَائِلا　　　ألطّاعِنينَ في الوَغَى أوَائِلا
وَالعاذِلِينَ في النّدَى العَــواذِلا　　　قد فَضَلوا لفَضْلِكَ القَبَائِلا (2)

وقال في عبد الله بن علي سيف الدولة راثيا له من الطويل :

ألَستَ منَ القَوْمِ الأُلى مِنْ رِماحِهمْ　　　نَداهُم ومِن قتلاهُمُ مُهجةُ البخلِ
بمَوْلودِهِمْ صَمْتُ اللّســانِ كغَيرِهِ　　　ولكِنّ في أعْطافِهِ مَنطِقَ الفضــْلِ
تُسَلّيهِمِ عَلْياؤهُمْ عَن مُصـــابِهِمْ　　　ويَشغَلُهُمْ كسبُ الثّناءِ عن الشغلِ
أقَلُّ بــَــــــلاءً بالرّزايَا مِنَ القَنَا　　　وأقْدَمُ بَينَ الجَحْفَلينِ من النَّبْـلِ (3)

وقال مادحا لقومه من الطويل :

تُهابُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَهْيَ حَدائِدٌ　　　فكَيْفَ إذا كانَتْ نِزارِيّةً عُرْبَا (4) ؟

وقال معبرا عن شديد الإعجاب في رثائيته لوالدة سيف الدولة شعرا خلّده في المراثي لما كان فيه من عظيم الإعجاب من الوافر :

وهَذا أوّلُ النّاعينَ طُرّاً　　　لأوّلِ مَيْتَةٍ في ذا الجَلالِ
كأنّ المَــوْتَ لم يَفْجَعْ بنَفْسٍ　　　و لم يَخْطُرْ لَمخلُوقٍ بِــــبالِ
صَلاةُ الله خالِقِنا حَنُــــوطٌ　　　على الوَجْهِ المُكَفَّنِ بالجَمَالِ
على المَدْفونِ قَبلَ التُّرْبِ صَوْناً　　　وقَبلَ اللّحدِ في كَرَمِ الخِلالِ

---

1 الديوان ج٤ ص٢٤٢
2 الديوان ج٣
3 الديوان ج٣ ص١٧٢ـ١٧٣
4 الديوان ج١ ص١٨٦

فإنّ لهُ ببَطْنِ الأرْضِ شَخْصاً   جَديداً ذِكْرُناهُ وهْوَ بـَالِ
أطابَ النّفسَ أنّكِ مُتِّ مَوْتاً   تَمَنّتْهُ البَوَاقي والخَـــــوَالي
وزُلْتِ و لم تَرَيْ يَوْماً كَريهاً   تُسَرّ النّفسُ فيهِ بالزـــوّالِ [١]

إلى أن بلغ قوله:

ولوْ كانَ النّســـــاءُ كمَنْ فَقَدْنا   لفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ   ولا التـّــذكيرُ فَخرٌ للهِلالِ [٢]
وأفجَعُ مَنْ فَقَدْنــــا مَن وَجَدْنا   قُبَيلَ الفَقْدِ مَفْقُـــــودَ المِثالِ

وكانت هذه القصيدة من المراثي التي حفظها الدهر ورددها التاريخ ووعاها كل أهل الأدب الذين جاءوا بعد المتنبي إلى يومنا هذا ، وأمّا حديث المتنبي عن أخت سيف الدولة فسيأتي بيانه في فصل تصويره لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة بإذن الله.

الفصل الخامس

[١] الديوان
[٢] الديوان

الجوانب النفسية الوضيعة التي
أبرزها في هجاءه لكافور وغيره

الفصل الخامس :

الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاءه لكافور وغيره

هجا المتنبي في أشعاره كافور وابن كيغلغ وابن كرّوس وسوار ووردان وضبّة وكان لهجاءه لهم أسباب مختلفة سأعرض لها مبتدأً بهجائه لكافور لأنه أبرز المهجوين وأكثر من قيلت فيه أبيات الهجاء كما يقول د. النعمان القاضي في بحثه كافوريات أبي الطيب ((بينما يبلغ عدد أبيات أهاجيه في كافور مائة وأربعة وسبعين وأما ما مدح به غير كافور فيبلغ خمسة وخمسين بيت وما هجا به غير كافور فيبلغ ثمانية عشر بيتا ...[1]))

وسأحاول أن أتوصل لأسباب هجاءه لكافور على النحو التالي:

[1] كافوريات أبي الطيب للدكتور النعمان القاضي ، طبعة مركز كتب الشرق الأوسط ، ص٢٢٩

أولا: عطايا كافور دون آمال المتنبي

يقول في أحد أبيات هجائياته لكافور من الطويل :

تَظُنّ ابتِسَاماتي رَجاءً وَغِبْطَةً وَمَا أنَا إلاّ ضاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا [1]

فهو يقول له أتظن أنّ ما أظهره من الفرح والتهلل رجاء فيك لا بل هو ضحك من الرجاء الذي عدل بي إليك والرأي المخطئ الذي قصر أمالي عليك.

وفي قصيدة أخرى يقول هاجيا لكافور من المديد :

فَلا تَرَجَّ الخَيرَ عندَ امْرِىءٍ مَرّتْ يَدُ النّخّاسِ في رَأسِهِ [2]

وكأنه يستصغر كل ما أعطاه إياه من المال والدور والهدايا .

وعاد ليقول له مرة أخرى من البسيط :

من أيّةِ الطُّرْقِ يأتي مثلَكَ الكَرَم أينَ المَحاجِمُ يا كافُورُ وَالجَلَمُ [3]

وردّد ذلك مرارا فقال من الوافر :

أمَا في هَذِهِ الدّنْيَا كَرِيمُ تَزُولُ بِهِ عنِ القَلبِ الهُمومُ [4]

ومن الثابت كثرة عطايا كافور للمتنبي ولكن الأثبت عندي أن نفس المتنبي طمعت في أكثر من ذلك كأن يوليه كافور ولاية فقد قال له من الطويل :

وَهَبْتَ على مِقدارِ كَفّيْ زَمَانِنَا وَنَفسِي على مِقدارِ كَفّيكَ تطلُبُ

إذا لم تَنُطْ بي ضَيْعَةً أوْ وِلايَةً فَجُودُكَ يَكسُوني وَشُغْلُكَ يسلبُ [5]

وهنا أوضح له ما في نفسه من إرادة الولاية ولكن كافور كان ذكيا فلما رأى عظم نفسه وعلو همته لم يجبه خوفا مما يمكن أن يؤول إليه الأمر بعد ذلك وقد كان المتنبي قد ألمح إلى ذلك بقوله من الطويل :

وَغَيرُ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجعَ مَلْكاً للعِرَاقَينِ وَالِيَا [6]

وليس بعيد عن الصواب ما فعله الأستاذ كافور فالمتنبي كان ملحّا على طلب الخلافة ونوّه بها في قوله من الخفيف :

---

[1] الديوان ج٤ ص٤٣٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

[2] الديوان ج٢ ص٣١٣

[3] الديوان ج٤ ص٢٨٠

[4] الديوان ج٤ ص٢٨٢

[5] الديوان ج١ ص٣٠٦

[6] الديوان ج٤ ص٢٧

فَارْمِ بي ما أَرَدْتَ مني فإنّي ... أسَدُ القَلْبِ آدَميُّ الرُّوَاءِ
وَفُؤادي مِنَ المُلُوكِ وَإن كا ... نَ لِساني يُرَى منَ الشّعراءِ [1]

فلما لم يسعفه التنويه والتلميح عاد وصرّح فقال من البسيط :

إلى الذي تَهَبُ الدّوْلاتِ رَاحَتُهُ ... وَلا يَمُنُّ على آثَارِ مَوْهُوبِ [2]

ثانياً : وعد كافور ثم مطله حيث أيأسه بعد انتظار

يقول المتنبي لكافور من المديد :

مَا مَنْ يَرَى أنّكَ في وَعْدِهِ ... كَمَنْ يَرَى أنّكَ في حَبْسهِ
لا يُنْجزُ الميعادَ في يَوْمِهِ ... ولا يَعي مَا قالَ في أمْسهِ [3]

وقال له أيضاً من الطويل

أمَيْناً وَإخْلافاً وَغَدْراً وَخِسّةً ... وَجُبْناً، أشَخصاً لُحتَ لي أمْ مخازِيا [4]

وواضح جلي وصفه له بالإخلاف والكذب والخسة والغدر والدناءة والجبن والأوضح أيضاً أن نفس المتنبي التي أمّلت تفرغت هنا من رجاءها فصبّت ذلك حمما على كافور ومعلوم أنّ المتنبي تحول إلى هذا القول بعد مرحلة طويلة من الصبر والإلحاح في الطلب فقد قال لكافور مرة من الطويل :

وَأمْضَى سِلاحٍ قَلّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... رَجَاءُ أبي المِسْكِ الكَريمِ وَقصْدُهُ [5]

وكان قد كرر الطلب بقوله من الطويل :

وَمَا رَغْبَتي في عَسْجَدٍ أستَفيدُهُ ... وَلَكِنّها في مَفْخَرٍ أسْتَجِدّهُ [6]

وهل لنا أن نفسر هذا المفخر والعز الذي يخضب السيوف بالدم غير أنه في قيادة جيوش الحكم والملك حيث قال من الطويل :

أبا المسكِ أرْجو منك نصراً على العِدى ... وآمُلُ عِزّاً يخضِبُ البِيضَ بالدّمِ [7]

وكان أفصح في هذه القصيدة بانتظاره تحقق هذا الحلم حيث قال من الطويل :

وَلَوْ كنتُ أدرِي كم حَياتي قَسَمتُها ... وَصَيّرْتُ ثُلثَيها انتِظارَكَ فاعْلَمِ [1]

---

[1] الديوانج١ ص١٥٩
[2] الديوان ج١ ص٢٩٦
[3] الديوان ج٢ ص٣١٢
[4] الديوان ج٤ ص٤٣٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٢ ص١٢٣
[6] الديوان ج٢ ص١٣٠
[7] الديوان ج٤ ص٢٦٨

فماذا يكون هذا المنتظر الذي استعد أن يقضي ثلثي حياته في انتظاره إلا المُلْك .

ثالثاً : الفجوة النفسية التي حصلت للمتنبي بعد فراقه سيف الدولة :

وأعتقد أن أكبر ما أصاب المتنبي في بلاط كافور هو بسبب أن المتنبي بعد فراق سيف الدولة أصابه ألم نفسي عظيم فمنّى نفسه أن يعوّض هذا الإخفاق النفسي والفشل بما سيجود به عليه كافور من الولاية والشواهد جلية على ذلك وأبرزها قوله في مفتتح قصيدته أمام كافور سنة سبع وأربعين حين قال من الطويل :

فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيرُ مُــذَمَّمِ   وَأَمٌّ وَمَنْ يَمّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وَمَا مَنزِلُ اللّذّاتِ عِندي بمَنْزِلٍ   إذا لم أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ (٢)

ويفهم من البيتين أن المتنبي يريد من كافور أن يعوضه عمّا حصل له في بلاط سيف الدولة من النكبات في أيامه الأخيرة وقد كشف عن ذلك بجلاء في قوله من الطويل :

رَحَلْتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شَادِنٍ   عَلَيّ وَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ (٣)

ولما يأس المتنبي كلياً من إجابة هذه المطالب زاد الإخفاق السابق بأكبر منه فكانت الصدمة النفسية أكبر من الأولى ولذا حاول أن يرمي حمماً على كافور في أهاجيه وأعتقد أن هذه الحرارة والالتهاب هما سبب ذيوع الأهاجي أكثر من مدائحه في كافور التي لا أرى فيها الصدق الشعوري ، بل كانت في معظمها مجالاً لفلسفة الحِكَم عند المتنبي وعرض فيها شكواه من الزمن والأعداء والمتربصين وتحدث عن نفسه فيها كثيراً .

رابعاً : شماتة حساد المتنبي به لعدم نيله الملك من عطاء كافور :

حيث كان المتنبي دائم التبرم من أعداءه وحساده ينظر إليهم بعد كل حادثة تحدث له ونكبة تحل به وكأنه في أشعاره ينطق على لسانهم وقد قال عند كافور من الطويل :

وَمَا شِئْتُ إلاّ أنْ أدُلّ عَوَاذِلِي   عَلى أنّ رَأيي في هَوَاكَ صَوَابُ
وَأُعْلِمَ قَوْماً خَالَفُوني فشَرّقُوا   وَغَرّبْتُ أنّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا (٤)

خامساً : ما قرّ في نفس المتنبي من حسد كافور له :

---

١ الديوان ج٤ ص٢٧٢
٢ الديوان ج٤ ص٢٦٣
٣ الديوان ج٤ ص٢٦٤
٤ الديوان ج١ ص ٣٢٥ــ٣٢٦

كان المتنبي يعرف ما يدور في خلد كافور عنه ولكنه ظل يحاول لعل وعسى فقد قال له ذات مرة في أحد أبياته من الطويل :

وَمِثْلُكَ مَن كانَ الوَسيطَ فُؤادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ [1]

وهو يعلم ما يضمر له كافور ولذا قال له من الطويل :

وَإنْ بَذَلَ الإنْسانُ لي جودَ عابِسٍ جَزَيْتُ بجُودِ التّارِكِ المُتَبَسِّمِ [2]

مشيراً إلى أنه إن بذل له الجود باستثقال جزى بإعراض الزاهد في العطاء .

ولما لم يجد بداً صرّح بهذا الحسد في أحد أبياته قائلاً من الطويل :

وَأظلَمُ أهلِ الظّلمِ مَن باتَ حاسِداً لمَنْ بَاتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلّبُ [3]

سادساً : منع كافور المتنبي من الرحيل عن مصر :

لما يئس المتنبي من تحقيق أمل الولاية عند كافور بدأ عزمه على الرحيل ولكن كافور كان يحول بينه وبين تحقق هذا الأمل فزاد بغضه له فكانت من أسباب هجاءه له فقد صّرح له بذلك قائلاً من المديد :

فَلَيْتَهُ خَلّى لَنَا طُرْقَنَا أعَانَهُ اللهُ وَإيّانَا [4]

فهو أراد أن ينصرف عنه ليريح نفسه ولكن كافور منعه من ذلك فكان ذلك من أسباب هجاءه له .

لقد أبانت لي دراستي لقصائد المتنبي الهجائية عن تصويره جوانب نفسية وضيعة حيث تنحو هذه القصائد مناحي متعددة على النحو التالي :

أولاً : الهجاء الفاحش المقذع :

لئن رفعت قصائد المتنبي المادحة مكانة كافور عالية فإن أهاجيه نزلت به إلى أسوأ مكانة وقد حفظها الناس ووعوها أكثر من سابقتها حتى ذهبت بعض أبيات هذه الأهاجي أمثالاً شرداً كقوله من البسيط :

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ [5]

وسأتعرض لبعض الصور الوضيعة فيما أطلقت عليه الهجاء الفاحش المقذع على النحو التالي :

---

[1] الديوان ج٤ ص٢٧٢

[2] الديوان ج١ ص٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

[3] الديوان ج١ ص٣٠٩

[4] الديوان ج٤ ص٣٨١

[5] الديوان ج٢ ص١٤٤

يقول المتنبي في قصيدته ذائعة الصيت التي قالها يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد من البسيط :

ما يَقبضُ المَوْتُ نَفساً من نفوسِهِمُ   إلاّ وَفي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ
أكُلّمَــا اغتَالَ عَبدُ السّوْءِ سَيّدَهُ   أوْ خَانَهُ فَلَهُ في مصرَ تَمْهِيدُ
صَــــارَ الخَصِيّ إمَامَ الآبِقِينَ بِهَا   فالحُرّ مُسْتَعْبَدٌ وَالعَبْدُ مَعْبُودُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصرٍ عَنْ ثَعَــــالِبِها   فَقَدْ بَشِمْنَ وَما تَفنى العَنَاقيدُ
العَبْـــــدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بأخٍ   لَوْ أنّهُ في ثِيَابِ الحُرّ مَوْلُودُ
لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَــــا مَعَهُ   إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ
ما كُنتُ أحْسَبُني أحْيَا إلى زَمَنٍ   يُسِيءُ بي فيهِ عَبْدٌ وَهْوَ مَحْمُودُ (١)

يالها من صورة غاية في القبح فملك الموت في يده عود حتى لا يصل نتن أرواحهم إليه وهذا فعل الإنسان بالجيف ثم عاد ووصم كافور ومن معه من الخصيان بأنه ضراط فسّاء لا يوكى على ما في بطنه من الريح ، ثم نزل عليه بالطامة الكبرى فقال : كافور لا ذكر له ولا لحيه فكيف يعّد من الرجال وفي نفس الوقت لا يمكن عده من النسوة وهو لا فرج له ،ثم إنّ في مصر أمر غريب أكلما أهلك عبد سوء سيده مُهّد أمره وملّكه أهلها على أنفسهم فكافور إمام الهاربين من ساداتهم يجمعهم ويحسن إليهم لأنهم مثله في الخيانة والتمرد وهذا يحصل في مصر لأن الأشراف ناموا عن أداء رسالتهم فعاث الأراذل فساداً وأكلوا حقوق الناس وهم مباينيون للأحرار في طباعهم ولا يصلحون لمؤاخاتهم و لم يكن المتنبي يعتقد أن تستمر به الحياة إلى زمن يسيء له فيه شر الخليقة ومع ذلك هو مضطر إلى مدحه .

ثم عاد بعد عدة أبيات يقول من البسيط :

إن امرأً أمة حبلى تدبّره   لمستضام سخين العين مفئود (٢)

يعّرض المتنبي بابن الحاكم الذي ترك الأمر لكافور الذي جعله أمة لفقدانه كما يقول آلة الرجال وهو يتعجب ويرثي لحال من آل تدبيره إلى من هذه صفته فهو مظلوم مفئود سخين العين يرثى لحاله .

ثم في آخر هذه القصيدة نزل المتنبي بوابل من الشتائم قائلاً من البسيط :

مَنْ عَلّمَ الأسْوَدَ المَخصِيّ مكرُمَةً   أقَوْمُهُ البِيــــــضُ أمْ آباؤهُ الصِّيدُ

---

(١) الديوان ج٢ وشرحها بحواشي الصفحات ١٤٤ ــ ١٤٥ .
(٢) الديوان ج٢ ص١٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

أمْ أُذْنُهُ في يــَـدِ النّخّاسِ دامِيَةً — أمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بالفِلْسَـــينِ مَرْدودُ
أوْلى اللّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بمَعْـــــذِرَةٍ ذ — في كلّ لُؤمٍ، وَبَعضُ العُــذرِ تَفنيدُ
وَذاكَ أنّ الفُحُولَ البيضَ عاجزَةٌ — عنِ الجَميلِ فكَيفَ الخِصْيةُ السّودُ؟ [1]

وهل يوجد إقذاع أبعد غوراً من هذا فهو يستغرب كيف ستأتي المكارم إلى العبد وليس له بالكرام ولا الملوك أي صلة ولا نسب وهو لم يتعد كونه مملوك اشترى بثمن بخس لم يزد على الفلسين وصغّر اسمه للتحقير ويرى ذلك عذر له لخسته ولؤمه فإذا كان الكرام عاجزون عن الجميل فكيف باللئام .

وقد فعل المتنبي بوردان ابن ربيعه الطائي أسوأ مما فعل مع كافور فوجدت له في هجاءه قصيدتين كل واحدة أقذع من أختها يقول في الأولى من الوافر :

لَئِنْ تَكُ طَيّءٌ كَـــانَتْ لِئَاماً — فألأمُهَـــــا رَبيعَةُ أوْ بَنُوهُ
وَإنْ تَكُ طَيّءٌ كانَتْ كِراماً — َوَرْدانٌ لغَـــــــيرِهِم أبُوهُ
مَرَرْنَا مِنْهُ في حِسْــمَى بعَبْدٍ — يَمُجّ اللّؤمَ مَنْخِـــرُهُ وَفُوهُ
فإنْ شَقِيَتْ بأيديهِمْ جيادي — لَقد شَقِيَتْ بمُنصُليَ الوُجُوهُ [2]

فالمتنبي يقول إن كانت الخسة في طئ فأبو وردان وبنو أبيه ألأم طئ وإن لم تكن وكانت طئ كراماً فلا شك أنه مدّعي غير نسبه فهو عبد يمتلئ لؤما حتى أنّ أنفاسه يخرج منها اللؤم ولا أدلّ على ذلك من إغرائه عبيد المتنبي بزوجته بفعل الفجور حتى أنفقوا أموال المتنبي على ذلك الفعل المشين مع زوجة وردان وتُروى هنا قصة العبدين من عبيده حينما هربا بسيف أعجب وردان فلحقهما وقتل به أحدهما وهرب الآخر وأمّا القصيدة الأخرى فعلى النحو التالي من الطويل :

(لَحَـــــا اللهُ ورَدَانا وأمَّا اتَتْ بهِ — لهُ كَسْــبُ خِنْزيرٍ وخُرْطومُ ثَعْلَبِ)
(فَمَا كـــــانَ فِيهِ الغَدْرُ إلاَّ دَلالَةً — عَلى أنَّـــــهُ فِيهِ مِنَ الأُمّ والأَبِ)
(إذا كَسَبَ الإنْسانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ — فيا لُؤْمَ إنْســـانٍ وَيا لُؤْمَ مَكْسَبِ)
(أهَذَا اللُّذيَّا بِنْـــــتُ وَرْدَانَ بنْتُهُ — هُمَا الطَّالبانِ الرّزْقَ مِن شَرّ مَطْلبِ)
لقد كنت أنفي الغدر عن توس طئ — فلا تغذلاني رب صـــدق مكذب [3]

---

[1] الديوان ج٢ ص١٤٧ــ١٤٨ وشرحها بحاشية الصفحتين ١٤٧ ــ١٤٨ .
[2] الديوان ج٤ ص٤٠٣ــ٤٠٤ وشرحها بحواشي الصفحات ٤٠٣ ــ٤٠٤ .
[3] الديوان ج١ ص٣٤٢ وشرحها بحاشية الصفحة .

بدأ المتنبي هجاءه المقذع بالدعاء بالقبح واللعن على وردان وأمّه فقد جعله كالخنـــزير لأنّ الخنـــزير يأكل العذرة وهي دويبة كريهة الرائحة تألف الأماكن القذرة ثم وصف وجهه بخرطوم الثعلب لأنهّ ناتئ الوجه والغدر في وردان وراثي عن أمه وأبيه فقد كانا غادرين وقيل المراد أنّ أمه غدرت فيه بأبيه فجاءت به لغير رشده وهل أقبح من أن يكون الإنسان ديوثاً يكتسب من فرج زوجته ؟ ثم يقول متفكها أهذه الحشرة الخسيسة تنسب إلى هذا الرجل ولذا جاءت خسيسة حقيرة مثله لأنهما يطلبان الرزق من الحقارة هي في أماكن العذرة وهو من فرج زوجته وهو ينفي الغدر عن طئ ويثبت بهذا أنّ وردان ليس منهم .

ولقد بلغ الفحش بالمتنبي منتهاه في هجاءه لإسحاق بن إبراهيم ابن كيغلغ الأعور وسأعرض لبعض أبيات هذه القصيدة حيث قال من الكامل :

يحمي ابن كيغلغ الطريق وعرسه   ما بين رجليها الطريق الأعظم

أقم المسالح فوق شفر سكيـــــنة   إنّ المني بحلقتيها خضـــــــــرم

وارفق بنفسك إنّ خلقك ناقص   واستر أباك فإنّ أصلك مظلم (١)

هنا يروى أن ابن كيغلع منع المتنبي من السفر بعد أن طلب منه أن يمدحه فأعتذر بأنه أقسم يميناً لا يمدح مدة فأراد ابن كيغلغ أن تنقضي المدة وإنّما كان المتنبي يراوغ فقط لأنّ بينهما عداوة قديمة وواضح من الأبيات إقذاعها وسفالتها وعاد بعد عدة أبيات قائلاً له :

يمشي بأربعة على أعقـــابه   تحت العلوج ومن وراء يلجم

وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرّ كَأنّهَا   مَطْرُوفَةٌ أوْ فُتّ فيها حِصرِمُ

وَإذا أشَارَ مُحَدّثاً فَكَأنّهُ   قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ

يَقْلَى مُفَارَقَةَ الأكُفّ قَذالُهُ   حتى يَكَادَ عَلى يَدٍ يَتَعَمّمُ (٢)

فوجدت أن المتنبي يهجو عن قلب حقود لا يسامح وإن وجدنا له بعض العذر في هجاء ابن كيغلغ ووردان فإنّ كافور لا يستحق هذا فهو استقبله استقبالاً حسناً وأعطاه وإن كان العطاء أقل مما أمّل المتنبي وإن كان المسلم يجب أن يربأ عن مثل هذا القول الفاحش وخاصة لإخوانه المسلمين مهما كان بينه وبينهم من العداوة ولا يفوتني القول أنّ مثل هذه القصائد كالنقط السوداء في صفحة ديوان المتنبي الناصعة البياض فياليته سكت عن مثلها .

ثانياً : الهجاء الخالي من الفحش :

---

١ الديوان ج٤ ص ٢٥٣

٢ الديوان ج٤ ص٢٥٤ــ٢٥٧

قال المتنبي لكافور في إحدى قصائده بعد أن رأى تشققاً في رجليه من الطويل :

وَتُعجِبُنِي رِجْـلاكَ فِي النّعلِ، إنّنِي رَأيتُكَ ذا نَعْلٍ إذا كنـتَ حَافِيَا
وَإنّكَ لا تَدْري أَلَوْنُكَ أسْـوَدٌ من الجهلِ أمْ قد صارَ أبيضَ صافِيَا
وَيُذْكِرُنِي تَخييطُ كَعبِـكَ شَقَّهُ وَمَشيَكَ في ثَوْبٍ منَ الزّيتِ عارِيَا
وَلَوْلا فُضُولُ النّاسِ جئْتُكَ مادحاً بما كنتُ في سرّي بهِ لكَ هاجيَا
فأصْبَحْتَ مَسرُوراً بمَا أنَا مُنشِـدٌ وَإنْ كانَ بالإنْشادِ هَجوُكَ غَالِيَا
فإنْ كُنـتَ لا خَيراً أفَدْتَ فإنّني أفَدْتُ بلَحظي مِشفَرَيكَ المَلاهِيَا
وَمِثْلُكَ يُؤتَى مِنْ بلادٍ بَعِـيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبّاتِ الحِدادِ البَوَاكِيَا [١]

ويتضح في هذه القصيدة أنّ المتنبي يتلهى بعد أن دب اليأس إلى نفسه ولقد قال له في نفس القصيدة من الطويل :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافياً وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً [٢]

وبإمكاننا النظر إلى هذه الصور : رِجْلٌ غليظة حافية مشققة القدمين كأنها غمست بالزيت الأسود ـــ شفة غليظة كأنها مشفر بعير تضحك من رآها هكذا الأمر عند المتنبي على الأقل .
وسأعرض عدة صور من هجائياته :
قال قاصداً كافور من المتقارب :

بِهَا نَبَطيٌّ مِنَ أهْلِ السّوَادِ يُدَرِّسُ أنْسَابَ أهْلِ الفَلا
وَأسْـوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أنْتَ بَدْرُ الدّجَى
وَشِعْرٍ مَدَحتُ بهِ الكَرْكَدَنّ بَينَ القَرِيضِ وَبَينَ الرُّقَى [٣]

والنبطي المراد وزير كافور أبو الفضل ابن خزابه والأسود كافور فهذا يدرس أنساب العرب وهو ليس بها عارفاً وليس عربياً وذا أسود يقال له أنت القمر وشبهه بحيوان وحيد القرن وأخبر أنّ أماديحه فيه بين الشعر وبين الرقية اتقاء له واحتيالاً لما يريد من الطلب .
وقال يهجو السامري من الوافر :

أسَـامَرِّيُّ ضُحْكَةَ كُلّ رَاءِ فَطِنْتَ وَكنْتَ أغْبَى الأغْبيَاءِ
صَغُرْتَ عنِ المَديحِ فقلتَ أُهجَى أنّكَ ما صَغُرْتَ عنِ الهِجاءِ

---

[١] الديوان ج٤ ص٤٣٣
[٢] الديوان ج٤ ص٤٣٢
[٣] الديوان ج١ ص١٦٧

وَما فَكّرْتُ قَبلَكَ في مُحـــالٍ وَلا جَرّبْتُ سَيْفي في هَبَاءِ[1]

يقول حين عرفت أنك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى فكيف ذلك والمتبني ما فكر في الباطل ولا يليق به أن يجرب سيفه في قطع الهباء ! ، وهذه الأبيات قمة في التعريض والاستهزاء .

ولنتأمل هذا البيت الذي هجا به كافور من قصيدة رنانة لفاتك من الكامل :

أيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأسِهِ وَقَفاً يَصيحُ بها: ألا مَن يَصْفَعُ[2]

إنه يعطي دلالة على الحس الفكاهي العالي عند المتنبي ولا شك فقفا كافور تعودت الصفع حتى أصبحت تصيح بحثاً عن الصفع !

ثالثاً : الحكمة في قصائد الهجاء

لقد ذكرت من قبل أن المتنبي كان دوماً يبحث في قصائده عن مكان يذكر فيه آراءه وفلسفاته ولما كانت قصائد الهجاء من أصدق الشعر وجدت أن أبا الطيب بث من خلالها حكماً رائعة بعضها أصبحت أمثالاً شرداً يتداولها الناس وأعني بالحكمة هنا تلك النظرات الصائبة التي أطلقها المتنبي للكون والحياة والناس والدين والأخلاق فتلقفها الناس بعده بالقبول وسأعدد بعض الشواهد من هجائيات المتنبي على النحو التالي :

ورد في هجائية المتنبي لكافور التي مطلعها من الوافر :

أمَا في هَذِهِ الدّنْيَا كَرِيمُ تَزُولُ بهِ عنِ القَلبِ الهُمومُ[3]

حيث ختمها بأربعة أبيات رائعة من الحكمة قائلاً من الوافر :

أخَذْتُ بمَدْحِهِ فَرَأيْتُ لَهْواً مَقَالي لِلأُحَيْمِقِ يا حَليمُ
وَلّما أنْ هَجَوْتُ رَأيْتُ عِيّاً مَقَـــاليَ لابنِ آوَى يا لَئِيمُ
فَهَلْ مِنْ عاذِرٍ في ذا وَفي ذا فَمَدْفُوعٌ إلى السّقَمِ السّقيمُ
إذا أتَتِ الإسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلم ألُمِ المُسِيءَ فَمَـــنْ ألُومُ[4]

يقول أكرهت على مدحه فرأيتني لاهيا أن أصف الأحمق بالحلم ولما هجوته كانت نسبتي إياه إلى اللؤم عيا لأنه لا يحتاج إلى بيان ولكن هل من يقوم بعذري في مدحه وهجائه ، فقد كنت مضطراً

---

[1] الديوان ج١ ص١٦٩
[2] الديوان ج٣ ص١٩
[3] الديوان ج٤ ص٢٨٢
[4] الديوان ج٤ ص٢٨٣ وشرحها بحاشية الصفحة .

لهما كالسقم يطرأ على السقيم دون اختياره ، ثم ختم بالبيت الأخير قائلاً إذا أساء الوضيع إلى المرء و لم يوجه اللوم إليه فمن يلوم إذا ؟

وفي هجائيته حين خروجه من مصر وهي من أقوى هجائياته لكافور وردت عدة أبيات من الحكم أبرزها قوله من البسيط :

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ   إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

وقوله من البسيط :

وَعِنْدَها لَذّ طَعْمَ المَوْتِ شَارِبُهُ   إنّ المَنِيّةَ عِنْدَ الذّلّ قِنْديدُ [1]

وفي هجائية ابن كيغلغ الأعور وجدت أبياتاً رائعة في الحكمة حيث يقول فيها من الكامل :

وَلَقَدْ رَأيتُ الحادِثاتِ فَلا أرَى   يَقَقاً يُمِيتُ وَلا سَوَاداً يَعصِمُ

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسيمَ نَحَــــافَةً   وَيُشيـبُ نَاصِيَةَ الصّبيّ وَيُهرِمُ

ذو العَقلِ يَشقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ   وَأخو الجَهالَةِ في الشّقاوَةِ يَنعَمُ

وَالنّاسُ قَد نَبَذوا الحِفاظَ فمُطلَقٌ   يَنسَى الذي يُولى وَعَافٍ يَنْدَمُ

لا يَخْـــدَعَنّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ   وَارْحَمْ شَبابَكَ من عَدُوٍّ تَرْحَمُ

لا يَسلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى   حتى يُرَاقَ عَلى جَــوَانبِهِ الدّمُ

يُؤذي القَليـــلُ مِنَ اللّئَامِ بطَبْعِهِ   مَنْ لا يَقِلّ كَمـَــا يَقِلّ وَيَلْؤمُ

وَالظّلمُ من شِيَمِ النّفوسِ فإن تجدْ   ذا عِفّةٍ فَلِعِـــــــلّةٍ لا يَظْلِمُ

وكل هذه الأبيات حكم رائعة تفيض بالتأمل ودقة النظر ونحتاج لصفحات لشرحها ولوضوحها نتركها كما قال شاعرنا الكبير وأرى أن هذه الحكم ضمنت الكثير من السمات السلبية التي يرى أبو الطيب اتصاف المهجو بها ولا شك أن أعجمية ابن كيغلغ أذكت حدة هذا الهجاء ، فالمتنبي بستنهض الهمم العربية ليردّ للعربي مكانته التي يرى أنها فقدت حيث استولى الأعاجم على الملك والوزارة والمال وكل شيء في ديار العرب والمسلمين .

ولا أدل على نفاسة هذه الحكم من قول ابن جني وهو من أكبر شراح ديوان المتنبي في البيت من الكامل :

لا يَسلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى   حتى يُرَاقَ عَلى جَوَانِبِهِ الدّمُ

" أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن يتقدم عليهم [2]"

---

[1] الديوان ج٢ ص١٣٩

[2] شرح البرقوقي ، ج٤ ، ص٢٥٢

الفصل السادس

تصويره لتقلب الطباع
واختلاف العواطف

الفصل السادس : تصويره لتقلب الطباع واختلاف العواطف

لقد حاولت أن التقط من أشعار المتنبي أبياته التي صور فيها تقلب الطباع واختلاف العواطف فكونت منها باقة من الحكم سأعرضها في هذا الفصل معلقاً عليها على النحو التالي : أول ما لفت انتباهي عنده فكرة رأيت أنها تؤلف مذهبا من آراءه وهو معنى القول المشهور " الطبع يغلب التطبع " فلم أجد أنّ المتنبي يناقضها تبعا للظروف المختلفة التي اكتنفته فقد عبر عنها بطرق شتى فمرة يقول من المنسرح بأنّ سير المرء على سجيته هو سبيل النجاح وفي تكلف الإنسان زلل :

أبْلَغُ ما يُطْلَبُ النّجاحُ به الــ ـــطّبْعُ وعندَ التّعَمّقِ الزّلَلُ [1]

وقد قال أيضا من الطويل :

وَكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشّجاعَةِ والنّدى وَلكِنّ طَبْعَ النّفْسِ للنّفسِ قائِدُ [2]

ويقول من الطويل : إنّ سلوك المرء قد يخالف طبعه ولكن ذلك لا يكون فطرة بل تكلفا يعرفه من يعرف أخلاق ذلك الرجل :

وَللنّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلّ على الفَتى أكانَ سَخاءً ما أتَى أمْ تَسَاخِيَا [1]

---

[1] الديواني ج٤ ص
[2] الديوان ج١ /٣٩٩

وعند المتنبي أنّ أمر التكلف يفتضح سريعا من الطويل :

أَبَى خُلُقُ الدّنْيَا حَبيباً تُديمُهُ فَمَا طَلَبي مِنهَا حَبيباً تَرُدّهُ

وَأسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً تَكَلفُ شيءٍ في طِباعِكَ ضِدّهُ [٢]

والرأي الطبع عند المتنبي خير من الرأي المعلم المستفاد كما يقول من الخفيف :

فَفَدَى رَأيَكَ الذي لم تُفَدْهُ كُلُّ رَأيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ

وَإذا الحِلْمُ لمْ يَكُنْ عن طِباعٍ لم يَكُنْ عَن تَقَادُمِ المِيلادِ [٣]

أي بالغريزة يتعلق الحلم لا بتقادم السن .

ووجدت المتنبي دائما يمقت التطبع كما يقول من البسيط :

لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلّفُهُ ليسَ التكحّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ [٤]

وحتى في الصداقة والحب الطبع لا يغيره شيء بل هو ثابت على الدوام كما يقول من المتقارب :

يُرادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيانُكُمْ وتأبَى الطّباعُ على النّاقِلِ [٥]

وكل شيء يتغير إلا الحسد فهو لا يزول من القلوب والحسد ثابت في قلب الحاسد لا يمكن للإنسان إزالته أو تغييره كما يقول من الطويل :

أُعَادَى على ما يُوجبُ الحُبَّ للفَتى وَأهْدَأُ وَالأفكارُ فيّ تَجُــولُ

سِوَى وَجَعِ الحُسّــــــادِ داوِ فإنّهُ إذا حلّ في قَلْبٍ فَلَيسَ يحُولُ

وَلا تَطْمَعَنْ من حاسِدٍ في مَوَدّةٍ وَإنْ كُنْــتَ تُبْديهَا لَهُ وَتُنيلُ [٦]

والمتنبي صاحب تجارب عرف من خلالها الناس وهو يرى أنهم مخادعون كما يقول من الوافر :

إذا ما النّاسُ جَرّبَهُمْ لَبيبٌ فإنّي قَدْ أكَلْتُهُمُ وَذاقَا

فَلَمْ أرَ وُدّهُمْ إلاّ خِــداعاً وَلم أرَ دينَهُمْ إلاّ نِفَاقَا [٧]

وهو يرى أنّ التشكي لا ينفع بل على المرء الحذر كما يقول من البسيط :

وَلا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْــمِتَهُ شكوَى الجريحِ إلى الغِرْبانِ وَالرَّخَمِ

---

[١] الديوان ج٤ / ٤٢٠
[٢] الديوان ج٢ ص١١٩
[٣] الديوان ج٢ ص١٣٣
[٤] الديوان ج٣ ص٢١١
[٥] الديوان ج٣ ص٢٥٣
[٦] الديوان ج٣ ص٢٣٠
[٧] الديوان ج٢ ص٤٧

وَكُنْ عَلى حَذَرٍ للنّاسِ تَسْتُرُهُ وَلا يَغُـــــــــرَّكَ مِنهُمْ ثَغْرُ مُبتَسِمِ
غَاضَ الوَفَاءُ فَما تَلقاهُ في عِدَةٍ وَأعوَزَ الصّدْقُ في الإخْبارِ وَالقَسَمِ (١)

وهو يكرر تحذيره بعدم الانخداع ووجوب أخذ الحذر وهذا من تجاربه كما يقول من البسيط :

غَيري بأكْثرِ هذا النّاسِ يَنْخَدِعُ إنْ قاتَلُوا جَبُنوا أوْ حدّثوا شجُعُوا
أهلُ الحَفيظَةِ إلاّ أنْ تُجَرّبَهُمْ وَفي التّجارِبِ بَعد الغَيّ ما يَزَعُ
وَما الحَيَاةُ ونَفسي بَعدَمَا عَلِمَتْ أنّ الحَياةَ كَما لا تَشتَهي طَبَعُ (٢)

وعلى الإنسان أن يجازي بمثل ما يعطى له ويواصل حذره ممن حوله ولا يصحب إلا الكرام كما يقول من الوافر :

وَلَمّا صَارَ وُدّ النّاسِ خِبّاً جَزَيْتُ على ابْتِسامٍ بابْتِسَامِ
وَصِرْتُ أشُكُّ فيمَنْ أصْطَفيهِ (لعِلْمي أنّهُ بَعْضُ الأنَامِ
يُحِبّ العَاقِلُونَ على التّصَافي وَحُبّ الجَاهِلِينَ على الوَسَامِ
وَآنَفُ مِنْ أخي لأبي وَأُمّي إذا مَا لم أجِدْهُ مِنَ الكِرامِ
أرَى الأجْدادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً على الأوْلادِ أخْلاقُ اللّئَامِ (٣)

وعلى المرء حيال هؤلاء أن يعفو فإن وقع على الكرام فقد ملكهم بعفوه وإن وقع على اللئام فسيتمردون عليه كما يقول من الطويل :

وَما قَتَلَ الأحرارَ كالعَفوِ عَنهُمُ وَمَنْ لكَ بالحُرّ الذي يحفَظُ اليَدَا
إذا أنتَ أكْرَمتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ وَإنْ أنْتَ أكْرَمتَ اللّئيمَ تَمَرّدَا
وَوَضْعُ النّدى في موْضعِ السّيفِ بالعلى مضرٌّ كوضْع السيفِ في موضع النّدى (٤)

وأما الإنسان عديم الوفاء ففارقه إلى غيره كما يقول من الخفيف :

إذا صَديقٌ نَكِرْتُ جانبَهُ لم تُعْيِني في فِراقِهِ الحِيَلُ(٥)
في سَعَةِ الخافِقَينِ مُضْطَرَبٌ وفي بِلادٍ مِنْ أُخْتِها بَدَلُ

وهذا حال الدنيا أبدا فالطباع فيها متقلبة أبداً كما يقول من الطويل :

وَمن صَحِبَ الدّنيا طَوِيلاً تَقَلّبَتْ على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَها كِذبَا (١)

---

[١] الديوان ج٤ ص٢٩٥
[٢] الديوان ج٢ ص٣٣٠
[٣] الديوان ج٤ ص٢٧٤
[٤] الديوان ج٢ ص١١
[٥] الديوان ج٤ ص٣٢٧

والمرء عند المتنبي يسوء ظنه بالناس إذا كان فعله سيئا والمتنبي يصادق نفس الإنسان لا جسمه ويتعامل بالحلم مع أصدقاءه ليعودوا إلى جادة الصواب ولا يقبل إلا ما يكون عن نفس طيبة كما يقول من الطويل :

إذا ساءَ فِعْلُ المرْءِ ســاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَـــدَقَ مَا يَعتَادُهُ من تَوَهُّمِ
وَعَادَى مُحِبّيهِ بقَوْلِ عُـــــداتِهِ ... وَأصْبَحَ في لَيلٍ منَ الشّكّ مُظلِمِ
أُصَادِقُ نَفسَ المرْءِ من قبلِ جسمِهِ ... وَأعْرِفُهَا في فِعْلِهِ وَالتّكَـــــلّمِ
وَأحْلُمُ عَنْ خِلّي وَأعْـــــلَمُ أنّهُ ... متى أجزِهِ حِلْماً على الجَهْلِ يَندَمِ
وَإنْ بَذَلَ الإنْسانُ لي جودَ عابِسٍ ... جَزَيْتُ بجُودِ التّـــارِكِ المُتَبَسِّمِ (٢)

الفصل السابع

١ الديوان
٢ الديوان

تصويره لعاطفة الحب
ونظرته إلى المرأة

الفصل السابع : تصويره لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة

الحب كَلَفٌ ينحل الأجساد ، ويضرم الأكباد ، وتتقرّح له العيون من السهاد ، وتنطلق منه الألسن ناطقة بالشكوى مما أصاب القلب في السواد ، والغزل فن شعري رقيق على النفوس ، خفيف الوقع على الآذان ، قريب إلى الفطرة الإنسانية لأنه في جملته وتفصيله يجول حول المرأة وهي النصف الآخر للرجل وريحانة الحياة وزينة العيش وسر البهجة والإيناس والحبور في حياة الرجل يستوي في ذلك الأمير والصعلوك والبر والفاجر والشريف والوضيع .
والغزل بالإضافة إلى ذلك ترجمان العواطف وصدى المشاعر وفيض الوجدانات ، وهو رسول الحب والمتحدث باسمه لأنه يصور أحداثه ووقائعه ويرسم آماله وآلامه ومن خلاله يصور المحبون ما يتنــّزى في جوانحهم ويبرزون ما يجول في سرائرهم وسأبدأ الحديث في هذا الفصل بعد قراءة متأنية لشعر المتنبي في هذا الجانب وهو أصدق ترجمان عن نفسه طارحا هذا السؤال : هل أحب المتنبي ؟

والجواب : إن أردنا الحب العابر الذي لا يعدو الإعجاب بالحسن وهو الأمر الذي يمر بالناس كلهم فأنا لا أستطيع أن أبرّىء ساحة المتنبي منه فليس يخلو قلب من صبوة فما بالنا بقلب شاعر عظيم كيف لا يفطن لمعاني الجمال ويدرك أسراره ؟ وأما ذلك الحب العالي الذي قدمت

بتعريفه وهو الذي يضني الروح ويّدله العقل ويفني الجسم ويضْرم السعير في الجوف فهو ما أنفيه عن المتنبي متعللا بالأسباب التالية :

أولا :

الحب عاطفة تزهر مع صبا الفتى وتوقد نارها من تفتق الفتوة ومن تعدّى هذه المرحلة سالما فمن النادر أن تعلق به حبائل الحب وتاريخ المتنبي في هذه الفترة المبكرة من حياته بعيد عن ذلك فقد كان صبيا قوي الشكيمة ، كثير الاعتداد بالنفس ، بعيد مرامي الهمة ، متطلعا إلى معالي الأمور ، طالبا جسام الآمال – كما أسلفت في ثنايا هذا البحث– ولنسمع إلى قوله من الطويل :

تُحَقِّرُ عِندي هِمّتي كُلَّ مَطلَبٍ وَيَقصُرُ في عَيني المَدى المُتَطاوِلُ

وهو من أعلن بقوة ما ينوي فعله بقوله من البسيط :

لقد تَصَبّرْتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ فالآنَ أقْحَمُ حتى لاتَ مُقْتَحَمِ

لأترُكَنّ وُجوهَ الخَيْلِ سـاهِمَةً وَالحرْبُ أقوَمُ مِن ساقٍ على قَدَمِ [1]

وفي هذه الشواهد وغيرها كثير ما يبيّن لنا بجلاء أنّ المتنبي تغنّى قلبه بجلائل الأعمال لا بربات الحجال .

ثانيا :

لم أعثر في غزل المتنبي على اسم امرأة أحبها وتعشقها قلبه اللهم إلا اسم جمل وهو اسم اقتضته القافية فيما بدا لي في قوله من الطويل :

إذا عَذَلُوا فيها أجَبْتُ بأنّةٍ: حُبَيّبَتي قلبي فُؤادي هيا جُمْلُ [2]

وأين المتنبي من قول المحبين من الطويل :

فصرح بمن تهوى ودعنا من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

وأين هو إن كانت ولهته الصبابة ممن انتسبوا إلى محبوباتهم كمجنون ليلى وقيس لبنى وكثّير عزة وغيرهم من الأمثلة المعروفة المشهورة

ثالثا : عاش المتنبي حياة جد وصرامة ولم يستجب منذ صغره للهو والعبث فقد قيل له وهو في المكتب : ما أحسن هذه الوفرة (الشعر المجتمع على الرأس) فرد بهذا الرد الذي يسمع من صداه قعقعة السلاح حيث قال من المديد :

لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حَتّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضَّفْرَينِ يَوْمَ القِتالْ

---

[1] الديوان ج٤ ص١٥٧

[2] الديوان ج٣ ص٢٩٨

عَلى فَتًى مُعْتَقِــــلٍ صَعْدَةً   يَعُلّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السِّبـَالْ [1]

و لم يعاقر المتنبي الشراب إلا مجاملة لجلسائه من الأشراف والأمراء والحب فيه ولا شك نوع من المجانة وإن كان وثيق الصلة بالطباع فهو لا يقوى على القلوب قوية الشكائم ولا ينفذ سحره إلى النفوس المفتونة بالمجد والمعالي ونفس المتنبي – كما أثبتُ بالفصول السالفة – من هذه النفوس ولنستأنس بهذه الشواهد من أقواله حيث يقول من البسيط :

سُبحانَ خالِقِ نَفسي كيفَ لذّتُها   فيما النّفُوسُ تَراهُ غايَةَ الألَمِ [2]

وهو القائل من الطويل :

وَفي النّاسِ مَنْ يرْضَى بميسورِ عيشِهِ   وَمَرْكوبُهُ رِجْلاهُ وَالثّوْبُ جلدُه
وَلَكِنّ قَلْبــــــــاً بَينَ جَنْبَيّ مَا لَهُ   مَدًى يَنتَهي بي في مُرَادٍ أحُدُّهُ
يَرَى جِسْمَــهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُبُّهُ   فيَختارُ أن يُكْسَى دُرُوعاً تَهُدّهُ [3]

وقد عرضت في حديثي عن آماله لقوله من الطويل :

ولا تَحْسَبَنّ المَجْـــــدَ زِقّاً وقَيْنَةً   فما المَجدُ إلاّ السّيفُ والفتكةُ البِكرُ[4]
وتَضريبُ أعناقِ المُلوكِ وأن تُرَى   لكَ الهَبَواتُ السّودُ والعسكرُ المَجْرُ

وقد قال عن الخمر من الوافر :

ألَذُّ مِنَ المُـــــدامِ الخَنْدَرِيسِ   وأحْلى مِنْ مُعاطاةِ الكُؤوسِ
مُعاطاةُ الصّفـائِحِ والعَوَالي   وإقْحامي خَميساً في خَميسِ
فَمَوْتي في الوَغَى عَيشي لأنّي   رَأيتُ العَيشَ في أرَبِ النّفُوسِ [5]

وهو القائل من الوافر :

إذا ما الكـأسُ أرْعشَتِ اليَدَينِ   صَحَوْتُ فلم تَحُلْ بَيْني وبَيني
هجَرْتُ الخَمرَ كالذّهبِ المُصَفّى   فخَمري ماءُ مُزْنٍ كاللُّجَينِ [6]

وقد قصد بقوله بيني وبيني بينه وبين عقله ،وقال وقد قدم له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها من الكامل :

وَأخٍ لَنَا بَعَثَ الطّــلاقَ ألِيّةً   لأُعَلَّلَنّ بِهَذِهِ الخُرْطُــــومِ

---

[1] الديوان ج٣ ص٢٧٩
[2] الديوان ج٤ ص٢٩٥
[3] الديوان ج٢ ص١٢٣
[4] الديوان ج٢ ص٢٥٣
[5] الديوان ج٢ ص٣٠٠
[6] الديوان ج٤ ص٣٢٥ وشرحه في حاشية الصفحة .

فَجَعَلْتُ رَدّي عِرْسَهُ كَفّارَةً　　　مِنْ شُرْبِها وَشَرِبْتُ غيرَ أثيمِ[1]

رابعا :

قدمت في ثنايا هذا البحث أنّ المتنبي من الشعراء القلائل الذين جاء شعرهم صورة صادقة لنفوسهم ومرآة واضحة لنـــزعات ميولهم ولذا وجب علينا أنْ نصّدق قول لسانه لأنّا وجدنا أنّه رجل صادق صريح لا يواري ولا يكذب وقد كان هذا مما جرّ عليه الرزايا في حياته وسأعرض لما قال بلسانه من أبيات عن الحب والمرأة ناظرا لما وراءها من المعاني على النحو التالي :

يقول في ذم الدنيا والعزوف عن المباهج والحسان من الطويل :

ومن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أنْ يَرَى　　　عَدُوّاً لَهُ ما من صَدَاقَتِهِ بُدُّ[2]
بِقَلْبي وإنْ لم أرْوَ منهـــا مَلالَةٌ　　　وبي عن غَوانيها وإن وَصَلتْ صَدُّ

وقد قال زاريا على العشاق ورافعا نفسه عن الوقوع في سحر الغانيات من الطويل :

وَللخَوْدِ منّي ســاعَةٌ ثمّ بَيْنَنَا　　　فَلاةٌ إلى غَيرِ اللّقَاءِ تُجَابُ
وَمَا العِشْقُ إلاّ غِرّةٌ وَطَمَاعَةٌ　　　يُعَرّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
وَغَيرُ فُؤادي للغَوَانـــي رَمِيّةٌ　　　وَغَيرُ بَنَاني للزّجَاجِ رِكَابُ
تَرَكْنَا لأطْرَافِ القَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ　　　فَلَيْسَ لَنَا إلاّ بهِنّ لِعَـــابُ [3]

وقد قال مفصحا عن هذا المعنى ومؤكدا له من البسيط :

لَوْلا العُلى لم تجُبْ بي ما أجوبُ بهَا　　　وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيْدودُ
وَكَانَ أطيَـــبَ مِنْ سَيفي مُعانَقَةً　　　أشْبـــاهُ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الأمَاليدُ
لم يَترُكِ الدّهْرُ مِنْ قَلبي وَلا كبدي　　　شَيْئاً تُتَيّمُهُ عَينٌ وَلا جيـــدُ [4]

وقد صرح المتنبي في أبياته بأنّه في غزله يعني بالبيض بيض السيوف وبالسمر سمر الرماح وذلك في قوله من الطويل :

مُحِبٌّ كَنى بالبِيضِ عن مُرْهَفَاتِهِ　　　وَبالحُسنِ في أجسامِهِنّ عن الصّقلِ[5]
وَبالسُّمْرِ عن سُمرِ القَنَا غَيرَ أنّني　　　جَنَاهَا أحِـــبّائي وَأطْرَافُها رُسْلي

---

[1] الديوان ج٤ ص١٦٥
[2] الديوان ج٢ ص٩٣ وشرحه في حاشية الصفحة .
[3] الديوان ج١ ص٣١٧ وشرحه في حاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٢ ص١٤٠ وشرحه في حاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٣ وشرحه في حاشية الصفحة .

عَدِمْتُ فُؤاداً لم تَبِتْ فيهِ فَضْلَةٌ لغَيرِ الثّنَايَا الغُرّ وَالحـــَدَقِ النُّجلِ

وهل أبعد غورا من جعله النساء فداء للخيل على حد قوله من المتقارب :

ألا كُلُّ مَاشِيَةِ الخَيْزَلَى فِدَى كلِّ ماشِيَةِ الهَيْذَبَى [1]

والخيزلي مشية للنساء فيها تثاقل والهيدبى ضرب من مشية الخيل و لم يكتف بهذا بل ذم الدنيا لمشابهتها النساء كما قال من الخفيف :

شِيَمُ الغَانِيَاتِ فِيها فَمَا أدْ ري لذا أنّثَ اسْمَها النّاسُ أم لا [2]

وهو الذي صبّ على الغواني كل ذميمة بقوله :

ومَنْ خَبرَ الغَواني فالغَواني ضِياءٌ في بَواطِنهِ ظَلامُ [3]

وقد قال مظهرا الجلد وقلة الأسف على فقد الأحبة من البسيط :

مِمّا أضَـــرّ بأهْلِ العِشْقِ أنّهُمُ هَوَوا وَمَا عَرَفُوا الدّنْيَا وَما فطِنوا

تَفنى عُيُـــونُهُمُ دَمْعاً وَأنْفُسُهُمْ في إثْرِ كُلّ قَبيحٍ وَجهــُهُ حَسَنُ

تَحَمّـــلُوا حَمَلَتْكُمْ كلُّ ناجيَةٍ فكُلُّ بَينٍ عَليّ اليَـــوْمَ مُؤتَمَنُ

ما في هَوَادِجِكم من مُهجتي عِوَضٌ إنْ مُتُّ شَوْقاً وَلا فيها لَهَا ثَمَنُ [4]

وبعد أستطيع أن أحكم مطمئنا إلى هذه الأدلة أنّ الحب لم يدخل قلب المتنبي ويبقى لي هنا سؤال أجيب عليه ورد على قول الشيخ محمود شاكر بأن المتنبي أحب خولة أخت سيف الدولة .

وأما السؤال فهو لماذا هذا الغزل الموجود في شعر المتنبي وخاصة في مقدمات قصائده أليس هو دليل على الحب ولسان المرء دليل على قلبه كما يقال ، والجواب على النحو التالي :

إنّ شاعرنا العظيم – المتنبي- وهو الشاعر الغني الوصف ، الخصب الخيال ، واسع الإدراك لم يرد أن يفوته الشعراء بشيء يتحدثون فيه ويقصر باعه عنه ولذا وجدناه يقدم لنا هذا البيت الذي سنتأمله قليلا حيث يقول من الطويل :

إذا كانَ مَدحٌ فالنّسيبُ المُقَدَّمُ أكُلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعراً مُتَيَّمُ [5]

[1] الديوان ج١ ص١٦٠ وشرحه في حاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ ص٢٥١ وشرحه في حاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص١٩٣ وشرحه في حاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص٣٦٥
[5] الديوان ج٤ ص٦٩

والمعنى إنّ الشعراء مجمعون على تقديم النسيب في أشعارهم والاستفتاح به في مدائحهم وليس كل فصيح منهم عاشقا ولا كل شاعر سلف متيما ولكن الآخر يتبع الأول ، وأكاد أجزم أنّ المتنبي الداهية عنى نفسه بهذا القول ولذا لم يأت غزله إلا في مقدمات قصائده ، ودليل آخر على عدم اهتمامه بالغزل وهو أنّ المتنبي برع في حسن التخلص من الغزل إلى غرضه وهذا يؤكد لنا أنّ الغزل لم يشغل باله قط بل تخذه مركبا إلى هدفه .

وأما الرد على قول الأستاذ محمود شاكر بحب المتنبي لخولة أخت سيف الدولة فعلى النحو التالي :

أولا : إنّ لغة الحب التي ظهرت في شعر المتنبي وملأها بالعشق والشوق [1]

لم تظهر فقط في قصيدة رثائه لخولة والتي اعتمد عليها الأستاذ شاكر في تحليله حيث ظهرت في مدح سيف الدولة وكافور وابن العميد وعضد الدولة وأطلقها الشاعر على الحرب والطعن فهي إذن ظاهرة عامة على شعره المادح والحربي وقد لاحظ النقاد ذلك وكان أولهم الثعالبي حينّ لاحظوا مخاطبة المتنبي للممدوح مخاطبة المحبوب .

فقد قال لعضد الدولة من الوافر :

أَرُوحُ وَقد خَتَمتَ على فُؤادي ... بِحُبّكَ أنْ يحِلّ بهِ سِوَاكَا [2]

وقال لابن العميد من الكامل :

بأبِي وَأُمّي نَاطِقٌ في لَفْظِهِ ... ثَمَنٌ تُبَاعُ بهِ القُلُوبُ وَتُشترَى [3]

ثانيا :لم أجد دليلا نقليا عن هذا الحب ذكرته الكتب

وقد ذكرت عن حياة المتنبي الكثير من القصص وإنّا وإن قلنا بإخفاء المتنبي لهذا الحب فما قولنا في حساده في بلاط سيف الدولة ألم يكن إذاعة هذا الأمر فرصة عظيمة للنيل من المتنبي بنشر خبر هذا الحب وتلفيق الأقاصيص حوله ؟!

ثالثا :إنّ نسبة العذوبة التي رآها الأستاذ شاكر في شعر المتنبي عند سيف الدولة مرجعها ليس حبه لأخته خولة بل كما أثبت هذا البحث أنّ الأمر راجع لإعجابه الشديد بسيف الدولة الرجل العربي الذي مثل للمتنبي المثل الأعلى للصفات العربية الأصيلة والقيم النبيلة التي أحبها المتنبي ورآها ماثلة في سيف الدولة ، وبقي لي أن أقول أن هذا الغزل الذي وجدناه في شعر المتنبي غزل ليس فيه ولعة قلب وعاطفة قوية بقدر ما نجد حسن صنعة المتنبي فيه وقوة شاعريته من معنى لطيف وصياغة

---

[1] ينظر كتاب لغة الحب في شعر المتنبي للدكتور عبد الفتاح صالح نافع طبعة دار الفكر ص١١٢

[2] الديوان ج٣ ص١٢٦

[3] الديوان ج٢ ص٢٧١

رائدة وقد وجدت فيه أيضا فلسفة المتنبي وفكره وحكمته لا لوعة قلبه وشغف فؤاده وقد سبق الحديث بأنّ المتنبي لم يكن يفوت فرصة في تضاعيف شعره ليتحدث فيها عن حكمه وفلسفته[1] .

ودليل آخر وهو أني وجدت المتنبي يتحدث عن محبوبته أكثر من حديثه عن نفسه وما أصابها من سهام الحب ولوعة الفؤاد وسقم الروح والبدن بل إنّ غالب حديثه هو عن مواقف فراق وتوديع وهو في الغالب يتغزل بالبدويات والعربيات على عادة اعتداده بهذه الأمور وهو يتحدث خلال غزله عن البيد والقفار والرحلة على النوق والجمال فهو إذا لم يخرج على ما عرف عنه وليس الحديث حديث قلب موجع ، وبعد كل هذا أقول إنّ للمتنبي غزل نجح فيه إلى حد بعيد وليس ذلك راجعا لقوة العاطفة ولكن لحسن الصنعة ولما فيه من المعاني الجميلة والمتنبي ملك من ملوك المعاني حيث تصرّف في غزله تصرّف المجيدين ليدلنا على قوة شاعريته وصفاء خياله وطاقته الشاعرة المبدعة ولنا أن نقول بأنّ إبداع الشاعر الملهم لا يأتي من تعبيره عن تجاربه الشخصية وتعميمها لتصبح تجارب إنسانية عامة فقط بل يأتيه أيضا من قدرته معايشة تجارب الآخرين لتصبح عن طريقه إنسانية عامة كذلك كما لو عاشها هو .

والآن سأعرض شواهد من تصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرته للمرأة تحت عناوين جزئية تسهيلا لعرضها وبيانا لما وجدت عنده معلقا عليها ببعض الملحوظات :

حديث المتنبي عن الجمال الحسي

أفاض المتنبي حديثه وأجاد فيه عن محاسن المرأة محاولا الكشف عن مواطن الحسن ومن أهمها : إضاءة الوجه وإشراقه ، وسواد الشعر وحلوكته وتورد الخدود وحمرتها وسحر العيون وسيفية الألحاظ ومن الأمثلة على ذلك :

يقول متصوراً تعدد الليل بتعدد ذوائب شعر محبوبته وتعدد القمر بوجهها من الكامل :

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعْرِها ... في لَيْلَةٍ فَأرَتْ لَيَاليَ أرْبَعَا

واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السّماءِ بوَجْهِها ... فأرَتْنيَ القَمَرَينِ في وقْتٍ مَعَا[2]

وشَعر محبوبته مضمخ بالطيب زكي الرائحة كما يقول من الخفيف :

ذاتِ فَرْعٍ كأنّما ضُرِبَ العَنْـــ ... ـــبَرُ فيهِ بمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ

حالِكٍ كالغُدافِ جَثْلٍ دَجُو ... جيٍّ أثيثٍ جَعْدٍ بلا تَجْعِيدِ

تَحْمِلُ المِسْكَ عن غَدائرِها الرّيـــ ... ـــحُ وَتَفْتَرُّ عَن شَنيبٍ بَرُودِ[3]

---

[1] ينظر لغة الحب مرجع سابق ص١١٢ وكتاب موازنة بين شعر المتنبي وأبي العلاء لزهدي الخواجا منشوران دار صبري ص ١٣٩

[2] الديوان ج٣ ص٤ وشرحه بحاشية الصفحة

[3] الديوان ج٢ / ٤٢ وشرحه بحاشية الصفحة

وفي البيتين الأولين يجمع المتنبي كعادته بين المتضادات فالليل والشعر شديدا السواد والوجه والقمر شديدا البياض ولما اجتمعا وقعت فتنة المتنبي بمحبوبته وأضاف في الأبيات الثلاثة التالية وصف الشعر بجمال رائحته فهو بروائح العنبر والورد والعود ونلحظ هنا أنه ذكر عن سواد الشعر صفتان وتشبيه فهو حالك أي شديد السواد ودجوجي أي مظلم وشبهه بالغداف وهو الغراب حيث تضرب العرب به المثل في شدة السواد فهل يوجد بعد سواد أشد من هذا ثم وصفه بصفتين تدلان على الكثرة وهما قوله : جثل أي كثير ملتف وقوله أثيث أي كثيف وأضاف في آخر البيت سمة أخرى وهي التجعد وهي ممدوحة في الشعر وقال بأن التجعد فيه طبيعة من خلقته وكل هذه الصفات مما يمدح ويطلب في عادة العرب.

والمتنبي يبالغ كعادته وهذه مبالغة رائعة حيث تضفر محبوبته شعرها لخشية الضلال وتلبس لستر الجمال كما يقول من الوافر :

لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمّلاتٍ ولكِنْ كَيْ يصنّ بهِ الجـــــَمَالا

وضَفّرْنَ الغَدائِرَ لا لحُسْنٍ ولكنْ خِفنَ في الشّعَرِ الضّلالا[1]

وقد كرر قريب من هذا المعنى بقوله من البسيط :

أمّا الثّيابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحاسِنِهِ إذا نَضاها ويَكسَى الحُسنَ عُرْيانَا

يَضُمّهُ المِسكُ ضَمَّ المُسْتَهامِ بهِ حتى يَصيرَ على الأعكانِ أعكانَا [2]

وسنأخذ مثالا آخر هام به البلاغيون لما فيه من التدبيج وجودة التشبيه وهو قوله من الوافر :

بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبَراً ورَنَت غَزالا

وجارَتْ في الحُكومَةِ ثمّ أبْدَتْ لَنا من حُسنِ قامَتِها اعتِدالا [3]

فشبه وجه محبوبته بالقمر في حسنه وتثنيها بغصن البان وزكيّ رائحة جسمها بالعنبر وجمال عينيها بعيني الغزال .

وأما حديثه عن بياض محبوبته فقد جاء فيه ببيت غريب ضم فيه إلى اللون الأبيض الرائحة الزكية مسندا أمن الرقباء على هذه الجميلة إلى هذين العنصرين كما يقول من الكامل :

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقَبَاءُ إذْ حَيثُ كنتِ مِنَ الظّلامِ ضِياءُ

قَلَقُ المَليحَةِ وِهْيَ مِسْكٌ هَتكُها ومَسيرُها في اللّيلِ وهيَ ذُكاءُ [4]

---

[1] الديوان ج٣ ص٣٣٨ وشرحه بحاشية الصفحة
[2] الديوان ج٤ ص٣٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة
[3] الديوان ج٣ ص٣٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة
[4] الديوان ج١ ص١٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة

فهي إن تحركت تضوع منها المسك الفاضح وهي مشتهرة بالنور كنور الشمس الواضح .

وقد كرر المتنبي وصف محبوبته بالبياض في أبيات كثيرة منها هذه الأبيات من الكامل :

قالَتْ وقَد رَأتِ اصْفِـراري من بهِ   وَتَنَهّـــــــدَتْ فأجَبْتُها المُتَنَهِّدُ

فَمَضَتْ وقد صَبَـــغَ الحَياءُ بَياضَهَا   لَوْني كَما صَبَغَ اللُّجَينَ العَسجَدُ

فرَأيتُ قَرْنَ الشّمسِ في قمرِ الدّجى   مُتَأوّداً غُصــــــــْنٌ بهِ يَتَأوّدُ [1]

وقد اصفر وجهه من فراقها وقد زاده تنهدها فأجابها بأنّ هذا المتنهد هو سبب بلاءه وقد قيل هنا إنّ الحياء يحمّر منه الوجه لا يصفر ولكن هذا الحياء شابه خوف الافتضاح أمام الرقباء فأصبح وجهها اصفراً كخليط الذهب والفضة وقد أضاف إلى ذلك تشبيه جسمها بالغصن في تثنيه وتمايله وصفرة بياضها كالشمس إذا حلت في القمر وقد جمع لها بين حسني الشمس والقمر .

وقد تحدث المتنبي عن العيون ووصفها بكثير من الصفات كالحور والغيد ووصف انهمال الدموع منها ومن أبياته في ذلك قوله من البسيط :

لَوْلا ظِباءُ عَدِيّ ما شُغِفْتُ بِهِمْ   وَلا برَبْرَبِهِمْ لَوْلا جَــــآذِرُهُ

من كلّ أحـــوَرَ في أنْيابهِ شَنَبٌ   خَمْرٌ يُخَامِرُها مِسكٌ تُخامِرُهُ

نُعْجٌ مَحاجِرُهُ دُعْجٌ نَواظِــرُهُ   حُمْرٌ غَفائِرُهُ سُودٌ غَــدائرُهُ [2]

والحور شدة بياض العين في شدة سوادها والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ونعج جمع أنعج والنعج البياض ومحاجر العين ما دار بها والدعج السواد والنواظر هي الأحداق والغفيرة هي الخمار والغدائر هي ضفائر الشعر .

وقد كرر صفة الغيد كثيرا كما قال من الطويل :

وَأغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كلُّ عاقِلٍ   عَفيفٍ وَيَهوَى جسمَهُ كلُّ فاسِقِ [3]

وقد أكثر الحديث عن البكاء والدموع وانسكابها من مثل قوله من الكامل :

قد كانَ يَمنَعني الحَياءُ منَ البُكَا   فاليَــوْمَ يَمْنَعُهُ البُكا أنْ يَمْنَعَا

حتى كأنّ لكُـــــلّ عَظْمٍ رَنّةً   في جِلْدِهِ ولكُلّ عِرْقٍ مَدْمَعَا [4]

وقد عقد المتنبي نسبا بين الدمع والبين فقال من البسيط :

قَدْ عَلّمَ البَينُ مِنّا البَينَ أجْفـــــــانَا   تَدْمَى وألّفَ في ذا القَلبِ أحزانَا

---

[1] الديوان ج٢ ص٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة
[2] الديوان ج٢ ص٢١٨ وشرحه بحاشية الصفحة
[3] الديوان ج٣ ص٦٢
[4] الديوان ج٣ ص٣

قد كنتُ أُشفِقُ من دَمعي على بصري   فاليَوْمَ كلُّ عـــزيزٍ بَعدَكمْ هَانَا[1]

فيقول إنّ فراق الأحبة علَم أجفاننا الدامية من طول البكاء أن يبتعد بعضها عن بعض كناية عن طول السهر وقد كان من قبل يخاف على عينيه من البكا أما وقد فارق الأحبة فقد هان عليه كل عزيز لبعدهم عنه ففقد بصره أهون عليه من فراقهم

والدمع قد يكون عند المتنبي نفوسا سائلة ويجود بها على محبوبتة كما يقول من الطويل :

أشاروا بتَسْليمٍ فَجُـــــدْنَا بأنْفُسٍ   تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسَّـــــمُّ أدْمُعُ
حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكيٍّ مِنَ الهَوَى   وَعَيْنايَ في رَوْضٍ من الحسنِ تَرْتَعُ[2]

وأما حديث المتنبي عن العيون وفتنتها فهو مثال يحتذى حيث يقول من الطويل :

لعَيْنَيْكِ ما يَلقَى الفـُـــــؤادُ وَمَا لَقي   وللحُبّ ما لم يَبقَ منّي وما بَقي
وَما كنتُ ممّنْ يَدْخُـــــلُ العِشْقُ قلبَه   وَلكِنّ مَن يُبصِرْ جفونَكِ يَعشَقِ
وَبينَ الرّضَى وَالسُّخطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى   مَجَالٌ لِدَمْـــــعِ المُقْلَةِ المُتَرَقرِقِ[3]

يقول المتنبي لمحبوبته : لعينيك وما تضمنتا من السحر وأثارتا من كوامن الحب ما يلقى قلبي من الوجد وما سبق أن لقيه من قبل وللحب الذي أسلمتني إليه ما لم يبقه السقم من جسمي وما بقى مما أنحله الحب وأضناه و لم أكن قبل رؤيتي لك من أهل العشق ولكن سحر هذه العيون الفاتنة أوقعني فسأظل هكذا بين رضاك عليِّ وسخطك وقربك مني وبعدك وعيوني ستظل أبداً تذرف دموعها .

ثم أتبعها ببيتين بلغا الغاية في دقة الوصف حيث يقول من الطويل :

وَلم أرَ كالألحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ   بَعثنَ بكلّ القتل من كلّ مُشفِقِ
أدَرْنَ عُيُوناً حـــائِراتٍ كأنّهَا   مُرَكَّبَةٌ أحْـــداقُهَا فَوْقَ زِئْبقِ[4]

فعيون محبوبته بعثت له القتل وهي حائرة بمتابعة لحظها متعبة بترادف دمعها كأنما وضعت أحداقها على الزئبق فهي لا تسكن أبدا .

ويقول في العيون أيضا من الطويل :

رَأينَ التي للسِّـــــحرِ في لَحَظاتِها   سُيُوفٌ ظُباها من دَمي أبداً حُمرُ
تَناهَى سُكونُ الحُسنِ من حرَكاتِها   فليسَ لرائي وجهِها لم يَمُتْ عُذْرُ[1]

---

[1] الديوان ج٤/٣٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص٣٤٤
[3] الديوان ج٣ ص٤٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ ص٥١ وشرحها بحاشية الصفحة

ويقول أيضا من الكامل :

ما بالُهُ لاحَظْتُهُ فتَضَرّجَتْ وَجنَاتُهُ وفُؤادِيَ المَجْرُوحُ

وَرَمَى وما رَمَتَا يَداهُ فَصابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ والسّهامُ تُريحُ (٢)

ويقول أيضا من الكامل :

مَثّلْتِ عَيْنَكِ في حَشايَ جِراحَةً فتَشابَها كِلْتاهُما نَجْــلاءُ

نَفَذَتْ عَلَيّ السّــابِرِيَّ ورُبّما تَنْدَقّ فيهِ الصَّعدَةُ السّمْراءُ (٣)

ودواء المتنبي في العيون أيضا كما يقول من الطويل :

وَفَتّانَةَ العَيْنَينِ قَتّالَةَ الهَوَى إذا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوَائِحُها شَبّا (٤)

وقد حاول أن يعلل تسمية أغطية العيون جفونا في بيت عدَّه النقاد عليه من أبيات التعقيد من الكامل :

ولِذا اسمُ أغطِيَةِ العُيُونِ جُفُونُها مِنْ أنّها عَمَلَ السّيُوفِ عَوامِلُ (٥)

والمتنبي بارع في الوصف كعادته وهذا وصف لوداع المحبوبة من الكامل :

لّما تَقَطّعَتِ الحُمُــــولُ تَقَطّعَتْ نَفْسِي أسًى وكأنّهُنّ طُلُوحُ

وَجَلا الوَداعُ من الحَبيبِ مَحاسِناً حُسْنُ العَزاءِ وقد جُلينَ قَبيحُ

فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وطَـــــرْفٌ شاخِصٌ وحَشاً يَذوبُ ومَدْمَعٌ مَسفُوحُ (٦)

والمتنبي تارة يعدَّ الدمع من الوفاء وتارة أخرى يعده من الواشين كما يقول من الطويل :

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجاهُ طاسِمه بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجمُهْ (٧)

وما أنَا إلاّ عاشِقٌ كلُّ عَاشِقٍ أعَـــــقُّ خَليلَيْهِ الصّفِيّين لائِمُهْ

وقَدْ يَتَزَيّا بالهَــوَى غَيرُ أهْلِهِ ويَستَصحِبُ الإنسانُ مَن لا يُلائمُهْ

ولما عدّ الدمع واشياً أخبر أنه لا يسحه إلا في غفلة الرقيب كما يقول من الطويل :

نَرَى عِظَماً بالبَينِ والصّدُّ أعظَمُ ونَتّهِمُ الواشِينَ والدّمْــعُ مِنْهُمُ

---

١ الديوان ج٢ ص٢٢٧
٢ الديوان ج١ ص٣٦٩
٣ الديوان ج١ ص١٤٣
٤ الديوان ج١ ص١٨٤
٥ الديوان ج٣ ص٣٦٩
٦ الديوان ج١ ص٣٧٠
٧ الديوان ج٤ ص٤٣

ومَنْ لُبُّهُ مَع غَيرِهِ كَيــفَ حالُهُ ... ومَنْ سِرّهُ في جَفْنِهِ كيفَ يُكتَمُ
ولّما التَقَيْــــــنا والنّوَى ورَقيبُنا ... غَفُولانِ عَنّا ظِلْتُ أبكي وتَبسِمُ
فَلَمْ أرَ بَدراً ضاحِكاً قبلَ وجْهِها ... ولم تَرَ قَبْــــــلي مَيّتاً يَتَكَلّمُ (١)

والدمع عند المتنبي ماء روحه فهو يتعجب كيف يعيش بعد انهماله ؟كما يقول من الكامل :

مُتَلاحِظَينِ نَسُحُّ مَاءَ شُؤونِنَا ... حَذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ في الأكْمَامِ
أرْوَاحُنَا انهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعدَهَا ... من بَعدِ ما قَطَرَتْ على الأقدامِ (٢)!

والمتنبي يخاطب الربع كثيراً فيقول من البسيط :

بكَيتُ يا رَبْعُ حتى كِدْتُ أُبكيكَا ... وجُدْتُ بي وبدَمعي في مَغانيكَا
فعِمْ صَباحاً لقدْ هَيّجتَ لي طَرَباً ... وَارْدُدْ تَحِيّتَنَا إنّا مُحَيّـــوكَا
بأيّ حُكْمِ زَمانٍ صِرْتَ مُتّخِذاً ... رِئْمَ الفَلا بَدَلاً من رِئْمِ أهليكَا (٣)

ويقول للربع مرة اخرى :

أيَدْري الرَّبْعُ أيَّ دَمٍ أراقَــا ... وَأيَّ قُلُوبِ هذا الرّكْبِ شَاقَا
لَنَا ولأهْلِهِ أبَداً قُلُـــــــوبٌ ... تَلاقَى في جُسُــومٍ ما تَلاقَى
ومَا عَفَتِ الرّيــاحُ لَهُ مَحَلاًّ ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمِ وَسَــاقَا
فَلَيْتَ هوَى الأحبّةِ كانَ عَدلاً ... فَحَمّلَ كُلّ قَلبٍ ما أطَــاقَا
نَظَرْتُ إلَيْهِمِ والعَينُ شَكْرَى ... فَصارَتْ كُلّهَا للدّمعِ مَــاقَا (٤)

والدمع وإن كان يقضي ما يجب للأحبة لكنه لا يشفي من الوجد كما يقول من البسيط:

دَمْعٌ جرَى فقضَى في الرَّبْعِ ما وجَبَا ... لأهلِهِ وشَفَى أنّى ولا كَــرَبَا
عُجْنا فأذهَبَ ما أبْقَى الفِـراقُ لَنا ... منَ العُقُولِ وما رَدّ الذي ذَهَبَا
سَقَيْتُهُ عَبَراتٍ ظَنّهَا مَطَــــراً ... سَوائِلاً من جُفُونٍ ظَنّها سُحُبَا (٥)

أنّى : أي كيف وكرب من أفعال المقاربة أي كاد يقول :

إنه بكى في أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه مما أمّ به من وجد ثم رجع عن ذلك وقال وكيف أظن أنّ بكائي قضى ما يجب وشفى ما في نفسي من لوعة وهو لم يقضِ الحق و لم

١ الديوان ج٤ ص٢٨٢
٢ الديوان ج٤ ص١٢١
٣ الديوان ج٣ ص١١٥
٤ الديوان ج٣ ص٣٩
٥ الديوان ج١ ص٢٣٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

يشفِ الوجد ولا قارب أن يقضي وفي هذا البيت ما يسميه البلاغيون الرجوع وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال .

الحب العفيف الممّنع :

صور المتنبي نفسه ــ في أغلب الأحيان ــ في غزله صورة العاقل العفيف وسأورد طرفاً من الأمثلة التي صور محبوبته فيها ممنعة بعيدة المنال كما يقول ذاكراً هواه من الطويل :

وَأغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كلُّ عاقِلٍ   عَفيفٍ وَيَهوَى جسمَهُ كلُّ فاسِقِ [1]

وقد كرر المتنبي في أبيات كثيرة حديثه عن العفاف وافتخر به وغالا من مثل قوله من الطويل:

وَما كلّ مَن يهوَى يَعِفّ إذا خَـــلا   عَفَافي وَيُرْضي الحُبّ وَالخَيلُ تلتقي
وَأحلى الهَوَى ما شكّ في الوَصْلِ رَبُّهُ   وَفي الهجرِ فهوَ الدّهرَ يَرْجو وَيَتّقي [2]

فهو يفتخر بعفافه وبشجاعته في الحرب مبيناً ذلك لمحبوبته والبيت الثاني هو معنى قولهم أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل فهو يحذر ويتقي ويؤمل ويرتجي وحبيب المتنبي في غاية المنعة فالرماح تحميه كما يقول من الطويل :

حَبيبٌ كأنّ الحُسنَ كانَ يُحِبــهُّ   فآثَرَهُ أوْ جارَ في الحُسنِ قاسِمُهْ
تَحُولُ رِماحُ الخَطّ دونَ سِباـــئِهِ   وتُسبَى لَهُ منْ كلّ حَيٍّ كرائِمُهْ
وَيُضْحي غُبارُ الخَيلِ أدنَى سُتُورِهِ   وآخِرُها نَشْرُ الكِبــاءِ المُلازِمُهْ [3]

فمحبوبتة هذه استبدت بالحسن وانفردت به فكأنّ الحسن استخلصها لنفسه وكأنّ من قسم الحسن لم يعدل فأعطاها الحسن كله وهي ممنعة أقرب ستورها لطالبه غبار خيول قومها وأبعدها بخوره فهي غاية في المنعه وغاية في النعمة فهي يخدمها كرائم ما يسبى من الأحياء .

وهل توجد منعة أكثر من قول المتنبي من الكامل :

عَدَوِيّةٌ بَدَوِيّةٌ مِنْ دُونِهَا   سَلْبُ النّفُوسِ ونارُ حرْبٍ توقَدُ
وَهَواجلٌ وصَواهِلٌ ومَنَاصِلٌ   وذَوابِلٌ وتَوَعّدٌ وتَهَدُّدُ [4]

فمحبوبته تحفظ بالرماح لا بالتمائم كما يقول من الطويل :

دِيارُ اللّواتي دارُهُنّ عَزيزَةٌ   بِطُولَى القَنا يُحفَظنَ لا بالتّمائِمِ [5]

---

[1] الديوان ج٣ ص٦٢
[2] الديوان ج٣ ص٤٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص٤٩ وشرحها بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٢ ص٥٣
[5] الديوان ج٤ ص٢٣٧

وقد بالغ في ذلك على عادته في حب المبالغة كما يقول من الخفيف :

كُلُّ مَهَــاةٍ كأنّ مُقْــــلَتَهَا   تَقُولُ إيِــّاكُمُ وَإيّاهَا

فيهنّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَماً   إذا لِسَانُ المُحِبّ سَمّاهَا [1]

ويقول أيضاً في منعة محبوبته من البسيط :

متى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارَتَهَا   لا يُتْحِفُوكَ بغَيرِ البِيضِ وَالأسَلِ [2]

ويقول عنه أيضاً من الوافر :

وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كلّ صَبٍّ   وَيَمْنَحُهُ البَشَامَةَ وَالأرَاكَا

حب المتنبي للبدو ونسيبه بالأعرابيات :

لقد تأثر المتنبي بالوقت الذي قضاه في البادية فأحب أهلها وتملكته صفاتهم ومع أنه قضى وقت كبيراً من حياته في الحواضر في بلاط ممدوحيه بين حلب ومصر وأرجان وغيرها إلا أنّ طبائع البادية كانت الأقوى في نفسه فوجدته يولع بصفات أهلها ويختار محبوبته منهم على حد قوله من الكامل :

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا   سَلْبُ النّفُوسِ ونارُ حرْبٍ توقَدُ [3]

وقد كان معجباً حد الإعجاب المتناهي بالأعرابيات فقد قال من البسيط :

هامَ الفُؤادُ بأعرابيّةٍ سَكَنَتْ   بَيْتاً من القلبِ لم تَمدُدْ له طُنُبَا

مَظْلُومَةُ القَدّ في تَشْبيهِهِ غُصُناً   مَظلُومَةُ الرّيقِ في تَشبيهِهِ ضَرَبَا [4]

ولّما كان المتنبي يكره التصنع لذا حاد عن حب الحضريات لّما كنّ يتصنعن جمالهن وقد أوضح ذالك في بائيته من البسيط :

مَنِ الجآذِرُ في زِيّ الأعَارِيبِ   حُمْرَ الحِلَى وَالمَطَايَا وَالجَلابيبِ [5]

وسأتعرض لهذه القصيدة مستنتجاً منها بعض أسباب حبه للبدو :

مَنِ الجآذِرُ في زِيّ الأعــَـارِيبِ   حُمْرَ الحِلَى وَالمَطَــــايَا وَالجَلابيبِ

---

[1] الديوان ج٤ ص٤٠٧
[2] الديواني ج٤ ص١٩٩
[3] الديوان ج٢ ص٥٣
[4] الديوان ج١ ص٢٣٨
[5] الديوان ج١ ص٢٨٨

إنْ كُنتَ تَسألُ شَكّاً في مَعارِفِها   فمَنْ بَلاكَ بتَسهيدٍ وَتَعـــــــــذيبِ
سَوَائِرٌ رُبّمَا سارَتْ هَوَادِجُـــــهَا   مَنيعَةً بَينَ مَطْعُونٍ وَمَضــــــــرُوبِ
وَرُبّمَا وَخـــــَدَتْ أيْدي المَطيّ بهَا   على نَجيعٍ مِنَ الفُرْسانِ مَصْبـوبِ
كمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأعراب خافِيَةٍ   أدهى وَقَد رَقَدوا مِن زَوْرَةِ الذيبِ
أزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللّيْلِ يَشفَــــعُ لي   وَخالَفُوها بتَقْويضٍ وَتَطنــــــــيبِ
فُؤادُ كُلّ مُحِبٍّ في بُيُـــــــوتِهِمِ   وَمَالُ كُـــــلِّ أخيذِ المَالِ مَحرُوبِ
ما أوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحسَــناتُ بهِ   كأوْجُهِ البَــــــدَوِيّاتِ الرّعَابيبِ
حُسْنُ الحِضارَةِ مَجــلُوبٌ بتَطْرِيَةٍ   وَفي البداوَةِ حُســــنٌ غيرُ مَجلوبِ
أينَ المَعيزُ مِنَ الآرَامِ نَاظِـــــــرَةً   وَغَيرَ ناظِرَةٍ في الحُسنِ وَالطّيــــبِ
أفدِي ظِبَاءَ فَلاةٍ مَا عَـــــرَفْنَ بهَا   مَضْغَ الكلامِ وَلا صَبغَ الحــوَاجيبِ
وَلا بَرَزْنَ مِنَ الحَمّـــــــــامِ مَاثِلَةً   أورامُهُنَّ صَقيــــــــلاتِ العَرَاقيبِ
وَمِنْ هَوَى كلّ مَن ليستْ مُمَوِّهَةً   ترَكْتُ لَوْنَ مَشيبي غيرَ مَخضُوبِ
وَمِن هَوَى الصّدقِ في قَوْلي وَعادَتِهِ   رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرّأس مكذوبِ [1]

والأبيات في جملتها يفضل المتنبي فيها البدويات على الحضريات وأما السبب فأوجزه في هذين البيتين :

حُسْنُ الحِضارَةِ مَجلُوبٌ بتَطْرِيَةٍ   وَفي البداوَةِ حُســنٌ غيرُ مَجلوبِ
أفدِي ظِبَاءَ فَلاةٍ مَا عَــرَفْنَ بهَا   مَضْغَ الكلامِ وَلا صَبغَ الحَواجيبِ

حيث أوجز السبب وحصره في أنّ حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة أما حسن البدويات فهو خلقه فهن لا يعرفن التكلف وفي بيتين لاحقين عاد ليؤكد الأسباب ويفندها فقال من البسيط :

وَمِنْ هَوَى كلّ مَن ليستْ مُمَوِّهَةً   ترَكْتُ لَوْنَ مَشيبي غيرَ مَخضُوبِ
وَمِن هَوَى الصّدقِ في قَوْلي وَعادَتِهِ   رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرّأس مكذوبِ

حيث يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت بياض شعري دون خضاب ومن أجل حبي للصدق وتعودي إياه لم أجعل شعر رأسي مكذوباً أي مسوداً بالخضاب لأنه ليس لونه .

---

[1] الديوان ج١ ص٢٨٨ وشرحها في حاشية الصفحة .

وينبغي الإشارة إلى البيت التالي :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللّيْلِ يَشفَعُ لي وَأنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي

حيث عُدّ هذا البيت من معجزات المتنبي فقد جمع فيه خمس مطابقات هي : الزيارة والإنثناء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولي وبي وهو بالإضافة إلى هذه المطابقات المتعددة فيه معنى رائع وهو قدرة المتنبي على اختراق منعة محبوبه القوية وفي البيت أيضاً سلاسة الألفاظ وكمال تأدية المعنى .

تصوير المتنبي مواقف الوداع والفراق وأطلال الأحبة

إن أكثر ما تفنن المتنبي فيه في هذه المواقف هو البكاء وانهمال الدموع فوجدته يصور هذه الدموع نفوساً تسيل وهو المهتم بالنفس كما بين هذا البحث فتارة يجعل الدموع نفوساً تسيل . رداً على تسليم المحبوب في لحظات الوداع كما يقول من الطويل :

أشاروا بتَسْليمٍ فَجُـــــدْنَا بأنْفُسٍ تَسيلُ مِنَ الآمـــــاقِ وَالسَّمُّ أدْمُعُ

حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكيٍّ مِنَ الهَوَى وَعَيْنايَ في رَوْضٍ من الحسنِ تَرْتَعُ[1]

وفي أبيات رائعة فيها جودة في التصوير رسم لحظات الوداع حين تقطّع النفس لتقطع الحمول كما يقول من الكامل :

لّما تَقَطّعَتِ الحُمُـــــولُ تَقَطّعَتْ نَفْسِي أسًى وكأنّهُنّ طُلُوحُ

وَجَلا الوَداعُ من الحَبيبِ مَحاسِناً حُسْنُ العَزاءِ وقد جُلينَ قَبيحُ

فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وطَرْفٌ شـــــاخِصٌ وحَشاً يَذوبُ ومَدْمَعٌ مَسفُوحُ[2]

والبيت الأخير صورة متكاملة للحظة الوداع فيد تشير بالسلام وطرف شاخص إلى وجه المودَّع وقلب يذوب حزناً على الفراق ومدمع يسيل على المحبوب فهلا أشفق هذا الحبيب على حاله ! وتارة يتمنى المتنبي أن يرى التوديع لأن فيه رؤية الحبيب والشكوى والبث كما يقول من الكامل :

ما زِلْتُ أحذَرُ مِنْ وَداعِكَ جاهِداً حتى اغْتَدَى أسَفي على التّوْديعِ

رَحَلَ العَزاءُ برِحْلَتي فكأنّمَـــــا أتْبَعْتُهُ الأنْفَاسَ للتّشْييــــــــعِ[3]

فقد رحل الصبر عنه بارتحاله عن حبيبه وكأن أنفاسه تبعت الصبر مشيعة له .

---

[1] الديوان ج٢ ص٣٤٤

[2] الديوان ج١ ص٣٧٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

[3] الديوان ج١ ص٣٥٦

والمتنبي يعتقد أن الفراق يجلب الموت فيطلب التزود بنظرة قبل الرحيل ولذا خاطب حادي العيس من الخفيف :

يَا حَادِيَيْ عيسهَا وَأَحْسَبُني — أُوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أفْقِدُهَا
قِفَا قَلِيــــلاً بها عَليّ فَلا — أقَلّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا
فَفي فُؤادِ المُحِبّ نَارُ جَوًى — أحَرُّ نَارِ الجَحيمِ أبْرَدُهَا [1]

ولما لم يجد نفعاً مع حداة العيس عاد ليدعو على العيس لأنها عماد رحلة البعاد والفراق حتى تصورت هذه العيس أنينه زجر حداتها فجدّت في السير كما يقول من الكامل :

يَسْتَــاقُ عيسَهُمُ أنيني خَلفَها — تَتَوَهّمُ الزّفَراتِ زَجرَ حُــداتِهَا
وكأنّها شَجَرٌ بَـــَدتْ لَكِنّهَا — شَجَرٌ جَنَيتُ المَوْتَ من ثمَــراتِهَا
لا سِــرْتِ مِن إبلٍ لوَانّي فَوْقَها — لَمَحَتْ حرارَةُ مَدمَعيّ سِمِــاتِهَا

وحمَلتُ ما حُمّلتِ من هذي المَها — وحَملتِ ما حُمّلتُ من حسراتِها [2]

وقد كرر المتنبي وصف الدمع وفي وداع الحبيب ـــ بأنه الأرواح انهملت من العيون ولذا تعجب من العيش بعد ذلك كما يقول من الكامل :

مُتَلاحِظَينِ نَسُحُّ مَاءَ شُؤونِنَا — حَذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ في الأكْمَــامِ
أرْوَاحُنَا انهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعدَهَا — من بَعدِ ما قَطَرَتْ على الأقدامِ [3]

وبكاء الوداع غلب حياء المتنبي حتى تفجر الدمع من كل عرق في جسمه كما يقول من الكامل :

قد كانَ يَمنَعني الحَياءُ منَ البُكَا — فاليَوْمَ يَمْنَعُهُ البُكا أنْ يَمْنَعَا
حتى كأنّ لكُلّ عَظْــــــمٍ رَنّةً — في جِلْدِهِ ولكُلّ عِرْقٍ مَدْمَعَا
وكَفَى بمَن فَضَحَ الجَدايَةَ فاضِحاً — لمُحبّهِ وبمَصْرَعي ذا مَصْرَعَا [4]

وفي البيت الأخير أبان أنّ محبوبه غاية في الحسن وأن المتنبي بلغ الغاية في الحب والعشق .

ومطر الدمع عند المتنبي ليس كعادة المطر يولي الأرض الخصب والنماء ولكنه يزيد الخدود محولاً كما يقول من الكامل :

في الخَدّ أنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحيلا — مَطَرٌ تَزيدُ بهِ الخُدودُ مُحُولا [1]

---

[1] الديوان ج٢ ص١٨
[2] الديوان ج١ ص٣٤٨
[3] الديوان ج٤ ص١٢١
[4] الديوان ج٣ ص٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

وفراق الأحبة ووداعهم لم يورث المتنبي إلا الحيرة والضلال كما يقول من الطويل :

فَيَا شَوْقُ ما أبْقَى ويَا لِي من النّوَى ويَا دَمْعُ ما أجْرَى ويَا قلبُ ما أصبَى

لَقد لَعِبَ البَينُ المُشِتُّ بهَـــا وَبِي وَزَوّدَني في السّيرِ مــــا زَوّدَ الضبّا (٢)

ودمع عين المتنبي انطلق بانطلاق عيس أحبته فقد كانت باركة فوق جفونه كما يقول من الوافر :

فكانَ مَسيرُ عيسهِم ذَميــلاً وسَيْرُ الدّمْعِ إثْرَهُمُ انهِمالا

كأنّ العِيسَ كانَتْ فَوْقَ جفني مُناخاتٍ فَلَمّا ثُرْنَ سَالا (٣)

ودموعه تكفي لملئ المزاد وإرواء العيس أيضاً كما يقول من الكامل :

إنْ كُنْتِ ظاعِنَةً فإنّ مَدامعي تَكفي مَزادَكُمُ وتُرْوي العِيسَا (٤)

ودموع الفراق تقضي ما يجب للأحبة ولكنها لا تشفي ولا تقارب الشفا كما يقول من البسيط :

دَمْعٌ جرَى فقضَى في الرَّبْعِ ما وجَبَا لأهلِهِ وشَفَى أنّى ولا كَــرَبَا

عُجْنا فأذهَـــبَ ما أبْقَى الفِراقُ لَنا منَ العُقُولِ وما رَدّ الذي ذَهَبَا

سَقَيْتُهُ عَبَـــــــــراتٍ ظَنّهَا مَطَراً سَوائِلاً من جُفُونٍ ظَنّها سُحُبَا (٥)

ودموعه أحياناً من الدم والدليل سقامة بعد انهمالها كما يقول من الطويل :

بَلَلْتُ بها رُدْنَيَّ والغَيمُ مُسْعِــــدي وعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وفي عَبرَتي دَمُ

ولَوْ لم يكُنْ ما انهَلّ في الخدّ من دمي لَمَا كانَ مُحْمَرّاً يَسيلُ فأسْقَمُ (٦)

والدمع عند المتنبي قرّح الأجفان وغيّر حمرة الخدود كما يقول من الطويل :

وَقَفْنا ومِمّـــــــــــــا زادَ بَثّاً وُقُوفُنَا فَرِيقَيْ هَوًى منّا مَشُوقٌ وشــائِقُ

وقد صارَتِ الأجفانُ قَرْحى منَ البُكا وصارَتْ بَهاراً في الخدودِ الشّقائقُ (٧)

والبهار زهر أصفر والشقائق زهر أحمر ويعني تحول حمرة الخدود إلى الصفار لأجل البين .

والفراق طريق المنايا إلى الأرواح عند المتنبي كما قال من البسيط :

أحْيَا وَأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَــلا وَالبَينُ جارَ على ضُعْفي وَمَا عَــدَلا

وَالوَجدُ يَقوَى كما تَقوَى النّوَى أبداً وَالصّبرُ يَنحلُ في جسمي كما نَحِلا

---

[١] الديوان ج٣ ص٣٤٩
[٢] الديوان ج١ ص١٨٥
[٣] الديوان ج٣ ص٣٣٨
[٤] الديوان ج٢ ص٣٠٢
[٥] الديوان ج١ ص٢٣٧
[٦] الديوان ج٤ ص٢٠٤
[٧] الديوان ج٣ ص٨٢

لَوْلا مُفارَقَةُ الأحبابِ ما وَجَـــدَتْ   لَهَا المَنَايَا إلى أرْوَاحِنَـــــا سُبُلا [1]

فأقل ما يعانيه من شدائد الهوى قاتل ولما ضعف من مقاساة الهوى ازداد أمره سوءاً ببعد الأحبة الذي هو متزايد كحزن المتنبي الذي أضعف جسمه كضعف صبره ولهذا توسلت المنايا إلى روح المتنبي بطريق فراق الأحبة .

ويلوم المتنبي نفسه حين شبابه فقد كان يهزأ بالفراق كما يقول من الكامل :

قَد كُنْتَ تَهْزَأُ بالفِـــراقِ مَجَانَةً   وَتَجُرّ ذَيْلَيْ شِرّةٍ وَعُرَامِ

لَيسَ القِبابُ على الرّكَـــابِ وَإنّمَا   هُنّ الحَيَاةُ تَرَحّلَتْ بسَلامِ

ليتَ الذي فَلَقَ النّوَى جعَل الحَصَى   لخِفافِهِنّ مَفاصِلي وَعِظامي [2]

والشرة : وقت الحدة والنشاط والعرام : الشراسة

فهوادج الأحبة الذين رحلوا هم الحياة رحلت ففراقهم فقد لمعنى الحياة .

وقد صور مرارة الفراق ونيرانه الملتهبة وإغراء الصبابة وقتلها للمحب كما يقول من المتقارب :

فوَا حَسْرَتَا ما أمَرّ الفِراقَ   وَأعْلَقَ نيرانَهُ بالكُبُـــودِ

وأغْرَى الصّبابَةَ بالعاشِقِينَ   وَأقْتَلَهَا للمُحِبّ العَميـــدِ

وَألْهَـــجَ نَفْسي لغَيرِ الخَنَا   بحُبّ ذَواتِ اللَّمَى والنّهُودِ [3]

والمتنبي يعود دائماً لحكمه معللاً نفسه فيقول من الطويل :

على ذا مضَى النّاسُ اجتماعٌ وفُرْقَةٌ   ومَيْتٌ ومَوْلُـــودٌ وقالٍ ووامِقُ

تَغَيّرَ حَالي واللّيـــــــالي بحالِها   وشِبْتُ وما شابَ الزّمانُ الغُرانِقُ [4]

وهذا جعل المتنبي لا يستغرب من الفراق شيئاً لتعوده على ذلك كما يقول من الطويل :

وما استَغْرَبَتْ عَيني فِراقاً رأيْتُهُ   ولا عَلّمَتْني غيرَ ما القَـــلبُ عالمُهْ

فَلا يَتّهِمْني الكاشِحونَ فإنّني   رَعَيتُ الرّدى حتى حَلَتْ لي علاقمُهْ [5]

والمتنبي يصف تتيمه وذهوله وهو في معالم ديار الأحبة الخالية وأنه لو لم يصبه الدهش والوجد للام نفسه كما قال من الطويل :

أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللّوائِمِ   عَلِمتُ بما بي بَينَ تلكَ المَعالِمِ

---

[1] الديوان ج٣ ص٢٨٢ وشرحها بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص١٢٠ وشرحها بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٢ ص٦٤
[4] الديوان ج٣ ص٨٣
[5] الديوان ج٤ ص٥٠

ولَكِنّني مِمّا شُدِهْتُ مُتَيّـــَمٌ كَسالٍ وقَلبي بائحٌ مثلُ كاتِمِ
وقَفْنا كأنّا كُلُّ وَجْـــــدِ قُلُوبِنَا تَمَكّنَ مِن أذْوادنا في القَوائِمِ
ودُسْنا بأخْفافِ المَطي تُرابَهَا فَما زِلْتُ أستَشفي بلَثْمِ المَناسِمِ (١)

تصوير المتنبي للهجر والسهد والطيف وعدم إصغائه إلى العذل واللوم :

ترسّم المتنبي في هذا الأمر شأن العشاق الكبار وإن لم يكن منهم فقد وجدته يترضى حبيبته ويطلب وصالها فيقول من البسيط :

بما بجفْنَيْكِ من سِحْرٍ صِلي دَنفاً يهوَى الحَياةَ وَأمّا إنْ صَدَدتِ فَلا
يَحِنّ شَوْقاً فَلَوْلا أنّ رَائِحَةً تزورُهُ مِن رِياحِ الشّرْقِ مَا عَقَلا (٢)

ويقول داعياً لطلولها بالسقيا من عارض دائم ممرع من الكامل :

رُدّي الوِصالَ سقَى طُلولَكِ عارِضٌ لوْ كانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ ما أقْشَعَا
زَجِلٌ يُرِيكَ الجَـــــــوَّ ناراً والمَلا كالبَحْرِ والتّلَعاتِ رَوْضاً مُمْرِعَا (٣)

ولكنّ حبيبة المتنبي شديدة الملل كما قال من من الخفيف :

مَلُولَةٌ ما يَدومُ لَيسَ لَها مِنْ مَلَلٍ دائِمٍ بهَا مَلَلُ (٤)

ومحبوبته والأيام عليه حليفا صد وهجران عن طبع يأبى التغيير كما قال من الطويل :

أوَدُّ مِنَ الأيّامِ مَا لا تـَـــوَدُّهُ وَأشكُو إلَيهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْــدُهُ
يُباعِدْنَ حِبّاً يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ فكَيفَ بحِبٍّ يَجْتَمِعنَ وَصَـدُّهُ
أبَى خُلُقُ الدّنْيَا حَبِيــباً تُديمُهُ فَمَا طَلَبي مِنهَا حَبِيـــــباً تَرُدّهُ
وَأسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَــلْتَ تَغَيُّراً تَكَلفُ شيءٍ في طِباعِكَ ضِدّهُ (٥)

والحزن مشغوف بقلب المتنبي يصله كلما هجره أحبابه كما يقول من الوافر :

كأنّ الحُزْنَ مَشْغُوفٌ بقَلبي فَساعَةَ هَجرِها يَجِدُ الوِصالا (٦)

وللمتنبي أبيات عذبة رقيقة يصف فيها ألم الأرق والجوى ونارهما التي لا تنطفئ من الكامل :

---

١ الديوان ج٤ ص٢٣٦
٢ الديوان ج٣ ص٢٨٣
٣ الديوان ج٣ ص٤
٤ الديوان ج٣ ص٣٢٥
٥ الديوان ج٢ ص١١٩
٦ الديوان ج٣ ص٣٤٠

أرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلي يَـــأرَقُ وَجَوًى يَزيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ

جُهْدُ الصّبابَةِ أنْ تكونَ كما أُرَى عَينٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ

مَا لاحَ بَرْقٌ أوْ تَرَنّمَ طَـــــــائِرٌ إلاّ انْثَنَيْتُ وَلي فُؤادٌ شَيّقُ (١)

فقد صور لنا في هذه القافية العذبة والألفاظ المتسلسلة الرقيقة ما لقي من وراء الهجر والصد من سهد مبرح حرمه لذة النوم .

وقد كرر المتنبي نفي الشوق لذيذ الهجوع عنه وتعجب كيف لم يجدوا ملوحة في الماء مما رقرق من دموعه من الكامل :

شَوْقي إلَيكَ نَفَى لَذيذَ هُجُوعي فَارَقْتَني وأقَامَ بَينَ ضُلُـــُوعي

أوَمَا وَجَدْتُمْ في الصّراةِ مُلُوحَةً مِمّا أُرَقْرِقُ في الفُراتِ دُمُوعي (٢)

وقد ذم المتنبي الليالي يبيتها ساهداً لمن باها راقداً حيث يقول من الخفيف :

بِئْسَ اللّيَالي سَهِدْتُ مِنْ طَرَبٍ شَوْقاً إلى مَنْ يَبيتُ يَرْقُدُهَا

أحْيَيْتُهَا وَالدّمُـــوعُ تُنْجِدُني شُؤونُهَا وَالظّـــلامُ يُنْجِدُهَا (٣)

وقد وصف لياليه بالطول وصّور ما أصابه من السهد في لوحة بديعة من الطويل :

أعِيدوا صَباحي فَهوَ عندَ الكَواعبِ ورُدّوا رُقادي فَهوَ لحظُ الحبائِبِ

فإنّ نَهـــــــــاري لَيْلَةٌ مُدْلَهِمّةٌ على مُقْلَةٍ مِنْ بَعدِكمْ في غياهبِ

بَعيدَةِ ما بَينَ الجُفُـــــونِ كأنّمَا عَقَدْتُمْ أعالي كلِّ هُدْبٍ بحاجِبِ (٤)

وقد حاول أن يتصبر على فقد الأحباب ورحيلهم من الطويل :

لَيَاليّ بَعْدَ الظّاعِنِينَ شُكُـــــولُ طِوالٌ وَلَيْلُ العاشِقينَ طَويلُ

يُبِنَّ ليَ البَـــدْرَ الذي لا أُريدُهُ وَيُخْفِينَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبيلُ

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعدِ الأحِبّةِ سَلوَةً وَلَكِنّني للنّائِبَاتِ حَمُـــولُ (٥)

والعشق غريب عند المتنبي فهو بينه وبين السهاد كما يقول من الطويل :

كأنّ سُهادَ اللّيلِ يَعشَقُ مُقلَتي فبَيْنَهُما في كُلّ هَجْرٍ لنا وَصْلُ (٦)

---

١ الديوان ج٣ ص٧٣
٢ الديوان ج٣ ص٧٣
٣ الديوان ج٢ ص٢٢
٤ الديوان ج١ ص٢٧٤
٥ الديوان ج٣ ص٢١٧
٦ الديوان ج٣ ص٣٠٠

وكتب على المتنبي أنه لا حظ له في الوصال ولا في النوم كما يقول من الكامل :

وَجعلتِ حظّي منكِ حظّي في الكَرَى * وَتَرَكْتِنِي للفرْقَدَينِ جَلِيسَا [١]

فهو ساهر كل الليل يرقب هذين النجمين مضرب المثل في اجتماعهما

والمتنبي يستلذ بالسهاد كالرقاد والنبات الحامض يتحول لورد من أجل محبوبه كما يقول من الطويل:

سُهادٌ أتانا منكِ في العَينِ عِنْدَنَا رُقادٌ وقُلاّمٌ رَعَى سَرْبُكـــمْ وَرْدُ

مُمَثَّلَةٌ حتى كأنْ لمْ تُفـــارِقِي وحتى كأنّ اليأسَ من وَصْلكِ الوَعدُ

وحتى تَكادي تَمْسَحينَ مَدامعي ويَعْبَقُ في ثَوْبيَّ من رِيحِـــكِ النَّدُّ [٢]

فالسهاد من أجل الحبيب كالرقاد والقلام وهو نبت من الحمض كأنه ورد وهو لحبه يستلذ الألم ويحسن في عينه ما ليس حسناً ومحبوبته الغائبة كأنها حاضرة ويأسه من الوصل وعد منها بالوصل حتى تصورها تمسح دموعه وتكفكفها وحتى عبق طيبها في ثيابه.

والمتنبي يحمد الذكريات لأنّ فيها ما يتلذذ بذكراه كما يقول من الطويل :

تَذَكّرْتُ ما بَينَ العُذَيبِ وَبَارِقِ مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السّـــوَابقِ

وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّـــوِيّةَ تَحْتَهُ كأنّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ في المَـــرَافِقِ

بِلادٌ إذا زارَ الحِســانَ بغَيرِهَا حَصَى تُرْبِهَا ثَقّبْنَهُ للمَخـــانِقِ

سَقَتْني بهَا القُطْـرُبُّليَّ مَليحَةٌ على كاذِبٍ منْ وَعدِها ضَوْءُ صَادقِ

سُهادٌ لأجفانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ وَسُقْمٌ لأبدانٍ وَمِســكٌ لِناشِقِ [٣]

وَجائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبّةِ وَالهَوَى وَإنْ كانَ لا يخفَى كَلامُ المُـــنافِقِ

والمتنبي يطلب من الليل الذي شابه شعر المحبوبة في السواد أن يبعد عنه كبعد محبوبته عنه كما يقول من الخفيف :

حَكَيْتَ يا لَيلُ فَرْعَها الوَارِدْ فاحكِ نَوَاهَا لجَفنيَ السّاهِدْ

طَالَ بُكائي عَلى تَـذَكُّرِهَا وَطُلْتَ حتى كِلاكُمَا وَاحِدْ [٤]

والمتنبي يصف طيف المحبوبة الذي خاض إليه الدياجي وإن كان شّرد عنه النوم وألاع الفؤاد كما يقول من الطويل :

---

[١] الديوان ج٢ ص٣٠٢ وشرحه بحاشية الصفحة

[٢] الديوان ج٢ ص١٠٣ وشرحها بحاشية الصفحة .

[٣] الديوان ج٣ ص٦٠

[٤] الديوان ج٢ ص١٧٥

بمَا بينَ جَنبيّ التي خـــــاضَ طيْفُهَا إليّ الدّياجي وَالخَلِيّونَ هُجّعُ
أتَتْ زائِراً ما خامَرَ الطّيـــــبُ ثَوْبَها وكالمِسْكِ مِن أرْدانها يَتَضَوّعُ
فما جلَسَتْ حتى انثَنَتْ توسعُ الخُطى كَفاطِمَةٍ عن دَرّها قَبلَ تُرْضِعُ
فَشَرّدَ إعظـــــــــامي لَها ما أتَى بهَا مِنَ النّوْمِ والْتَاعَ الفُؤادُ المُفَجَّعُ
فَيَا لَيْلَةً ما كانَ أطْـــــــــــوَلَ بِتُّهَا وَسُمُّ الأفاعي عَذْبُ ما أتَجَرّعُ [1]

فخيال محبوبته جعله يستعظم رؤيتها ونفى ذلك النوم عنه وجعل قلبه يحترق لرؤيتها .

والطيف له صفة غريبة فهو يقابل الشيءِ بضده من البسيط :

دارُ المُلِمِّ لها طَيفٌ تَهَدّدَني لَيلاً فَما صَدَقتْ عَيني ولا كَذَبَا
أنْأيْتُهُ فَدَنا، أدْنَيْتُهُ فنَــأى، جَمّشْتُهُ فَنَبَا، قَبّلْتُهُ فــــــأبَى [2]

وهذا الطيف كما قال أبو تمام : صّدت وعلمت الصدود خيالها .

والمتنبي يخبرنا أن ما زاره ليس خيال حبيبته بل خيال خيالها كما يقول من الكامل :

لا الحُلْمُ جادَ بهِ وَلا بمِثـالِهِ لَوْلا اذّكارُ وَدَاعِــهِ وزِيَالِهِ
إنّ المُعِيدَ لَنَا المَنَامُ خَيَـــالَهُ كانَتْ إعادَتُهُ خَيَــالَ خَيَالِهِ
بِنْتُم عَنِ العَينِ القَريحَةِ فيكُمُ وَسَكَنْتُمُ طَيَّ الفُــؤادِ الوَالِهِ
فَدَنَوْتُمُ ودُنُوّكُمْ من عِنْــدِهِ وَسَمَحتُمُ وسَمَاحُكمْ من مالِهِ [3]

حيث كان في يقظته يرى خيال محبوبته ولذا رأى خيال الخيال في النوم وعذال محبوبته هم في الحقيقة حواسد لها لحبها لضجيع ما جد كما يقول من الطويل :

عَوَاذِلُ ذاتِ الخَالِ فيّ حَـــــــوَاسِدُ وَإنّ ضَجيعَـــــَ الخَوْدِ منّي لَماجدُ
يَرُدّ يَداً عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَــــــــــادِرٌ وَيَعصي الهَوَى في طَيفِها وَهوَ راقِدُ
متى يَشتفي من لاعجِ الشّوْقِ في الحشا مُحِبٌّ لها في قُرْبه مُتَبَــــــــاعِدُ [4]

فهو يعف مع كونه قادراً على ترك العفاف وقد أصبح ذلك سجية فيه فصار يعف عن خيالها الذي يزوره في المنام .

وقد أعطى المتنبي تعليلاً ذكياً لعدم انصاته إلى العذل كما يقول من الكامل :

---

[1] الديوان ج٢ ص٣٤٥ وشرحها بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج١ ص٢٣٧
[3] الديوان ج٣ ص١٧٩
[4] الديوان ج١ ص٣٩٠ وشرحها بحاشية الصفحة .

عَذْلُ العَواذِلِ حَوْلَ قَلبي التّائِهِ وَهَوَى الأحِبّةِ مِنْهُ في سَوْدائِهِ (١)

فالسبب لأن الهوى في السويداء والعذل حول القلب لا في صميمه والمتنبي لا يستمع إلى العذّال فسماعهم لا يتفق مع صدق المحبة كما يقول من الكامل :

ألقَلْبُ أعــــلَمُ يا عَذُولُ بدائِهِ وَأحَقُّ مِنْكَ بجَفْنِهِ وبمَائِهِ

فَوَمَنْ أُحِبُّ لأعْصِيَنّكَ في الهوَى قَسَماً بهِ وَبحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ

أأُحِبّهُ وَأُحِــــــبّ فيهِ مَلامَةً؟ إنّ المَلامَةَ فيهِ من أعْدائِهِ (٢)

ويستغرب المتنبي من عذاله لومه في أمر ليس من اختيار العقل كما يقول من المتقارب :

إلامَ طَماعِيَةُ العــــاذِلِ ولا رأيَ في الحُبّ للعاقِلِ

يُرادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيانُكُمْ وتأبَى الطّباعُ على النّاقِلِ (٣)

والمتنبي كان عاذلاً حتى ذاق العشق فعذر العشاق كما يقول من الكامل :

وَعَذَلْتُ أهْلَ العِشْقِ حتى ذُقْتُهُ فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ

وَعَذَرْتُهُمْ وعَرَفْتُ ذَنْبي أنّني عَيّرْتُهُمْ فَلَقيتُ منهُمْ ما لَقُـــوا (٤)

والمتنبي ينصح بوقف عذل العشاق عامتهم لا عذله هو وحده من الخفيف :

يَا عَاذِلَ العَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً أضَلّهَا اللهُ كَيفَ تُرْشِدُهَا

لَيْسَ يُحِيكُ المَلامُ في هِمَمٍ أقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أبْعَدُهَا (٥)

---

١ الديوان ج١ ص١٣٤
٢ الديوان ج١ ص١٢٩
٣ الديوان ج٣ ص١٥٢
٤ الديوان ج٣ ص٧٤
٥ الديوان ج٢ ص٢١

ملاحظات على شعر الحب عند المتنبي

أولاً : مخالفته قوانين المحبين :

فقد وجدته يدعو على الحسان بدل الدعاء لهن كما في بيته الشهير من المتقارب :

أيَا خَدّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدودِ وَقَدّ قُدودَ الحِسانِ القُدودِ (١)

وقد سبق شرح البيت الذي يفضل فيه الخيل على النساء من المتقارب :

ألا كُلُّ مَاشِيَةِ الخَيْزَلَى فِدَى كلِّ ماشِيَةِ الهَيْذَبَى (٢)

وقد وجدته أيضا يلح في خصومة ديار الأحبة ويدعو عليها كما يقول من الوافر :

مُلِثَّ القَطْرِ أعْطِشْها رُبُوعَا وإلاّ فاسْقِهَا السّمّ النّقيعَا

أُسائِلُهَا عَنِ المُتَدَيّرِيهَا فلا تَدري ولا تُذْري دُمُوعَا

لَحاهَا اللهُ إلاّ ماضِيَيْهَا زَمَانَ اللّهْوِ والخَوْدَ الشَّمُوعَا (٣)

ثانياً : من أوضح الأدلة على تصنع الحب عند المتنبي أني وجدت رقة عظيمة في حديث المتنبي واستعطافه لمن أراد من الرجال كسيف الدولة وكافور وابن العميد حيث اعتذر إليهم بلغة غاية في الرقة فقد قال لسيف الدولة من المتقارب :

أرى ذلكَ القُرْبَ صارَ ازْوِرارَا وَصارَ طَوِيلُ السّلامِ اختِصارَا

تَرَكْتَنيَ اليَوْمَ في خَجْلَةٍ أمُوتُ مِراراً وَأحْيَا مِرارَا

أُسَارِقُكَ اللّحْظَ مُسْتَحْيِياً وَأزْجُرُ في الخَيلِ مُهري سِرارَا

وَأعْلَمُ أنّي إذا ما اعتَذَرْتُ إلَيْكَ أرَادَ اعْتِذاري اعتِذارَا (٤)

وقد قال لسيف الدولة أيضاً من البسيط :

يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ (٥)

---

١ الديوان ج٢ ص٦٣
٢ الديوان ج١ ص١٦٠
٣ الديوان ج٢ ص٣٥٧
٤ الديوان ج٢ ص١٩٦
٥ الديوان ج٤ ص ٨٣

وقد قال لكافور من الخفيف :

يا رَجاءَ العُيُونِ في كلّ أرْضٍ ... لم يكُنْ غيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائي
وَلَقَدْ أفْنَتِ المَفَــاوِزُ خَيْلي ... قَبلَ أنْ نَلتَقي وَزَادي وَمَائي [1]

وقال له أيضاً من الطويل :

وَمَا أنَا بالباغي على الحُبّ رِشْوَةً ... ضَعِيفُ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ
إذا نِلْتُ مِنكَ الـوُدّ فالمَالُ هَيّنٌ ... وَكُلُّ الذي فَوْقَ التّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلا أنتَ إلاّ مُهاجِراً ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَــابُ [2]
وَلَكِنّــــــكَ الدّنْيَا إليّ حَبيبَةً ... فَمَا عَنْكَ لي إلاّ إلَيْكَ ذَهَابُ

فهل يصح في العقل أن يجيد المتنبي مثل هذا القول في استعطاف الرجال واستمالتهم ولا يستطيع مثله مع النساء وهو محب دنف .

---

[1] الديوان ج١ ص١٥٩
[2] الديوان ج١ ص٣٢٥

الفصل الثامن

أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس

الفصل الثامن: أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس

يعزى نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية ورسمها في أحوالها المختلفة إلى جملة من الأسباب على النحو التالي :

(١) ثقافته الواسعة وتجاربه

(أ) الثقافة اللغوية والأدبية

روى الأصفهاني لبهاء الدولة في إيضاح المشكل " اختلف المتنبي إلى كتّاب فيه أشراف العلويين فكان يتعلم دروس العربية شعراً ولغة وإعراباً[١] "

وكما روى الخطيب عن العلوي في تاريخ بغداد : " صحب المتنبي الأعراب في البادية فجاءنا بعد سنين بدويا قحا[٢] " ((وجملة القول أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر))[٣]

وهذا دون شك أفاد المتنبي في استقراء النفوس والطبائع واستشفاف كنهها ومكوننها وفي جودة رسم ذلك وتصويره في لوحات شعره .

ولعل من أبرز ما عرف به المتنبي الناحية اللغوية ولو لم يكن شاعراً لكان لغوياً شهيراً يقول ابن خلكان " .... وكان من المكثرين من نقل اللغة ، والمطلعين على غريبها وحوشيها " . ولا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل إن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب الإيضاح والتكملة قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن " فعلى " فقال المتنبي في الحال : حِجلى وظِربى ، قال الشيخ أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علّي أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد "

ويتابع ابن خلكان قوله " وحسبك من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة[٤] "

وأورد دليلاً آخر على سعة ثقافته وهو أن المتنبي لما نزل عند ابن العميد في أرجان قرأ عليه كتاباً جمعه في اللغة قال صاحب الواضح " وكان أبو الفضل ابن العميد يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه[١] "

---

[١] ، ٢ فن المتنبي بعد ألف عام لإبراهيم العريض ط دار العلم للملايين ص٥٨

[٣] خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج٢ ص٣٦٣ .

[٤] وفيات الأعيان ، لأبن خلكان تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت ، ج١ ، ص١٢٠

ولو كان شاعراً فقط لقرأ عليه ديواناً أو امتنع عن قراءة كتاب اللغة عليه على الأقل ولكنه واثق من معرفته بها .

وقد ذكر صاحب الصبح المنبي " خبراً يدل على شغف المتنبي بالمعرفة منذ صغره قال : " وقال القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي " حدثني أبو الحسين [أبو الحسن] محمد يحيى الزيدي العلوي قال :

كان المتنبي وهو صغير ينـــزل جواري بالكوفة ، وكان أبوه يعرف بعيدان السقاء ، يستقي لنا ولأهل المحلة ، ونشأ وهو محب للعلم والأدب وطلبه وصحب الأعراب في البادية ، فجاءنا بعد سنين بدوياً وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرني وراق كان يجلس إليه يوماً قال لي : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قط فقلت له : كيف ؟ فقال : كان عندي اليوم وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة لبيعه فأخذ ينظر فيه طويلاً : فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعتني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر ! فقال له ابن عيدان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدة فمالي عليك ؟ قال : أهب لك هذا الكتاب قال فأخذت الدفتر من يده وقلت : هيا فأقبل يتلوه عليّ إلى أخره ، ثم استلبه فجعله في كمه ، فعلق به صاحبه يطالبه بالثمن فقال : ما إلى ذلك من سبيل وقد وهبته لي ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أليس شرطت على نفسك هذا للغلام ؟ فتركه[2] .

وهذه الرواية تدلنا على اهتمام المتنبي بثقافته منذ صغره ولا ريب أن لهذه الثقافة صداً واسعاً في سعة المدارك وفهم الطبائع ثم القدرة على تصوير ذلك في أشعاره التي رسمت حالات النفس الإنسانية المختلفة .

وسأورد هنا قصة رواها البديعي في الصبح المنبي قال :

" قال عبد المحسن بن علي بن كوجك إن أباه حدثه ، قال كنت بحضرة سيف الدولة أنا وأبو الطيب اللغوي وأبو عبد الله بن خالوية النحوي وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالوية مع أبي الطيب اللغوي والمتنبي ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ؟ فتكلم فيها بما قوّى حجة أبي الطيب اللغوي ، وضّعف قول ابن خالوية ، فأخرج من كمه مفتاحاً حديداً لَيلْكُم به . فقال له المتنبي اسكت ويحك فإنك أعجمي وأصلك خوزى فمالك والعربية ؟

---

[1] الواضح لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية للنشر ١٩٦٨م ص٢٧

[2] الصبح المنبي للبديعي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص٢٠

فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي لذلك إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً فكان ذلك أحد أسباب فراقه[1]

وما مداخلة المتنبي في مثل هذا المجلس اللغوي ومناقشته لابن خالوية إلا دليل على سعة علمه باللغة وعظيم اطلاعه عليها .

وسؤال سيف الدولة له وطلبه منه الفصل في الرأي بين عالميين لغويين دليل آخر قوي على الاعتداد بعلمه ورأيه في اللغة .

وقال الخالديان : " كان أبو الطيب المتنبي كثير الراوية ، جيد النقد ... وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها ولا يسأل عن شيء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر [2] "

ومما يدل دلالة واضحة على علمه باللغة ما أورده في شرحه للديوان من التبيين وإيراد الشواهد ونسبة الأقوال إلى أصحابها وسأورد مثالاً على ذلك :

جاء في شرح البيت من الوافر

أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحَادِ   لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتّنادِي [3]

" قال أبو الطيب يقال أحاد وثناء وثلاث ورباع إلى عشار في المؤنث والمذكر غير مصروف . والفراء يصرفها إذا جعلها نكرات وكل مالا ينصرف من الأسماء يصرف في الشعر لأن الصرف الأصل . وهذا الذي ينسب إليه في العدد فيقال ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي إلى عشاري قال أبو النجم من الرجز :

فوق الخمـــــــــــــاسي قليلاً يفضله   أدرك عقلاً والرهان عمـــله

وأنشد من المتقارب :

ضربت خمـــــــــاسي ضربة عبشمي   أدار ســـداسَ ألا يستقيما

وللكميت :

فلم يستر يثـــــــــــــوك حتى رميت   فوق الرجاء خصالاً عشارا

وحكى ابن السكيت عن أبي عمرو : ادخلو موحد موحد ومثنى مثنى ومثلث مثلث ومربع مربع ، وكذلك إلى العشرة . وكذلك ادخلو أحاد أحاد وثناء ثناء وثلاث ثلاث ورباع رباع إلى العشرة

---

[1] الصبح المنبي للبديعي المرجع السابق ، ص٨٧

[2] الصبح المنبي ، مرجع سابق ، ص١٤٢ .

[3] شرح ديوان أبي الطيب لعبد الرحمن البرقوقي ، طبعة دار الكتاب العربي ، ج٢ ، ص٧٤

. قال على (يعني ابن حمزة راوية أبي الطيب) وقال أبو الطيب : وكان أبو حاتم تبع أبا عبيدة في قوله في كتاب المذكر والمؤنث : " ورباع رباع ، ولا نعلمهم قالوا فوق ذلك .

ثم رجع عنه فقال في كتاب الإبل : " ورباع إلى العشرة " [1].

قال أبو الطيب وأما لييلتنا فتصغير تعظيم كقول لبيد من الطويل :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل [2]

ما يذكر مثل هذا الشرح اللغوي والاستشهاد إلا صاحب ثقافة لغوية وأدبية واسعة .

(ب) الثقافة الدينية :

وأعني بها الفهم الجيّد لمعاني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقصص وسير الأنبياء والمرسلين والأمم السالفة واستشفاف كل ذلك شواهد في أشعاره على النحو التالي :

يقول المتنبي ذاكراً قصة يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام من البسيط :

كَأنّ كُلّ سُؤالٍ في مَسَامِعِهِ قَميصُ يوسُفَ في أجفانِ يَعقوبِ [3]

وقد وجدته يشبه نفسه في قصيدة دار أثلة بقصة نبي الله صالح حين قال من الخفيف :

أنَا في أُمّةٍ تَدارَكَهَا اللّـــ ـــهُ غَريبٌ كصَالِحٍ في ثَمودِ [4]

وقد ووجدت عنده صوراً تاريخية وتلميحات دينية كما في قصيدته التي مدح بها محمد بن زريق الطرسوسي من الكامل :

لوْ كانَ ذو القَرْنَينِ أعْمَـــلَ رأيَهُ لَمّا أتَى الظُّلماتِ صِرْنَ شُمُوسَا

أو كانَ صادَفَ رأسَ عازَرَ سَيفُهُ في يوْمِ مَعـــــرَكَةٍ لأعْيا عيسَى

أوْ كانَ لُجُّ البَـــحْرِ مِثْلَ يَمينِهِ ما انْشَــقّ حتى جازَ فيهِ مُوسَى

أوْ كانَ للنّيرانِ ضَـــــوْءُ جَبينِهِ عُبِدَتْ فكانَ العالَمونَ مَجوسَا [5]

وكذا حديثه عن مقامه بأرض نخلة وتشبهه بمقام المسيح بين اليهود وقد وجدت في أشعاره إشارات تدل على فهمه للمذاهب السائدة في عصره وعلى مفاهيم بعض الأديان غير السماوية المدعاة كقوله من الطويل :

مَا مُقامي بأرْضِ نَخْلَةَ إلاّ كمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهُودِ[1]

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي للدكتور عبد الوهاب عزام نشرات الشريف الرضى ص ٩٦ــ٩٧

[2] نقلاً عن ذكري أبي الطيب لعبد الوهاب عزام ، ص٢٢٥ ، طبعة دار المعارف بمصر .

[3] الديوان ج١ ص٢٩٥ .

[4] الديوان ج٢ ص٤٨ .

[5] الديوان ج٢ ص٣٠٧

وَكَمْ لظَلامِ اللّيْلِ عِندَكَ من يَدٍ   تُخَبِّرُ أنّ المَانَوِيّةَ تَكْذِبُ[2]

وكقوله في هجاء كافور من البسيط :

ألا فَتًى يُورِدُ الهِنْدِيَّ هَامَتَهُ   كَيما تزولَ شكوكُ النّاسِ وَالتُّهمُ
فإنّهُ حُجّةٌ يُؤذي القُلُوبَ بهَا   مَنْ دينُهُ الدّهرُ وَالتّعطيلُ وَالقِدمُ [3]

يشير إلى آراء الدهريين والمعطلة والقائلين بقدم العالم .

و لم يكتف بالثقافة الدينية بل تنوعت ثقافاته وسأشير إلى بعض الشواهد التي دلت على ثقافته التاريخية .

(ج) الثقافة التاريخية :

ورد عنده ذكر الأمم السالفة كعاد وجرهم في قوله من الطويل :

أجَارَ على الأيّامِ حتى ظَنَنْتُهُ   يُطالِبُهُ بالرّدّ عَادٌ وَجُرهُمُ [4]

والمتنبي يأتي بالشواهد بما يناسب المقام ولننظر إليه في هذه الأبيات التي قالها بعد أن جرت وحشة بين كافور والأمير أبي القاسم مدة ثم اصطلحا وفيها تلميحات تاريخية عميقة حيث يقول من الخفيف :

وَإذا كان في الأنابيبِ خُلْفٌ   وَقَعَ الطّيْشُ في صُدورِ الصِّعادِ
أشْمَتَ الخُلْفُ بالشُّراةِ عِداهَا   وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ من إيَـادِ
وَتَوَلّى بَني اليَزِيدِيّ بالبَصْـــ   ـــرَةِ حتى تَمَزّقُوا في البـلادِ
وَمُلُوكاً كأمْسِ في القُرْبِ مِنّا   وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِها في البعـــادِ [5]

ففي البيت الأول يشير إلى اضطراب صدر الرمح إذا وقع الاختلاف في أنبوبه ويريد بالأنابيب الأتباع وبالصدور السادة ويقول في البيت الثاني إنّ الخلاف الذي وقع للناس قبلكما أشمت الأعداء ، كالشراة (الخوارج) ظفر بهم المهلب بن أبي صفرة حينما اختلفت كلمتهم وتفرق جمعهم ، وبنو اليزيدي هم : أبو الحسن وأبو عبد الله وأبو يوسف قصدوا البصرة

[1] الديوان ج٢ ص٤٤ .
[2] الديوان ج١ ص٣٠٢
[3] الديوان ج٤ ص٢٨١ .
[4] الديوان ج٤ ص٧٣
[5] الديوان ج٢ ص١٣٤ شرح البيت بحاشية الصفحة ج٢ / ١٣٤

وأخرجوا منها عامل الخليفة وهو ابن رائق ثم اختلفوا فذهب ملكهم وقد أشار في البيت الأخير إلى فناء طسم وجديس .

وقد وجدت في قصيدته في ابن العميد إشارات تاريخية في قوله من الكامل :

مَنْ مُبلِغُ الأعرابِ أنّي بَعْدَهَا جالَستُ رِسطالِيسَ وَالإسكَندَرَا
وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشارِهَا فأضَافَني مَنْ يَنحَرُ البدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قرَى
وَسَمِعْتُ بَطليموسَ دارِسَ كُتبِهِ مُتَمَلّكاً مُتَبَدّياً مُتَحَضّــــــــــرَا [1]

وهذه النماذج السالفة مقتطفات من ديوانه تدل على ثقافة تاريخية متينة كما تدل على قدرة على الإفادة الرائدة من عرض هذه الثقافة .

(د) ثقافته الجغرافية

لاشك أن المتبني أفاد من رحلة صغره إلى البادية معرفة بالبقاع والأماكن وأسماء المياه وكذا طرق المسير في هذه المهامه والقفار ولكن هذه الثقافة الجغرافية ثبتت بأسفاره المتعددة بين العراق والشام وبالعكس وبين شمال الشام وجنوبه وشرقه وغربه وكذا إلى بلاد الروم في حرب الثغور مصاحباً لسيف الدولة وإلى الفسطاط وما حولها وفلسطين وبحيراتها وإلى مصر والعراق وكذا إلى بلاد فارس ، ولا أدل على هذه الثقافة من سلوكه طريقاً لم يخطر على بال جند كافور وعيونه في خروجه من مصر وقد ذكر في قصيدته بعد خروجه من أسماء الأماكن والمياه ما يدل على ثقافة جغرافية واسعة فوجدته يذكر : التيه وهو تيه بني إسرائيل ونخل والجرادي وصور والرهيمة وكلها أسماء لمواضع الماء وكذا ذكر وادي المياه ووادي القرى والنقاب والتربان والكفاف والوهاد والبويرة ووادي الغضا وعقدة الجوف وشغور والجميعي والأضارع والدَّنا وأعكش وكلها أسماء لمواضع وأماكن وأمصار ونذكر بعض أبيات هذه القصيدة من المتقارب :

وَأمْسَتْ تُخَيّرُنَا بالنّقِـــــا ب وَادي المِيَاهِ وَوَادي القُرَى
وَقُلْنَا لَهَا أينَ أرْضُ العِـــراقِ فَقَالَتْ وَنحنُ بتُرْبَانَ هَـــــــا
وَهَبّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو رِ مُستَقْبِلاتٍ مَهَبَّ الصــَّبَا
رَوَامي الكِفَافِ وَكِبْدِ الوِهَادِ وَجَارِ البُوَيْرَةِ وَادي الغَضَى
وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَــوْبَ الرِّدَا ءِ بَينَ النّعَامِ وَبَينَ المَهَـــــا
إلى عُقْدَةِ الجَوْفِ حتى شَفَتْ بماءِ الجُرَاوِيّ بَعضَ الصّدَى.

---

[1] الديوان ج٢ ص٢٧٦

وَلاحَ لَهَا صَوَرٌ وَالصّبَاحَ، وَلاحَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضّحَى
وَمَسّى الجُمَيْعِيَّ دِئْدَاؤهَا وَغَادَى الأضَـارِعَ ثمّ الدَّنَا
فَيَا لَكَ لَيْلاً على أعْكُشٍ أحَمَّ البِـــلادِ خَفِيَّ الصُّوَى
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ في جَوْزِهِ وَبَاقيهِ أكْثَـــــرُ مِمّا مَضَى (1)

وهذه لمحة من قصيدة واحدة وإلا فثقافة المتنبي الجغرافية واسعة لمتتبع ذلك في ديوانه .

(هـــ) نواحي ثقافية أخرى

القارئ الجيد لديوان المتنبي يجد ضروباً جمة من الثقافات ، فمن معرفة أحوال الحيوان إلى الثقافة الفنية وأبرز من كل ذلك الثقافة الحربية حيث برزت في السيفيات من خلال حديثه عن العتاد والأسلحة وفنون الحرب والقتال وسأورد بعض الشواهد على ما ذكرت على النحو الآتي :

أمّا معرفته بأحوال الحيوان فلها إشارات في ديوانه أورد منها قوله في رثاء ابن سيف الدولة من الطويل :

يَرُدُّ أبو الشّبلِ الخَميسَ عنِ ابنِهِ ويُسْلِمُهُ عِندَ الوِلادَةِ للنّملِ (2)

يشير إلى أن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد حين ولادته يأكله ويهلكه .

وكذلك قوله من الكامل :

لم يَتْرُكُوا لي صاحِباً إلاّ الأسَى وَذَمِيلَ ذِعْلِبَةٍ كَفَحْلِ نَعَامِ (3)

وقد عين ذكر النعام لأنه أسرع من الأنثى والذميل ضرب في السير سريع والدعبلة هي الناقة السريعة القوية .

وكذلك قوله من البسيط :

بذي الغَباوَةِ مِنْ إنْشادِها ضَرَرٌ كمَا تُضِرّ رِياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ (4)

يشير إلى الجعل وهو نوع من الخنافس يموت من الرائحة الزكيّة .

وأمّا ثقافته الفنية فقد التمستها من قوله في مدح عضد الدولة من الوافر :

بضَرْبٍ هَاجَ أطْرَابَ المَنَايَا سِوَى ضَرْبِ المَثَالِثِ وَالمَثَاني (5)

الأطراب : جمع طرب والمثالث والمثاني : جمع مثلث ومثنى وهما الوتر الثالث والثاني من أوتار العود .

---

1 الديوان ج1 ص162 شرح الأبيات بحواشي الصفحات 162 ــ 165
2 الديوان ج3 ص175 شرح البيت بحاشية الصفحة 175
3 الديوان ج4 /122
4 الديوان ج3 / 168 وشرحه بحاشية الصفحة
5 الديوان ج4 / 393 . وشرحه بحاشية الصفحة .

(٢) رحلاته [١]:

كان لتنقل المتنبي ورحلاته كبير الأثر في قدرته على التعرف على الناس وفهم طبائعهم ، فاستطاع أن يفيد من جولاته في البوادي وتنقلاته بين العراق والشام وأرجان وشيراز فأعطاه ذلك خبرة واسعة وأذكر هنا قوله من الطويل :

بَرَتْني السُّرَى بَرْيَ المُدى فرَدَدْنَني   أخَفَّ على المركوبِ من نَفَسي جِرْمي
وأبصرَ من زرقـــــاءِ جَوٍّ لأنّني   متى نَظَرَتْ عَينـــايَ ساواهما عِلمي
كأنّي دحوْتُ الأرضَ من خبرتي بها   كأنّي بَنى الإسكَندرُ السدّ من عزْمي [٢]

وهو يذكر فعل سير الليالي فيه مشبهاً إياه بنحت السكاكين حتى رقّ جسمه وهو يفضل نفسه على زرقاء اليمامة التي تضرب بها العرب المثل في قوة البصر وقد ذكر الشّراح لهذا البيت عدة تفسيرات كلها تؤدي إلى معرفته بعواقب الأمور وبعد نظره وفهمه فكأنما من سعة خبرته بسط الأرض بسطاً حتى كأن ذو القرنين بنى سده العظيم من عزمه ومؤدى الأبيات كثرة أسفاره وتقلبه في البلاد حتى عرفها جميعاً وما ذلك إلا لقوة عزمه على الأمور .

ولا شك عندي أن من أهم فوائد هذه الأسفار الكثيرة أنها أعطته درجة عالية في فهم النفوس والقدرة على تصويرها وأذكر هنا قوله من الوافر :

أواناً في بُيُوتِ البَـدْوِ رَحْلي   وآوِنَةً عَلى قَتَدِ البَعِـــــيرِ
أُعَرِّضُ للرّماحِ الصُّمِّ نَحرِي   وأنْصِبُ حُرّ وَجْهي للهَجيرِ
وأسري في ظَلامِ اللّيلِ وَحْدي   كأنّي مِنْهُ في قَمَـــــرٍ مُنِيرِ [٣]

وهو يصف لنا قلة مقامه وكثرة ارتحاله لأن كلمة آونة جمع لأوان فهو أزمنة كثيرة على القتد وهو خشب الرحل متنقلاً معرضاً نفسه لحر الهاجرة وهي نصف النهار وقد ذكر في الأبيات السابقة كثرة سراه بالليل وهنا يذكر ترحاله بالنهار فحياته إذاً كلها تنقل وسفر بين البلاد

وقد ذكر الأستاذ محمد علي العدواني بمقاله المعنون بالجبال والأمكنة والمياه في شعر المتنبي الآتي :

---

[١] ينظر تشبيهات المتنبي ومجازاته لمنير سلطان طبعة منشأة المعارف ص٣٠
[٢] الديوان ، شرح البرقوقي ، ج٤ ، ص١٧٠ ط دار الكتاب العربي ببيروت
[٣] الديوان ، شرح البرقوقي ، ج٢ ، ص٢٤٦ ، ط دار الكتاب العربي بيروت

" .... وكان قد لفت نظري أن الإمام الشيخ شهاب الدين أبا عبد الله ياقوتاً الحموي قد استشهد في كتابه معجم البلدان ببعض أقوال المتنبي لبعض أسماء الجبال والأمكنة والمياه في ثمانية وأربعين موضعاً [1]"

وهذا بالتأكيد يدلنا في بعض دلالاته على سعة دوران المتنبي في البقاع وقطعه مسافات شاسعة شرقاً وغرباً مما زاد معرفته بالطرق ودروب السير .

ولا أدل على هذه المعرفة من سلوكه طريقاً غير معهودة عند هروبه من مصر إلى العراق فلم يستطع كافور الإمساك به ولا استطاعت عيونه معرفة طريق مسيره وتحديد اتجاهاته .

(٣) المجالس الأدبية :

كان الخلفاء والوزراء يقيمون مجالساً أدبية عامرة يفد إليها الكتاب والشعراء والأدباء والفلاسفة والفقهاء وقد أفاد المتنبي من حضوره لهذه المجالس فمنها استقى المتنبي نفسيات الملوك والوزراء وفهم طبائع الخصوم والنظراء وقد أمّ المتنبي كثيراً من هذه المجالس كمجلس بدر بن عمّار وأبي محمد الحسن بن حمدان ، فكان حضوره لها فرصة لصقل خبراته وقد رادته وزادته فهماً لطبائع الناس واستطاعة لتصوير نفوسهم ومكنونات صدورهم هذا كله يضاف إلى مجالسة سيف الدولة وكافور وغيرهم من الملوك الذين وفد على بلاطهم .

وقد ذكر الثعالبي في يتيمته عن مجالس سيف الدولة قوله[2] : " وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ومحط الرجال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال : إنّه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر "

هذا في بلاط سيف الدولة وأهمهم أبو فراس وأبو العباس النامي وعلى الناشئ والسري الرفاء وأبو الفرج الببغاء وأبو الفرج الوأواء وأبو الفتح كشاجم وأبو نصر بن نباته وأبو العباس الصفري وابن كوجلء وابن دينار والخالديان وأبو حصين الرقى وأبو القاسم الشيظمي وأبو ذر أستاذ سيف الدولة .

وقد أمّ مجلس سيف الدولة أدباء كبار كعبد الله بن خالوية وأبي على الفارسي وأبي الطيب اللغوي والقاضي التنوخي وأبو نصر البازيار والشمشاطي والفياض وقد أمّه أبو الفرج الأصفهاني وأهداه كتاب الأغاني .

---

[1] مجلة المورد العراقية المجلد السادس العدد الثالث ١٣٩٧ مقال الأستاذ محمد علي إلياس العدواني الجبال والأمكنة والمياه في شعر المتنبي .

[2] يتيمة الدهر للثعالبي ، ج١ ، ص٣٧ ، ط دار الكتب العلمية ببيروت .

وقد عاش في كنفه أبو نصر الفارابي الفيلسوف وكذلك أبو عبد الله بن مقلة أخو الوزير ابن مقلة [1].

وقد أفاد المتنبي من مجالستهم ومحاورتهم وفهم الطبائع وسبر غور النفوس فأخرج ذلك درراً في أشعاره فحفظت بما فيها من التصاق بنفوس البشر وخلجات دواخلهم وبما ركّب فيها من امتزاج بحالات النفس على اختلافها .

(٤) ذكاؤه الشديد وطبيعته الشاعرة :

يقول الشيخ محمود شاكر " عندنا أن المتنبي بقى في المكتب إلى سنة ٣١٧ تقريباً وكانت سنّه أربعة عشر ولكنه كان بتوقده وذكاءه في درجة من أناف على العشرين وقد ذكر التنوخي أنه قال الشعر صبيا ، وذكر غيره أنه كان آية في الذكاء والفطنة ، وقال غيرهما أنه من دهاة عصره ، أي كان كذلك فيما بعد . وكان مما ورثه عن جدته هذا الإحساس المرهف الدقيق الذي يهتز في قوته وكبريائه لا في ضعفه وذله واجتماع الذكاء والحس المرهف هما آلة كل شاعر وقد ظفر المتنبي من كليهما بنصيب الأسد الهصور ولذلك كان شعره أروع شعر في العربية وكثير غيرها ، وكان محبباً إلى أهل عصره متداولاً سائراً بينهم لأنه كان يأخذ بنفسه المرهفة من شعور الناس وآلامهم وأحداثهم ويبني بما يأخذ بيوت شعره وروائع بلاغاته "[2]

وهذا الذكاء والقدرة على حفظ الأشعار والأخبار والمواقف والأنساب هي التي اقتبس منها المتنبي فيما بعد وصاغ في أشعاره وأورد هنا هذه الحكاية دلالة على ذكائه وقوة حافظته ، فقد روى الخطيب عن التنوخي عن أبي الحسن اليزيدي أنه " أكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم فأخبرني وراق كان يجلس إليه يوماً قال لي : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان قط ! قلت له : كيف ؟ فقال : كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً . فقال الرجل : يا هذا أريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فإن كنت تريد حفظه في هذه المدة فبعيد فقال له إن كنت حفظته فما عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب قال فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى آخره ثم استلبه فجعله في كمه وقام فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال ما إلى ذلك سبيل فقد وهبته لي قال : فمنعناه منه وقلنا له : أنت اشترطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه "[3] .

---

[1] ينظر ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ط دار المعارف بمصر ص ٧٩ ــ ٨٠

[2] الشيخ محمود شاكر المتنبي " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " ص١٩١ ، مطبعة المدني بالقاهرة .

[3] الصبح المنبي للبديعي ، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص٢٠ .

وأنقل رأيا للشيخ محمود شاكر الذي يرى أن ذكاء المتنبي وتجاربه واختلاطه بالناس سبب لنبوغه وظهوره على غيره حيث يقول : " ومع هذا ... كان الذكاء ، والثورة ، والنظر ، والتجربة والاختلاط بالناس واختبار أخلاقهم وتعجبه من فساد أقيستهم وبطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على الثقة بها واعتداده بمقدرته واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو السلطان أو القضاء إلا بالسوء والقبيح ثم طبيعته الشاعرة المرهفة التي (تلتقط صور) الأشياء ، ثم تصوغ منها الأخيلة الشعرية ، والحكم البليغة .. كل ذلك أسرع بالفتى إلى ضرب من القول الساحر الذي لم تر العربية مثله في شعر شاعر "[1]

(٥) صدقه واعتداده بنفسه :

صور المتنبي صادرة عن مواقف حقيقية صادقة من قبل الشاعر فبقدر اقتناع الشاعر بما يقول ، يقاس نجاحه فالتصنع ينتج صوراً باهتة فاترة لا تقوى على الثبات والانتشار .

وصدق المتنبي وصراحته اقتضت اعتداده بنفسه وقد وجدت ذلك في أشعاره جلياً فهو يساوي بين نفسه وممدوحيه ويعلي نفسه إلى أعلى المراتب حيث يقول من الخفيف :

لا بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي ... وَبنَفْسِي فَخَرْتُ لا بجُدودِي [2]

وفي موضع آخر يقول من الخفيف :

إنْ أكُنْ مُعجَباً فعُجبُ عَجيبٍ ... لمْ يَجدْ فَوقَ نَفْسهِ من مَزيدِ [3]

ويقول أيضاً من الخفيف :

واقِفاً تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفسي ... واقِفاً تحتَ أخْمَصَيّ الأنَامُ [4]

ويقول أيضاً من الطويل :

وإنّي لَمِنْ قَوْمٍ كأنّ نُفُوسَهُمْ ... بها أنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا [5]

والشواهد من شعره على اعتداده بنفسه كثيرة متعددة ولكن صراحة المتنبي الجارحة هذه استلزمت منه الصدق في البيان مع الدقة في الملاحظة فوجدته يستقصى في تمثيله حيث حاول أن يلم بالصور التي يعرضها من كل جوانبها ساعده في ذلك ذكاءه وعاطفته المشبوبة وسأذكر هنا مثالاً من قصيدته التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي والتي مطلعها من الوافر :

---

[1] المتنبي ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر ، ص١٩٤ ، مطبعة المدني بالقاهرة .
[2] الديوان ج٢ ص٤٦
[3] الديواني ج٢ ص٤٧
[4] الديوان ج٤ ص٢١٨
[5] الديوان ج٤ ص٢٣٥

أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتّنادِي [1]

حيث ورد فيها قوله :

وما ماضي الشّبــــاب بِمُسْتَرَدٍّ ولا يَــــــــوْمٌ يَمُرّ بِمُسْتَعادِ
متى لحظَتْ بَياضَ الشّيبِ عيني فقد وَجَدَتْهُ منها في السّـــوَادِ
متى ما ازْدَدْتُ من بعدِ التّناهي فقد وقَعَ انْتِقاصي في ازْدِيَادي [2]

فهو يحاول هنا إيضاح الصورة فالإنسان إذا لم يحقق مطلوبه في شبابه فلا جدوى بتحقيقه إذا هرم فلا حاجة به إلى طلب المزيد وزيادة العمر بعد ذلك وفور في النقصان لما فيها من ضعف الشيخوخة وأذكر هنا بعض الأبيات من قصيدة رثا بها خادم لسيف الدولة توفي ونجده يشحن الأبيات بنظراته الفلسفية ويحاول أن يكتنف الموضوع من كل جوانبه فيقول من الطويل :

سُبِقْنَا إلى الدّنْيَا فَلَوْ عاشَ أهْلُها مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُــــوبِ
تَمَلّكَهَا الآتِي تَمَلُّكَ سَــــــالِبٍ وَفارَقَهَا المَاضِي فِراقَ سَليبِ
وَلا فَضْلَ فيها للشّجاعَةِ وَالنّدَى وَصَبْرِ الفَتى لَوْلا لِقاءُ شَعُوبِ [3]

وهو هكذا دوماً يحاول لمّ شتات الفكرة التي يطرقها من كل أطرافها .

(٦) ارتباط شعره بحياته :

من خلال قراءتي لديوان المتنبي وجدته أحد الشعراء القلائل الذين ارتبط فنهم بحياتهم ارتباطاً وثيقاً ، فحياته وفنه لا فاصل بينهما ، بل إن حياته أشبه برواية يمثل فصولها فنان عظيم على مسرح الوجود ، والمتنبي اضطربت به حياته فاضطربت نفسه تبعاً لذلك اضطراباً عظيماً فكانت خلجات نفسه تجاوباً لحياة مليئة بالألم والأمل وبالحزن والفرح فتجاربه نبعت من عميق كيانه فاستبطن ذاته ونفسه وصورها ناظراً إلى كل نفس إنسانية من خلال تجاربه وحياته الخاصة وقد كانت حياته حركة لا تعرف السكون ونشاطاً لا يدب إليه الخمول فاستمد من الفشل عزيمة ومن الإخفاق طموحاً وبين الفشل والنجاح كانت نفسه حائمة لا تستقر أبداً ولا تهدأ تحلق في أعالي القمم وتحط بها الحياة أحياناً إلى الأعماق فإذا بنا نجد في شعره كل ذلك مصوراً بين آمال بعيدة وآلام قاسية ومعاناة شديدة ومكابدة أليمة ، نراه مادحاً ونجده هاجيا ، يصور نفسه محباً

---

[1] الديوان ج٢ ص٧٤
[2] الديوان ج٢ ص٧٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج١ ص١٧٥ .

ويرسمها صديقاً وهو إذ يفعل ذلك يرسم لنا صوراً متكاملة لنفوس هذه الإنسانية في جوانب حياتها المتعددة بصدق شعوري وتجارب حقيقية معاشة واستقراء دقيق لأحوال النفس وخلجاتها ، يغلف كل ذلك ثقافة واسعة وقدرات لغوية فائقة وذكاء حاد في التقاط الصورة المناسبة ومعالجتها بحرفية عالية كما يفعل الفنان المبدع .

نعم لقد كانت ذاته دوماً نقطة الانطلاق ولكنه انطلق من عقال الذات ليعبّر عن كل نفس في تجربة مماثلة حتى أصبحت تجاربه وأقواله شواهد وأمثال شرد وحكم متناقلة فكانت نفسه مرآة عاكسة وهو في ذلك يخط مذهباً خاصاً خطوطه من قسمات شخصيته وألوانه من تجارب حياته وظلاله من نفسيته فأصبح بذلك مثالاً لكل نفس إنسانية في تجارب السمو والرفعة والضعة والانحطاط والألم والأمل والمدح والهجاء والفخر والرثاء وتقلب الطباع واختلاف العواطف وتصوير لواعج الفؤاد وعواطف الحب ورسم النظرات إلى عالم المرأة .

حقاً لقد كانت العوامل والمؤثرات التي أحاطت به في حياته وعملت على التأثير في شخصيته روافد أمدت تجربته بالغنى والثراء وعمّقت إحساسه بالوجود الإنساني ، وحددت نظراته لنفوس الناس وللأشياء وساهمت في وضع أسس متينة لمذهبه الخاص ، هذا المذهب الذي يربط الفن بالتجربة ويجعل التعبير الفني جزءاً من نفسية الفنان وصدى لآلامه وآماله ووجدت عنده في أشعاره تعبير عن عشقه العظيم لكل ما تطمح إليه النفس الإنسانية من عظمة ومجد وارتقاء .

وسيكون إيضاح هذا القول من خلال فصول البحث التالية حيث سأوضح كيف صور آلامه وآماله ومعاناته وكيف أبان عن الجوانب النفسية الرائعة والوضيعة في مدحه وهجائه وكيف رسم تقلب الطباع وعاطفة الحب والنظرة إلى عالم المرأة .

(٧) صراعاته النفسية[١] :

إن القارئ لشعر المتنبي ليتبدّى له أن الصراعات النفسية والتناقضات داخل نفس المتنبي كانت عاملاً فاعلاً في قدرته على تصوير النفس الإنسانية بأحوالها المختلفة ، فقد عاشت نفسه الملتهبة في صراعات كثيرة على نحو التالي :

أولاً :

إنّ أكثر ما كاد يشل عقل المتنبي وتفكيره ما رأي من تناقض مرير ماثل أمام ناظريه فالرجال الشرفاء الأذكياء والذين يحملون في قلوبهم المثل العليا للحق والفضيلة يعيشون في فقر وضنك وأولئك الذين يعشعش الشر في رؤوسهم يرفلون في رفاهية وسعة من العيش ولقد أشغل

---

[١] ينظر كتاب المتنبي وصراعاته ص٣٣ للدكتور بكري شيخ أمين ط الدار السعودية

هذا أبا الطيب فهو يفكر لماذا لا تسري الحياة طبيعية فيحيا من يستحق الحياة ويموت من لا يقدم الخير للإنسانية ؟ وحار المتنبي و لم يجد جواباً وظل الصراع بين الخير والشر يعتمل في نفسه وسيطرت عليه الحيرة تُرى أخيراً له أن يكون شريراً ليحكم ويعلو أم يكون خيراً فيداس بالأقدام ؟ وصراع آخر تجاذب شاعرنا طرفاه الإيمان بالله والكفر به ، وقد تضاربت الروايات بين مؤيدة للقول بأن المتنبي لا يصلي ويستهزأ بالشعائر يؤيد ذلك بعض أشعاره كتشبهه بمقام الأنبياء الكرام في قوله من الخفيف :

مَا مُقامي بأرْضِ نَخْلَةَ إلاّ كمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهُودِ [1]

وكقوله في نفس القصيدة من الخفيف :

يَتَرَشّفْنَ مِنْ فَمي رَشَفَاتٍ هُنّ فيهِ أحْلى مِنَ التّوْحيدِ [2]

وعبارة الواحدي في شرح هذا البيت : " كن يمصصن ريقي لحبهن إياي فكانت الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله وهذا إفراط وتجاوز حد[3] "

وقيل إن التوحيد هنا نوع من تمر العراق ويرى ابن القطاع أن أفعل في البيت ليست للتفضيل بل على المقاربة في التشبيه ، والفريق الآخر ينظر إلى ما سبق بأنه من مبالغات الشعراء التي تقبل منهم ويؤيد هذا قول المتنبي في أوائل شعر صباه أبيات تؤكد إيمانه بالله وثقته به حيث يقول من الطويل :

فَثِبْ وَاثِقاً بالله وِثْبَةَ مَاجِدٍ يرى الموتَ في الهيجا جنى النحل في الفَمِ [4]

ومن تربى على مثل هذا القول في صغره فستكون نشأته حسنة أيضاً ، ولكن الواضح للقارئ لديوانه أن سؤالاً أرق المتنبي طول حياته وهو هل الإنسان مجبور في هذه الحياة سجلت له المقادير سلفاً أم هو مخير وإذا كانت له حرية الإرادة والتفكير فلماذا لا يستطيع أن يحقق ما يريد ؟ ولهذا الصراع النفسي أصداء واسعة في شعر المتنبي فهو متضجر متبرم أبداً على دهره . حيث قال البسيط :

وَقْتٌ يَضيعُ وَعُمرٌ لَيتَ مُدّتَهُ في غَيرِ أُمّتِهِ مِنْ سالِفِ الأُمَمِ [5]

ونجده شاكياً من صروف الدهر وقد قال من الكامل :

أظْمَتْنيَ الدّنْيا فَلَمّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِياً مَطَرَتْ عليّ مَصائِبَا [1]

---

[1] الديوان ج٢ ص٤٤ .

[2] الديوان ج٢ ص٤٠ .شرح البيت وذكر الأقوال بحاشية الصفحة .

[3] شرح الديوان للبرقوقي ج٢ ص٤٠

[4] الديوان ج٤ ص١٥٠

[5] الديوان ج٤ ص٢٩٥

وفي موضع آخر من البسيط :

أذاقني زَمَني بَلْوَى شَرِقْتُ بها　　　لَوْ ذاقَها لَبَكَى ما عاشَ وانتَحَبَا [2]

وهو في نحس دائم كما قال من الخفيف :

أَبَداً أَقْطَعُ البِلادَ وَنَجْمي　　　في نُحُوسٍ وَهِمَّتي في سُعُودِ [3]

وحتى الحُمّى يعترض على وصولها إليه كما قال من الوافر :

أَبِنْتَ الدّهْرِ عِندي كُلُّ بِنْتٍ　　　فكَيفَ وَصَلْتِ أنتِ منَ الزّحامِ [4]

فالدهر ملأ حياته بالهم فلا مجال للسعد فيها كما قال من البسيط :

لم يَترُكِ الدّهْرُ مِنْ قَلبي وَلا كبدي　　　شَيْئاً تُتَيّمُهُ عَينٌ وَلا جيــــدُ

يا سَاقِيَيَّ أخَمْرٌ في كُؤوسكُمــا　　　أمْ في كُؤوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسهيدُ؟ [5]

فهو يتهم دهره بأنه شر الدهور وقد قال من الوافر :

وقِلّةِ ناصِرٍ جُوزِيتَ عني　　　بشَرٍّ مِنكَ يا شَرّ الدّهورِ [6]

ولكنه لن يرضى بذلك بل سيقاتل ويكافح كما قال من الخفيف :

أينَ فَضْلي إذا قَنِعْتُ منَ الدّهْـــ　　　ـــرِ بعَيْشٍ مُعَجَّلِ التّنكيدِ [7]

ويصور دهره بالقبح :

قُبْحاً لوَجهِكَ يا زَمَانُ فإنّهُ　　　وَجهٌ لَهُ من كُلّ قُبحٍ بُرْقُعُ [8]

فدهره ليس فيه شيء جميل يحمده كما قال من الكامل :

مَن خَصّ بالذّمّ الفراقَ فإنّني　　　مَن لا يرَى في الدهر شيئاً يُحمَدُ [9]

ويرى نفسه أعرف الناس بالأيام وبهم كما يقول من الطويل :

ومَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعرِفتي بها　　　وبالنّاسِ رَوّى رُمحَهُ غيرَ راحِمِ [10]

وهذه شواهد من أقواله نراه فيه متحيراً بين الاختيار والجبر وهو فيها إلى الجبر أقرب ولذا سيطر هذا الصراع عليه طيلة حياته ورأيته متبرماً معترضاً على ما يحصل له من الأقدار والأحداث

---

[1] الديوان ج١ ص٢٥٢
[2] الديوان ج١ ص٢٤٨
[3] الديوان ج٢ ص٤٥
[4] الديوان ج٤ ص٢٧٧
[5] الديوان ج٢ ص١٤١
[6] الديوان ج٢ ص٢٤٧
[7] الديوان ج٢ ص٤٤
[8] الديوان ج٣ ص١٨
[9] الديوان ج٢ ص١٠٣
[10] الديوان ج٤ ص٢٣٩

وأعتقد أن ذلك كان سبباً قوياً في تصويره لهذه الحالات الإنسانية المختلفة .

وهذا صراع نفسي آخر عاشه شاعرنا الكبير فعامل يدفعه إلى أن ينهب من الملذات ويغرق في ملهيات الحياة وهو ما يرى في قصور الأغنياء ومن صاحب من الملوك والأمراء والوزراء وما يدعى إليه من الشراب والنساء وغيره وعامل آخر يجره إلى البعد عن هذه الدنيا الخسيسة وهو ما في نفس المتنبي من القوة والبحث عن المعالي والبعد عن سفاسف الأمور وسأورد هنا عدداً من الشواهد من شعره .

يقول المتنبي من المديد :

يَشغَلُني عَنها وعَنْ غَيْرِهَا   تَوْطينيَ النّفسَ ليَوْمِ الطِّعانْ [1]

متحدثاً عن بطيخة من الند في مجلس أبي العشائر عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر ، وقد قال في مدحته لعلي بن إبراهيم التنوخي مشيراً إلى وجوب إشغال النفس بالمعالي والبعد عن التوافه من الأمور من الوافر :

إلى كمْ ذا التخلّفُ والتّواني   وكمْ هذا التّمادي في التّمادي

وشُغلُ النّفسِ عن طَلَبِ المَعالي   ببَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ [2]

وقد قال أيضاً من الكامل :

لأحِبّتي أنْ يَمْلأوا   بالصّافِياتِ الأكْوُبَا

وَعَلَيْهِمِ أنْ يَبذُلوا   وَعَليّ أنْ لا أشْرَبَ

حتى تَكُونَ البَاترَا   تُ المُسمِعاتِ فأطْرَبَا [3]

وكان ينفر من شرب الخمر وقد قال لصديقه أبي ضبيس لما سأله الشراب من الوافر :

ألَذُّ مِنَ المُدامِ الخَنْدَرِيسِ   وأحْلى مِنْ مُعاطاةِ الكُؤوسِ

مُعاطاةُ الصّفائِحِ والعَوَالي   وإقْحامي خَميساً في خَميسِ

فَمَوْتي في الوَغَى عَيشي لأنّي   رَأيتُ العَيشَ في أرَبِ النّفُوسِ

ولَوْ سُقّيتُها بيَدَيْ نَديمٍ   أُسَرُّ بِهِ لكانَ أبا ضَبيسِ [4]

وعلى الرغم مما أظهره كلام المتنبي السابق من مجافاته للخمر إلا أنني وجدت إشارات متعددة على تعاطيه إياها فقد قال في أبيات من أوائل شعره من الخفيف :

---

[1] الديوان ج٤ ص٣٦٣
[2] الديوان ج٢ ص٧٧
[3] الديوان ج١ ص٢٣٤
[4] الديوان ج٢ ص٣٠٠

كُلُّ شيءٍ مِنَ الدّماءِ حَرامٌ شُرْبُهُ مَا خَلا ابْنَةَ العُنْقُودِ

فاسْقِنيهَا فِدًى لعَيْنَيْكَ نَفسي مِنْ غَزَالٍ وَطارِفي وَتليدي [1]

وعلى أنني هنا يمكن أن أقول أن ذلك من اندفاعات الصبا وأنه بعد النضج والتعقل عاد وتاب عن ذلك إلا أنني وجدته يقول لأحد أصدقاءه بعد أن حلف عليه بالطلاق ليشرب من الكامل :

وَأخٍ لَنَا بَعَثَ الطّلاقَ أَلِيّةً لأُعَلِّلَنّ بِهَذِهِ الخُرْطُومِ

فَجَعَلْتُ رَدّي عِرْسَهُ كَفّارَةً مِنْ شُرْبِها وَشَرِبْتُ غيرَ أثيمِ [2]

وهنا يتضح أنه كان متردداً بين ما في نفسه من القوة والبعد عن التوافه إلى ما كان يُغرى إليه من دعوات الأصدقاء والملوك فكانت بذلك نفسه تتردد بين هذا وذا وعاش صراعاً نفسياً قوياً .

وجملة القول أن هذه الصراعات جعلت للمتنبي قدرة عظيمة على تصوير النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة فنراه يرسم صورة الرجل المثالي الذي يبحث عن إحقاق الحق ، ذلك الشجاع صاحب الهمة العالية وبالمقابل يصور الباحث عن المال اللاهث وراء الملذات ونجده ذلك الرجل المؤمن بقضاء الله الواثق به ونراه ذلك المتبرم على القضاء الناقم على الدهر المعترض على ما يحصل له من النكبات ، فتارة نجد همته عالية وبحثه عن المعالي وعمره ينقضي تحت غبار المعارك وسيفه ورمحه ودرعه لا تفارقه وهنيهة نجده على الشراب متغزلاً بالجميلات فأعطت كل هذه الصراعات قدرة فائقة للمتنبي على تصوير كل هذه الحالات الإنسانية المختلفة .

---

[1] الديوان ج٢ ص٤٣

[2] الديوان ج٤ ص ١٦٥

الباب الثاني

الجوانب الفنية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الأول جانب التقرير في حديث المتنبي عن النفس الإنسانية

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الثالث وتناولت فيه استخدامه للكناية والاستعارة في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الرابع وتناولت فيه استخدام المتنبي للمجاز بأنواعه في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الخامس وتعرضت فيه لطريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

الفصل السادس آراء النقاد والدارسين حول قدرة المتنبي على تصوير النفس الإنسانية

الفصل الأول

جانب التقرير في حديث المتبني عن النفس الإنسانية

الفصل الأول : جانب التقرير في حديث المتبني عن النفس الإنسانية

قال من الخفيف :

أُحِبّ حِمْصاً إلى خُناصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحبّ مَحْيَاهَا [1]

والمعنى : أحب حمصاً وما يليها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتي وكل نفس تصبو إلى موطن نشأتها

وقال من الطويل :

وَقَيّدْتُ نَفْسِي في ذَرَاكَ مَحَبّةً وَمَنْ وَجَدَ الإحْسانَ قَيْداً تَقَيّدَا [2]

والمعنى : أقمت عندك حباً لك لأنك قيدتني بإحسانك ومن أُحسن إليه تقيّد بالإحسان .

وقال من الطويل :

أرَى كُلَّنَا يَبْغي الحَيَاةَ لنَفْسِهِ حَريصاً عَلَيها مُسْتَهاماً بها صَبّا [3]

والمعنى : كل منا يطلب الحياة عاشقاً لها محباً حريصاً عليها .

وقال من الخفيف :

كلّ ما لم يكُنْ من الصّعبِ في الأنـــ ـــفُسِ سَهْلٌ فيها إذا هوَ كانَا [4]

والمعنى : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه فإذا وقع سهل وهان .

وقال من الطويل :

وَقد يترُكُ النّفسَ التي لا تَهابُهُ وَيَخْتَرِمُ النّفسَ التي تَتَهَيّبُ [5]

والمعنى : إنّ الموت قد يترك الشجاع المقدام ويأخذ روح الجبان الذي يهابه .

وقال من الكامل :

مَلِكٌ إذا عادَيْتَ نَفسَكَ عادِهِ ورَضِيتَ أوحَشَ ما كَرِهتَ أنيسَا [6]

والمعنى : إن عاديته فقد عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء وهو الموت أنيساً لأنه قادر على قتل كل الناس .

وقال من الطويل :

وَكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشّجاعَةِ والنّدى وَلكِنّ طَبْعَ النّفْسِ للنّفسِ قائِدُ [7]

---

[1] الديوان ج٤ ص٤٠٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص١٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج١ ص١٩٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤/٣٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج١ ص٣١٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٢ ص٣٠٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[7] الديوان ج٢ ص٣٩٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم وإنما يسلك طريقهما من قادته نفسه إليهما .

وقال :

وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً   تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ [1]

والمعنى : إذا عظمت الهمة تعب الجسم في مرادها .

وقال من الكامل :

الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشّجْعانِ   هُوَ أوّلٌ وَهيَ المَحَلُّ الثّاني

فإذا همَا اجْتَمَعَا لنَفْسٍ حُرّةٍ   بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كلّ مكانِ [2]

والمعنى : العقل مقدم على الشجاعة والنتيجة أنه الأول والشجاعة تحل ثانية بعده ، وإذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس أبّية بلغت أعلى المراتب .

والتقرير بهذه الصورة التي مثلت له يعد من أبرز عيوب حديث المتنبي في شعره الذي حدثنا فيه عن النفس الإنسانية .

الفصل الثاني

[1] الديوان

[2] الديوان

التشبيه في تصوير المتنبي
للنفس الإنسانية

الفصل الثاني : التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

قال المتنبي من الكامل :

واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السّماءِ بوَجْهِها   فأرَتْنِيَ القَمَرَينِ في وقْتٍ مَعَا [1]

[1] الديوان ج٣ ص٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

فشبّه وجهها بالقمر في الوضاءة والحسن والجمال .

وقال من الطويل :

سَقاكِ وحَيّانَا بكِ اللهُ إنّمَا   على العِيسِ نَوْرٌ والخدورُ كمائِمُهْ [١]

فشبّه الخدور المشتملة على أحبته بالأكمام المشتملة على النور وشبّه حسن أحبته بالنور والأكمام جمع كمّ وهو وعاء النَّور وكان قبله قد دعا لمحبوبته بالسقيا رعاية لها وتمنّى قربها شغفاً بها .

وقال من الكامل :

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعْرِها   في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أرْبَعَا [٢]

فشبه ذؤابة شعرها بالليل في حلوكة السواد والذؤابة خصلة من الشعر .

وقال من الطويل :

فأبصَرْتُ بَدراً لا يَرَى البدرُ مِثْلَهُ   وخاطَبْتُ بَحْراً لا يرى العِبرَ عائِمُهْ [٣]

عبر النهر : شطه فشبهه بالبدر في البهاء وبالبحر في سعة العطاء فالبدر يتعجب من بهاءه وهو بحر لا يجد العائم ساحله تمثيلاً لسعة عطاءه .

وقال من الخفيف :

أيْنَ أزْمَعْتَ أيّهذا الهُمامُ؟   نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وأنتَ الغَمامُ [٤]

المزمع : المعتزم   الربا : جمع ربوة وهي الأكمة

شبّه نفسه ورجال سيف الدولة بنبت الربا ونِعم سيف الدولة بالغمام واختار نبت الربا لأنه من آنق النبت ولأنّه يحتاج دائماً للغيث لأنّ الماء ينسكب عنه سريعاً .

وقال من الوافر :

لأَكْبُتَ حاسِداً وأرَى عَدُوّاً   كأنّهُما وَداعُكَ والرّحيلُ [٥]

شبه الحاسد بالوداع ووجه الشبه أن كل منهما ذو ظاهر ولا حقيقة له والعدو بالرحيل وكلاهما معلن بمكروه .

وقال من المتقارب

كأنّ خَلاصَ أبي وائِلٍ   مُعاوَدَةُ القَمَرِ الآفِلِ [٦]

---

[١] الديوان ج٤ ص٤٨ وشرحه لأبن الأفليلي ج١/١٦٠ طبعة مؤسسة الرسالة تحقيق د. مصطفى عليان .
[٢] الديوان ج٣ ص٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٣] الديوان ج٤ ص٥٨
[٤] الديوان ج٤ ص٦١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٥] الديوان ج٣ ص ١٣٦ وشرحه لأبن الأفليلي ج١/١٧٩ .
[٦] الديوان ج٣ ص١٥٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

يشبّه تخليص سيف الدولة لأبي وائل من الإسار بخروج القمر من السرار ومعاودته للإمارة بمعاودة القمر الآفل لضيائه .

وقال من المتقارب :

فأقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدّامَهُ　　نَوافِرَ كالنّحْلِ والعاسِلِ (١)

يشبّه تهيب خيل سيف الدولة من الخارجي وانصرافها إلى سيف الدولة بانحياز النحل بين يدي العاسل.

وقال من الخفيف :

اختَرْتُ دَهْمَاءَتَينِ يا مَطَرُ　　وَمَنْ لَهُ في الفَضائلِ الخِيَرُ (٢)

فشبّه سيف الدولة بالمطر في عموم جوده وتدفق كرمه لمّا خيّره سيف الدولة بين فرسين دهماء وكميت فاختار الدهماء .

وقال من المتقارب :

كأنّكَ ما بَيْنَنَا ضَيْغَمٌ　　يُرَشِّحُ للفَرْسِ أشْبالَهُ (٣)

فشبّه سيف الدولة فيما يسبق الجيش إليه من مقارعة الأبطال وما ينفرد به من منازلة الأقران بالأسد ينهج ذلك ليري أولاده ما يجب عليها فعله وليصّور لها ما تمتلثه .

وقال من الكامل :

فكأنّها والدّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَها　　ذَهَبٌ بسِمْطَيْ لُؤلُؤٍ قد رُصّعَا (٤)

السمط : خيط القلادة والضمير في كأنّها إلى الصفرة في البيت السابق :

سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفِراقُ بصُفْرَةٍ　　سَتَرَتْ مَحاجرَها و لم تَكُ بُرْقُعَا

شبّه صفرة وجه المحبوبة بالذهب ودموعها باللؤلؤ.

وقال من الوافر :

كأنّ نِقابَها غَيْمٌ رَقيقٌ　　يُضِيءُ بمَنْعِهِ البَدْرَ الطُّلُوعَا (٥)

شبّه النقاب على وجهها بالغيم الرقيق ووجهها بالبدر في البهاء والإضاءة .

وقال من الوافر :

---

١ الديوان ج٣ ص ١٥٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج٢ ص١٩٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج٣ ص ١٩١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج٣ ص ٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج٢ ص٣٥٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ   وفاحَتْ عَنْبَراً ورَنَت غَزالا [1]

شبّه محبوبته بالقمر في الإشراق والحسن والبهاء وبغصن البان الناعم في التثّني والليونة وبالعنبر في زكيّ الرائحة وبالغزال في الملاحة أو في سواد المقل .

وقال من المتقارب :

كأنّ الجُفُونَ على مُقلَتِي   ثِيابٌ شُقِقْنَ على ثاكِلِ [2]

فشبّه حزنه بحزن الثاكل وهي من فقدت ولدها وتبعيد السهر لجفونه وديمومة السهر عليه بتشقيق الثاكل الثياب حداداً .

وقال من الخفيف :

إنّمَا أنْفُسُ الأنِيسِ سِبَاعٌ   يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيالا [3]

فشبه الصراع بين البشر بصراع السباع في حالي المواجهة أو القتل بالخديعة .

وقال من الكامل :

أنا صَخْرَةُ الوادي إذا ما زُوحِمَتْ   وإذا نَطَقْتُ فإنّني الجَوْزاءُ [4]

فشبّه نفسه بصخرة الوادي في الثبات فهي تثبت أمام السيول فلا تجرفها وهو يثبت أمام محاولة إزالته عما يريد وشبّه نفسه بالجوزاء في علو المنطق وقال الواحدي " يقال إنّ الجوزاء بيت عطارد فيكون المعنى : منّي تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أنّ الجوزاء تعطي من يولد فيها البراعة والنطق "

وقال من الطويل :

وَمَا أنَا إلاّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ   فزَيّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا [5]

فشبّه نفسه بالرمح معروضاً ومسدداً ، فمعروض يعني حالة السلم فهو يمدحه ويصف معاركه ومسدداً يعني يكيد الأعداء وينافحهم ويروعهم .

وقال من الطويل :

وَدَعْ كلّ صَوْتٍ غَيرَ صَوْتي فإنّني   أنَا الطّائِرُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصّدَى [6]

فشبه شعره بالصوت الأصلي وشعر غيره بصدى الصوت .

---

[1] الديوان ج٣ ص٣٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص١٥٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص ٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج١ ص١٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٢ ص١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٢ ص١٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الخفيف :

وَإذا اهْتَزّ للنّدَى كانَ بَحراً   وَإذا اهْتَزّ للرّدَى كان نَصْلا [1]

فشبه سيف الدولة في كرمه بالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وشبهه بالسيف في نفاذ عزمه فيما يريد تحقيقه .

وقال من الطويل :

هُوَ البَحْرُ غُصْ فيهِ إذا كانَ ساكناً   على الدُّرّ وَاحذَرْهُ إذا كان مُزْبِدَا [2]

فهو يشبه سيف الدولة بالبحر في حالتين : ففي السكون ينفع الناس بعطاءه كمن يحصل على الدر من البحر في سكونه وأمّا إن جاش وقذف بالزبد فهو يحذر وكذا سيف الدولة يحذر إذا غضب كالحذر من البحر إذا جاش وقذف بالزبد .

وقال من الطويل :

ويَبقَى على مَرّ الحَوادِثِ صَبرُهُ   ويَبدو كمَا يَبدو الفِرِنْدُ على الصّقلِ [3]

والفرند : جوهر السيف ، فشبّه صبر سيف الدولة على الحوادث كجوهر السيف وشبّه الحوادث ومرورها بالصقل الذي يحدث للسيف فهذا الصقل يزيل الصدأ عن السيف فتظهر جودة أصله وسيف الدولة إذا امتحن بالحوادث ظهر صبره .

وقال من البسيط :

لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ   ليسَ التكحّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ [4]

فشبه حلم سيف الدولة الذي طبع عليه بالكحل وهو سواد في أجفان العين خِلْقَة وحلم غيره المتكلف بمن يكتحل فضرب التكحل والكحل مثلاً للمتكلف والمطبوع .

وقال من الطويل :

إذا كانَ بَعضُ النّاسِ سَيفاً لدَوْلَةٍ   فَفي النّاسِ بُوقاتٌ لَهَا وطُبُولُ [5]

فشبه سيف الدولة بمكانته وأهميته في الدولة بالسيف القاطع وشبه غيره ممن لا أهمية لهم بالبوقات والطبول فهي للتهويل ولاحظ لها في العلو والرفعة .

وقال من الطويل :

---

[1] الديوان ج٣ ص٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص ١٧٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ ص٢١١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٣ ص٢٢٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

أرَى كُلَّ ذي مُلْكٍ إلَيكَ مَصِيرُهُ   كأنّكَ بَحْرٌ وَالمُلُوكُ جَداوِلُ [1]

فشبه سيف الدولة في سعة ملكه بالبحر وبقية الملوك في خضوعهم له بالجداول الصغيرة التي مآلها إلى البحر كمآل الملوك جميعاً إلى سيف الدولة .

وقال من الطويل :

فَذا اليَوْمُ في الأيّامِ مثلُكَ في الوَرَى   كمَا كنتَ فيهِمْ أوْحداً كانَ أوْحَدَا[2]

فشبه سيف الدولة بيوم العيد في تميزه عن بقية الناس وفضله وما خُصّ به من الفضل كيوم العيد وما خُصّ به من شرف في الإسلام .

وقال من الطويل :

لَقد لَعِبَ البَينُ المُشِتُّ بهَا وَبي   وَزَوّدَني في السّيرِ ما زَوّدَ الضّبّا [3]

فشبه نفسه بعد فراق حبيبته بحال الضب في الحيرة وعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب والعرب تضرب المثل بالضب فتقول أحير من ضب .

وقال من الكامل :

وبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشيتُ أُذِيبُهُ   من حَرّ أنْفاسي فكُنْتُ الذّائِبَا [4]

فشبه الأسنان لنقائها بالبرد فذكر المشبه به وحذف المشبه فقد خاف على محبوبته أن يذوب من حر أنفاسه فلما رحل المحبوب ذاب هو من الشوق .

وقال من الوافر :

يَهُزُّ الجَيشُ حَوْلَكَ جانِبَيْهِ   كمَا نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ [5]

يشّبه المتنبي صورة جانبي الجيش ميمنته وميسرته وسيف الدولة بينهما وما فيها من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركها ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو وجود جانبين لشيء في حال حركة وتموج .

وقال من الكامل :

فَعَلَتْ بنَا فِعْلَ السّماءِ بأرْضِهِ   خِلَعُ الأميرِ وَحَقّهُ لم نَقْضِهِ [6]

---

[1] الديوان ج٣ ص٢٣٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٢ ص٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج١ ص ١٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج١ ص٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج١ ص٢٠٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج ص٣٢٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

أي زانتنا خلع الأمير بوشيها ونضارتها كما زينت السماء أرضه بالنبات و لم نقض حق الأمير بعد مشبها أثر الخلع عليهم بأثر السماء على الأرض بالنبات الذي جمّلها .

وقال من الطويل :

إذا الدّوْلَةُ استكفَتْ بهِ في مُلِمّةٍ　　　كفاها فكانَ السّيفَ والكَفّ والقَلْبَا [1]

إذا استعانت الدولة بسيف الدولة كفاها مشبهاً دور سيف الدولة في إدارة الجيش وقيادته بفعل الشجاع قوي الكف صاحب القلب الشجاع المجترئ على الأهوال .

وقال من الوافر :

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ　　　فإنّ المسكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ [2]

يقول لسيف الدولة لا عجب إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فإنّ بعض الشيء قد يفوق جملته كالمسك فإنّه بعض دم الغزال وهو يفضله ويسمى هذا تشبيهاً ضمنياً .

وقال من الكامل :

وَإذا أشَارَ مُحَدّثاً فَكَأنّهُ　　　قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ [3]

فشبّه حديث ابن كيغلغ بقهقهة القرد وشبّه إشارته بلطم العجوز وذلك لعيّه وعدم فهمه .

الفصل الثالث

---

[1] الديوان

[2] الديوان

[3] الديوان

الكناية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الثالث : الكناية

أولاً : الكنايات في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

قال المتنبي من البسيط :

وَمُرْهَفٍ سرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ   حتى ضرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ [1]

---

[1] الديوان ج٤ ص٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

يقول المتنبي ضربت بسيف مرهف بين الفئتين المتقابلتين في الحرب واقتحمت المعركة والموت يلتطم موجه وهذا كناية عن شجاعته .

وقال من البسيط :

قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقد نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ [1]

فالشطر الأول كناية عن مخالطته لسيف الدولة في السلم والشطر الثاني كناية عن مخالطته له في الحرب

وقال من البسيط :

أَنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ [2]

وهذا كناية عن سيرورة شعره إلى كل الآفاق ووصوله لكل الناس .

وقال من الطويل :

تَسَاوَت بهِ الأقْطارُ حتى كأنّهُ يُجَمِّعُ أشْتاتَ الجِبالِ ويَنْظِمُ [3]

القتر : الغبار

تساوت بهذا الجيش العجاجات فصار ما يثور منها في الجبل الصلد كالذي يثور في الأرض الرخوة وهذا كناية عن كثرة الجيش وقوته .

وقال من الطويل :

تَجَمّعَ فيهِ كلُّ لِسْنٍ وَأُمّةٍ فَمَا يُفْهِمُ الحُدّاثَ إلاّ التَراجِمُ [4]

كناية عن كثرة الجيش واشتماله على عدد هائل من الأمم حتى احتيج إلى مترجمين ليفهم الناس على بعضهم .

وقال من البسيط :

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ [5]

وفيه كنايتان الأولى عن شجاعته والأخرى عن خبرته بالصحراء .

وقال من الطويل :

---

[1] الديوان ج٤ ص٨١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص٧٥ وشرح البيت بشرح ابن الأفليلي ج١ /٣١٩ .
[4] الديوان ج٤ ص١٠٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٨٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

تَضِيقُ بِهِ البَيداءُ من قَبْلِ نَشرِهِ وَمَا فُضّ بالبَيْداءِ عَنهُ خِتَامُ [1]

وهو كناية عن كثرة الجيش .

وقال من الكامل :

وإذا تَعَثَّرَتِ الجِيادُ بسَهْلِهِ بَرَّزْتُ غَيرَ مُعَثَّرٍ بِحبَالِهِ [2]

فكنّي " بالسهل " عمّا قرب من الكلام وبالجبال عما غمض من الكلام وقد بلغ بهذا الذروة العالية في الفصاحة والبلاغة .

وقال من الطويل :

رَمَى وَاتّقى رَميي وَمن دونِ ما اتّقى هوًى كاسرٌ كفّي وقوْسي وَأسهُمي [3]

يقول رماني سيف الدولة بما أظهره من تقصير في حقي واتقى أن أرميه بالذم لفعله ومن دون ما حذره واتقاه هوى مني له صادق يكسر القوس التي أرمي بها والكف التي أحمل بها القوس والسهم الذي أرسله وكنّ بالقوس والكف والسهم عن النيّة والقول والفعل .

وقال من البسيط :

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّممُ [4]

اللمم : الشعر الذي ألم بالمناكب وتصافح السيوف واللمم كناية عن جذ الرقاب عن أجسادها وهذا أحسن نصر عند سيف الدولة .

وقال من البسيط :

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيَخْتَصِمُ [5]

فالشطر الأول كناية عن سهولة قول الشعر عنده والثاني كناية عن مكانة هذا الشعر عند الناس .

وقال من المتقارب :

خَرَجنَ منَ النّقْعِ في عارِضٍ ومنْ عرَقِ الرّكضِ في وابِلِ [6]

يحدث عن خيل سيف الدولة حيث خرجت للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر وهذا كناية عن شدة الطِّلاب .

---

[1] الديوان ج٤ ص١١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ ص١٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص٢٦٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص٨٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص٨٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٣ /١٥٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من البسيط :

ما كانَ نَوْميَ إلاّ فَوْقَ مَعْرِفَتِي ... بأنّ رَأيَكَ لا يُؤتَى مِنَ الزَّلَلِ [1]

فكني بالنوم عن سكون النفس فقال لم تسكن نفسي إلا ثقة بأنّ كلام الواشين والحساد لن يأتي بما يريدون ويخططون .

وقال من البسيط :

نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصرٍ عَنْ ثَعَالِبِها ... فَقَدْ بَشِمْنَ وَما تَفنى العَنَاقيدُ [2]

فكني بالثعالب عن العبيد وكني بالعناقيد عن الفوائد والخيرات مخبراً عن الحراس عن فوائد مصر نتيجة كثرة الأكل عدم حمايتها من العبيد مؤكداً أنّ هذا سيستمر لأنّ فوائد مصر كثيرة وخيراتها لا تنتهي .

وقال من الوافر :

فَمَسّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَريرٌ ... وَصَبّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ
وَمَنْ في كَفّه مِنْهُمْ قَنَـاةٌ ... كمَنْ في كَفّه منهُمْ خِضابُ [3]

فالمتنبي يصف سيف الدولة بعد هزمه لبني كلاب وقد كنى بكون بسطهم حرير عن سيادتهم وعزتهم وبكون بسطهم تراب عن حاجتهم وذلهم وكنى بمن يحمل قناة عن الرجال وبمن في كفه خضاب عن النساء وقد أعطت الكناية سعة للفكر في أن يذهب كل مذهب في سطوة سيف الدولة الذي تساوت قوة الرجال وضعف النساء أمامه .

الفصل الرابع

---

[1] الديوان
[2] الديوان
[3] الديوان

الاستعارة في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الرابع : الاستعارة في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية :

قال المتنبي من الطويل :

وأحسَنُ مِنْ ماءِ الشّبيبَةِ كُلّهِ حَيَا بارِقٍ فِي فازَةٍ أنا شائِمُهْ[1]

[1] الديوان ج٤ ص٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

استعار الحيا وهو الغيث لكرم سيف الدولة الذي جعله يخلف السحاب بكرمه حيث جعل هذا الكرم أحسن من ماء الشبيبة الذي اجتمع الناس على الكلف بوقته والأسف لفقده فالمتنبي منتظر دائم لهذا العطاء .

وقال من الطويل :

سلَكتُ صُروفَ الدّهرِ حتى لقيتُهُ ... على ظَهرِ عَزْمٍ مُؤيَداتٍ قَوائِمُهْ [1]

يذكر المتنبي عن نفسه أنّه سلك صروف الدهر بتقلبه فيها واستعار الدابة للعزم وحذفها وأبقى الظهر وهو من لوازمها حيث أنه جعل عزمه مركوبه إلى سيف الدولة ولما جعله مركوبه استعار له ظهراً وقوائم وجعلها مؤيدات أي قويات .

وقال من المتقارب :

وأنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبيعَ السّباعِ ... فأثْنَتْ بإحسانِكَ الشّامِلِ [2]

ربيع السباع هو كثرة قتلى المعركة واستعار الإنبات لكثرة ظهور القتل في أعداءه حتى أن السباع لو كان لها أن تتحدث لشكرت لسيف الدولة ذلك .

وقال من الطويل :

ورِيعَ لَهُ جَيشُ العَدوّ وما مشَى ... وجاشتْ له الحرْبُ الضَّروسُ وما تغلي [3]

جاشت القدر أي غلت فاستعار ذلك لاشتداد القتال في الحرب حيث فُزع جيش العدو من سيف الدولة وهو في سن من لا يمشي لصغره وغلت الحرب لاعتدادها به وبما يصنع فيها من جذ رقاب أعدائه .

وقال من الكامل :

وإذا تَعَثّرَتِ الجِيادُ بسَهْلِهِ ... بَرّزْتُ غَيرَ مُعَثَّرٍ بِحبَالِهِ [4]

استعار الجياد للقريحة والشاعرية مخبراً عن قدرته على غوامض القول وبدائع الشعر حال عجز غيره في حضره سيف الدولة عن ذلك .

وقال من الخفيف :

وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلّ مَهْلَكَةٍ ... للذِّمْرِ فيها فُؤادُ رِعْديدِ [5]

الغمر : مجتمع الماء والذمر : الشجاع والرعديد : الجبان

---

[1] الديوان ج٤ ص٥٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

[2] الديوان ج٣ ص١٦١ وشرحه بحاشية الصفحة .

[3] الديوان ج٣ ص ١٧٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

[4] الديوان ج٣ /١٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

[5] الديوان ج١ /٣٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

استعار الغمر للحرب الشديدة القوية ووصف سيف الدولة بخوضه ــ هذه لحرب الضروس التي يكون فيها قلب الشجاع الجريء كقلب الجبان ــ بكل اطمئنان وثقة بانتصاره على أعداءه .

وقال من الخفيف :

تَهُبّ في ظَهْرِهَا كَتائِبُهُ   هُبُوبَ أرْواحِهَا المَراوِيدِ (١)

فالضمير في [ظهرها] للبيد المذكورة في البيت السابق فاستعار للبيد الدابة وحذفها وأبقى من لوازمها الظهر ليدل على انتشار جيوش سيف الدولة فهي كثيرة تعم البيد كما تعمها الرياح عند هبوبها .

وقال من الطويل :

تَعَرّضَ سَيْفُ الدّولَةِ الدّهرَ كلّهُ   يُطَبِّقُ في أوصالِهِ وَيُصَمِّمُ (٢)

التطبيق : إبانة القطع والتصميم : النفاذ في الأمر فاستعار التطبيق والتصميم للتحكم والاستيلاء على الأمور حيث أحكام سيف الدولة نافذة على الجميع .

وقال من الطويل :

وَلَو زَحَمَتْهَا بالمَناكِبِ زَحْمَةً   دَرَت أيُّ سورَيها الضّعيفُ المُهَدَّم (٣)

فخيل سيف الدولة تزاحم بمناكبها سور المدينة الذي يتهدّم في نهاية الأمر فجعل للخيل سوراً على سبيل الاستعارة .

وقال من البسيط :

رَضِيتَ مِنهُمْ بأنْ زُرْتَ الوَغى فرَأوْا   وَأن قرَعتَ حَبِيكَ البَيضِ فاستَمَعوا(٤)

الحبيك: جمع حبيكة وهي طريق في الماء من أثر الرياح واستعار ذلك في البيض ويقول مادحاً سيف الدولة بالشجاعة رضيت من فرسانك أن ينظروا إليك فقط وأن تصلى الحرب وأن تقرع حبيك الروم بجلادك ويستمعون إلى ذلك حيث أقدمت لشجاعتك وأحجموا .

وقال من الطويل :

تُنَكّسُهُمْ والسّابِقاتُ جِبالُهُمْ   وَتَطْعَنُ فيهِمْ وَالرّماحُ المَكايدُ (٥)

فاستعار التنكيس للاستنـــزال من على الخيل وجعل اعتصامهم بالجبال ركوباً لها كالخيل واستعار الطعن للتدبير والخطة فهي تصدع قلوب أعداءه .

---

١ الديوان ج١ /٣٨٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج٤/٦٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج٤/٧٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج٢ ص٣٤٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج١ ص ٣٩٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

عَصَفْنَ بهمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقنَهم   بِهنريطَ حتى ابيَضّ بالسبيِ آمِدُ (1)

اللقان وهنـــريط : موضعان في بلاد الروم وعصفت الريح بالشيء إذا اقتلعته واشتد ذهابها به فاستعار ذلك لخيل سيف الدولة التي فتحت هذه الحصون .

وقال من البسيط :

وَمُرْهَفٍ سرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ   حتى ضرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ (2)

فاستعار الموج لشدة المعركة وقوة المجالدة مدللاً على شجاعته .

وقال من الطويل :

وما لي إذا ما اشتَقْتُ أبصَرْتُ دونَهُ   تَنَائِفَ لا أشْتَاقُها وَسَبَاسِبَا (3)

والتنائف والسباسب هي القفار واستعارها للعوائق وحجب المخافة التي تحول بينه وبين سيف الدولة فأعطى للمعنى قوة هائلة في الدلالة .

وقال من الطويل :

وَأقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى   إلى البَحرِ يَسعى أمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي (4)

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة مستعيراً البحر للدلالة على كرمه والبدر للدلالة على وضاءة وجهه ورفعة شأنه وقد أعطت الاستعارتان أعظم الأثر في نفوس سامعيه وقارئي شعره حيث دلل على عظيم هيبة سيف الدولة وواسع كرمه .

وقال من الطويل :

إذا ما لَبِسْتَ الدّهْرَ مُستَمتِعاً بِهِ   تَخَرّقْتَ وَالمَلْبُوسُ لم يَتَخَرّقِ (5)

فاستعار اللبس والتخرق للعيش والبلى فالدهر يبلي من لبسه ويخلق من صحبه .

وقال من الطويل :

أما في النّجوم السّائراتِ وغَيرِهَا   لِعَيْني عَلى ضَوْءِ الصّباحِ دَليلُ (6)

السرى : مشي الليل فاستعار ذلك للنجوم يقول ذلك مشتكياً من طول سهره وما قاسى من شدة الكمد باحثاً عن الصباح وتدانيه وانصراف الليل .

---

[1] الديوان ج٢ ص ٣٩٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص ٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج١ ص١٩٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٣ ص ٥٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٣ ص٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٣ ص٢١٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الفُراتِ كأنّمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بالرّجالِ سُيُولُ (١)

فجعل للنهر قلباً يصيبه الروع على سبيل الاستعارة وكذا السيل لمواكب الرجال فدل بذلك على كثرة الجيش وقوة بأسه .

وقال من الطويل :

أغَرّكُمُ طولُ الجُيوشِ وَعَرْضُهَا عَليٌّ شَرُوبٌ للجُيُوشِ أكُولُ (٢)

فاستعار الشرب والأكل للقضاء والإتلاف فسيف الدولة عنده جيوش الروم كالغذاء الذي يتقوت به .

وقال من الطويل :

إذا مَطَرَتْ مِنهُمْ ومنكَ سَحائِبٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ (٣)

فاستعار السحائب للعطاء والطل والوابل للقليل والكثير مشيراً إلى أنّ الملوك لا يبلغون جود سيف الدولة .

وقال من الطويل :

خَميسٌ بشرْقِ الأرْضِ وَالغرْبِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوْزَاءِ منهُ زَمَازِمُ (٤)

فهذا جيش عظيم عَّم الأرض بزحفه حتى أنّ دويّ الأصوات بلغ الجوزاء التي استعار لها أذناً مشيراً بذلك لكثرة الأصوات وقطعها أبعد المسافات .

وقال من الطويل :

تَعَطَّفُ فيهِ وَالأعِنّةُ شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فيهِ وَالسّياطُ كَلامُ (٥)

يقول عن خيله أنها مؤدبة إذا قيدت بشعرها انقادت وإذا زجرت سابقت متبارية واستعار سياط الكلام للزجر .

وقال من الطويل :

حُرُوفُ هِجاءِ النّاسِ فيهِ ثَلاثَةٌ: جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذابِلٌ وَحُسَامُ (٦)

[1] الديوان ج٣ ص٢٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٣ ص٢٢٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص٢٣٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص١٠٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[5] الديوان ج٤ ص١١٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
[6] الديوان ج٤ ص١١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

متحدثاً عن جيش سيف الدولة بأنّ أركانه جواد ينهض فارسه ورمح يتقدم حامله وحسام يصول صاحبه مستعيراً هجاء الناس لما أعدّه سيف الدولة من إخافة أعداءه وحربهم .

وقال من الوافر :

فَقَرّحَتِ المَقَاوِدُ ذِفْرَيَيْهَا   وَصَعّرَ خَدَّهَا هذا العِذارُ (١)

الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن والضمير في ذفرييها وخدها لقبيلة نزار وقد استعار لها الإبل المذللة والخيل المرتاضة وحذفها وأبقى من لوازمها المقاود والخد مشيراً إلى ما أحاط بنـــزار من سلطان سيف الدولة الذي ضبط نافرها وقمع مخالفها .

وقال من الخفيف :

وَقَتَلْتَ الزّمانَ عِلْماً فَمَا يُغْـــ   ــرِبُ قَوْلاً وَلا يُجَدِّدُ فِعْلا (٢)

فاستعار القتل للإحاطة بوجوه التصرف مخبراً عن سعة علم سيف الدولة فلا جديد يستغربه ولا فعل يتهيبه مما يأتي من طوارق الدهر .

وقال من البسيط :

فَلا تَنَلْكَ اللّيالي، إنّ أيْدِيَهَا   إذا ضَرَبنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَبِ (٣)

يدعو لسيف الدولة بأن لا تصيبه الليالي بمكروه وجعل لليالي أيدياً على سبيل الاستعارة فهي تكسر الأقوى بالأضعف .

وقال من الطويل :

وَيُذْكِرُني تَخييطُ كَعبِكَ شَقَّهُ   وَمَشيَكَ في ثَوْبٍ منَ الزّيتِ عارِيَا (٤)

يقول لكافور يذكرني تخييط كعبك بشقوقه فيما كنت عليه زمان عبوديتك ومشيك عارياً في ثوب من الزيت الذي كنت تدهن به واستعار الثوب للدلالة على كثرة الادّهان بالزيت وشمول ذلك لكل الجسم.

وقال :

وَأنّ ذا الأسْوَدَ المَثْقُوبَ مَشْفَرُهُ   تُطيعُهُ ذي العَضَاريطُ الرّعاديد (٥)

العضاريط : الذين يخدمون بطعام بطونهم والرعاديد : الجبناء

[١] الديوان ج٢ ص٢٠٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٢] الديوان ج٢ ص٢٠٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٣] الديوان ج١ ص٢٢٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٤] الديوان ج٤ ص٤٣٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٥] الديوان ج٢ ص١٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

المشفر : من الإبل بمنزلة الشفة في الإنسان وأخذه على سبيل الإستعارة للدلالة على غلظ شفة كافور وقبح منظرها فهو يبدي استغرابه من طاعتهم لكافور على الرغم من كونه من أهل الغباوة وجفاة السودان .

وقال من البسيط :

لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ　　　　ليسَ التكحّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ [1]

فحلم سيف الدولة طبع فيه وهو ليس تكلفاً كحلم غيره وجاء بهذه الاستعارة التمثيلية فقد شبه من يفعل الشيء تطبعاً وليس ذلك من طبعه بصورة من يتكحل طلباً للكحل وهو سواد في أجفان العين خلقة بجامع البحث عما ليس في الإنسان عن طريق الاستعارة التمثيلية .

وقال من البسيط :

تَرنو إليّ بعَينِ الظَّبيِ مُجْهِشَةً　　　　وتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الوَرْدِ بِالعَنَمِ [2]

حيث تمثلت له محبوبته ظبية تنظر إليه وهي حيرى تمسح طلاً فوق خدها بأصابعها وهي كالعنم ليناً وحمرة وهنا سما المتنبي بخياله فرأى الطل يسقط على الورد فاستعاره لدموع محبوبته المتساقط على خدها ورأى في شجر العنم ليّن الأغصان ومحمرّها صورة أصابع محبوبته وبذا سمت الاستعارة بمعنى هذا البيت وذهبت به كل مذهب في خيال الشاعر المبدع .

الفصل الخامس

[1] الديوان
[2] الديوان

المجاز بأنواعه

الفصل الخامس : المجاز بأنواعه

قال المتنبي من الطويل :

وَتُحْيي لَهُ المَالَ الصّوَارِمُ وَالقَنَا   وَيَقْتُلُ ما تحيي التّبَسّمُ وَالجَدَا [1]

الجدا : الإعطاء ، فجعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه في العطاء قتلاً له ثم أثبت الإحياء فعلاً للصوارم والقتل فعلاً للتبسم مع أن كلاً منهما لا يصح منه الفعل والعلاقة هنا السببية وقد أعطى المجاز روعة لمعنى الشاعر وسعة في وصف سيف الدولة بغاية الكرم ومنتهاه .

[1] الديوان ج٢ ص٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

ومن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أنْ يَرَى عَدُوّاً لَهُ ما من صَداقَتِهِ بُدُّ [1]

النكد : قلة الخير وقد نسب النكد إلى الدنيا وهو ليس منها وهذا مجاز عقلي علاقته الزمانية فالدنيا زمن للنكد والمسرة وهذا أعطى هذا المجاز شمولاً وروعة لهذا البيت فالإنسان لا يجد أحياناً مندوحة من إظهار الصداقة لبعض أعداءه مع علمه بعداوتهم له ليأمن شرهم ويدفع عن نفسه خطرهم .

وقال من الكامل :

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسيمَ نَحَافَةً وَيُشيبُ نَاصِيَةَ الصّبيّ وَيُهرِمُ [2]

يقول : إنّ الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد وهزله حتى يأتي عليه الهزال ويشيب الصبي قبل الأوان حتى يصير كالهرم من الضعف وقد أتى بمجاز عقلي رائد في نسبة النحافة إلى الهمّ والشيب إليه وهذا المجاز علاقته السببية إذ الهم سبب للنحافة والشيب وقد أعطى هذا المجاز إبداعاً في البيت حيث جسّد هذا الخطر الكبير الذي يصيب الإنسان من الحزن في صورة رائعة .

وقال من الطويل :

وكلُّ امرىءٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيّبُ [3]

العز ينبت في المكان ولا ينبته المكان إذا فهو مجاز عقلي علاقته المكانية ، يقول إنما أحببتك لما أسديت إليّ من الجميل وطابت لي الإقامة بأرضك لما ألفيت فيها من العز وقد أعطى هذا المجاز الفسحة للعقل بأن يذهب بالتفكير كل مذهب في هذه الأرض التي تنبت العز فهي أصل لكل عز إذاً .

وقال من المتقارب :

فَهِمْتُ الكِتابَ أبَرَّ الكُتُبْ فَسَمْعاً لأمْرِ أميرِ العَرَبْ [4]

وفهمت الكتاب أي معناه وهو مجاز مرسل علاقته الداليّة أي دلالة الشيء على شيء آخر .

وقال من الوافر :

لِعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَـــــظٌّ تَحَيّرُ مِنْهُ في أمْرٍ عُجـــــــابِ

---

[1] الديوان ج٢ ص٩٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج١ ص٣٠٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج١ ص٢٥٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

حِمَالَةُ ذا الحُسَامِ عَلى حُسَامٍ وَمَوْقعُ ذا السّحابِ عَلى سَحابِ (١)

فقد استعمل كلمة حسام الثانية في غير معناها الأصلي لعلاقة المشابهة في تحمل الأخطار والقرينة حالية في هذا المجاز اللغوي وكذلك كلمة سحاب الثانية لأنه أراد بها المشابهة في الكرم بينه وبين السحاب والقرينة حالية أيضاً .

وقال من الوافر :

فإنْ أمرَضْ فما مرِضَ اصْطِباري وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتزَامي (٢)

وفيه مجاز لغوي فالاصطبار لا يمرض والاعتزام لا يحمّ ، فشبّه قلة الصبر بالمرض لما في كل من الدلالة على الضعف وشبّه انحلال العزم بالإصابة بالحمّى لما في كل من التأثير السيئ والقرينتان لفظيتان هما اصطباري واعتزامي .

وقال من البسيط :

وَالأعوَجيّةُ مِلءُ الطُّرْقِ خَلفَهُمُ وَالَمشرَفِيّةُ مِلءُ اليوْمِ فَوْقَهُمُ (٣)

ففيه مجاز مرسل في قوله ملء اليوم يريد ملء الفضاء الذي يشرق عليه النهار وعلاقته الحالية والأعوجيّة هي الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبني هلال والمتنبي أفاد من هذا المجاز سعة في وصف جيش سيف الدولة في إحاطته بأعدائه وقد برع في ذلك .

وقال من الطويل :

رَأيتُكَ محْضَ الحِلْمِ في محْضِ قُدرَةٍ وَلوْ شئتَ كانَ الحِلمُ منكَ الُمهنّدَا (٤)

ففي كلمة المهنّد مجاز مرسل لأنه أراد الحرب فهو يقول بأنّ سيف الدولة خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز ولو شاء أن يجعل الحرب مكان الحلم لفعل .

وقال من الطويل :

وَيَمْشِي بهِ العُكّازُ في الدّيرِ تائِبا وَما كانَ يَرْضَى مشيَ أشقَرَ أجرَدَا (٥)

فالعكاز لا يمشي وإنّما يسير صاحب العكاز وفيه مجاز عقلي لأنّ العكاز سبب في المشي لذا أسند الفعل يمشي إليه وقد أعطى جمالاً وبعداً لهذا التصوير ، فملك الروم بعد هزيمته من سيف الدولة أصبح يمشي في الدير تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الجواد الأشقر وهو أسرع الخيل عند العرب .

---

(١) الديوان ج١ ص١٧١ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٢) الديوان ج١ ص٢٧٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٣) الديوان ج٤ ص١٣٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٤) الديوان ج٢ ص١١ وشرحه بحاشية الصفحة .
(٥) الديوان ج٢ ص٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

الفصل السادس

طريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

الفصل السادس : طريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

التعريض : هو إمالة الكلام عن معناه الوصفي الحقيقي إلى معنى آخر مراد [1] ،وقد أكثر المتنبي من استخدام التعريض وخاصة في السيفيات والكافوريات وسأعرض لشواهد متعددة من أبياته على النحو التالي :

يقول في قصيدته الميمية معرضّاً بسيف الدولة من البسيط :

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَــا أنْ نُفَارِقَهُمْ	وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ
مَا كــانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ	لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمـــرِنَا أمَمُ
إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا	فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضـــاكُمُ ألَمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعـــرِفَةٌ	إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ [1]

---

[1] المعجم المفصل في الأدب للدكتور محمد التنوخي ، ج١ ص٢٦٧

والمعنى في البيت الأول : يا من يعز علينا مفارقته بما أسلف إلينا من فضله حتى صار لا يخلفه أحد في مكانته عندنا .

ثم أتى بالتعريض في البيت الثاني قائلاً : ما أخلقنا ببركم لو أنّ أمركم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم مما نحن عليه في الثقة بكم .

وفي البيت الثالث يقول : إنْ كان ما فعله الحاسد مرضياً لكم فما نشتكي من ألم الجرح إذا أرضاكم مع شدة وجعه .

ثم عاد في البيت الرابع وجاء بهذا التعريض القوي : يقول بيننا معرفة لو رعيتموها ثم أكد تعريضه بقوله إنّ أهل العقول يراعون حق المعرفة والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها والمعنى : لماذا لا تفعل ذلك يا سيف الدولة ؟

ثم أردف بعد تلك الآبيات قائلاً :

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِــزُكمْ ... وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأْتُونَ وَالكَرَمُ

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي ... أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ

* لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعِقُهُ ... يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ (٢)

والمعنى في البيت الأول :

أنتم تطلبون لنا عيباً يعجزكم وجوده وهذا تعريض قوي وتعنيف لسيف الدولة على إصغائه لحاسدي المتنبي فالله يكره هذا الفعل من سيف الدولة والكرم يوجب الإنصاف والعدل .

وفي البيت الثاني :

عاد وأكدّ بعده عن العيوب والمناقص وضرب لذلك مثلاً ببعد الثريا عن الشيب والكبر .

وفي البيت الثالث :

أتى بهذا التعريض القوي معنفاً سيف الدولة على إصغائه للحساد مشبها له بالغمام لكثرة عطائه قائلاً : ليت هذا الملك الذي يشبه الغمام ولا تأتيني منه إلا الصواعق ـــ ويقصد بها أذى الحساد في بلاط سيف الدولة ـــ يزيلها فيجعل هؤلاء الحساد يشاركونني في البؤس كما شاركوني في نعيم سيف الدولة .

---

[١] الديوان ج٤ ص٨٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

[٢] الديوان ج٤ ص٨٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

ثم أردف بعد ذلك قائلاً :

أَرَى النّوَى يَقتَضيني كلَّ مَرْحَلَةٍ ... لا تَسْتَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ
لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ مَيامِننا ... لَيَحْدُثَنّ لَمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ
إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا ... أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ [1]

والمعنى : يقول معرضاً برحيله عن بلاط سيف الدولة إلى مصر أرى النوى التي أريدها والرحلة التي اعتقدها تقتضيني تجشم كل مرحلة وافية لا تستطيعها الإبل لبعد منالها .

وقد أكد ذلك في البيت الثاني قائلاً :

إن قصدت مصر ليحدثن لمن ودعتهم ندم على مفارقتي لهم وأسف على رحيلي عنهم .

وقد زاد التأكيد في البيت الثالث قائلاً :

إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك فهم المختارون لارتحالك مشيراً إلى عذر رحيله عن سيف الدولة .

ثم تابع قائلاً :

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ ... وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ
وَشَرُّ ما قَنّصَتْهُ رَاحَتي قَنَصٌ ... شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَمُ [2]

والمعنى : شر البلاد بلاد لا يوجد فيها من يؤنس بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله وشر ما قنصه الصائد وظفر به قنص يشركه فيه شهب البزاة مع رفعتها والرخم مع دناءتها معرضاً بسيف الدولة حيث هباته مع سعتها لا تعادل تقصيره في إنقاص حق المتنبي وإيثار حساده عليه

والمعنى : إذا تساويت أنا ومن لا قدر له في أخذ عطائك فأي فضل لي عليهم وما كان من الفائدة هكذا فلا أفرح به وكان المتنبي قد قدّم تعريضاً قوياً في هذه القصيدة وهو قوله :

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ [3]

والمعنى : يجب أن تميز بيني وبين غيري ممن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة.

وقد وجدت المتنبي يتواصل مع أسلوب التعريض في بلاط كافور الإخشيدي حيث نسب ذلك التعريض إلى جملة من الأسباب من أهمها أنه رحل إلى كافور لتحقيق مطمع الخلافة والرياسة التي لم يحققها عند غيره وكذلك ما لحقه من الآثار النفسية من تبعات الفشل السابقة وخاصة عند

---

[1] الديوان ج٤ ص٨٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٨٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٣ ص٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

سيف الدولة وكذلك عدم قناعة المتنبي باستحقاق كافور لكرسي الملك حيث رآه مجرد عبد سوء استغل فرصة وثب من خلالها للملك لا يستأهله ولذا وجدت التعريض بادياً في أول قصائده عند كافور من البحر الطويل والتي مطلعها :

كفى بكَ داءً أنْ ترَى الموْتَ شافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنّ أمانِيَا [1]

حيث ورد في هذه القصيدة عدداً من الأبيات استخدم المتنبي فيها أسلوب التعريض على النحو التالي

يقول :

تَمَنّيْتَهَا لَمّا تَمَنّيْتَ أنْ تَرَى صَديقاً فأعْيَا أوْ عَدُواً مُداجِيَا [2]

والصديق هنا ولا شك وهو سيف الدولة الذي اضطر المتنبي إلى فراقه متعللاً بسماع سيف الدولة لكلام الوشاة والحساد وعدم إعطاءه القيمة اللائقة لشعر المتنبي ومساوات شعر المتنبي بشعر غيره من الشعراء وهذا تعريض بيّن .

وقوله :

حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبلَ حُبّكَ من نأى وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنتَ وَافِيَا [3]

والحبيب الذي نأى هو سيف الدولة الذي غدر و لم يفِ كما يرى المتنبي وهو تمريض واضح .

وقوله :

وَللنّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلّ على الفَتى أكانَ سَخاءً ما أتَى أمْ تَسَاخِيَا

أقِلَّ اشتِياقاً أيّهَا القَلْبُ رُبّمَا رَأيْتُكَ تُصْفي الوُدّ من ليسَ صافيَا [4]

والمعنى : قلل الاشتياق يا قلبي إلى من لا يشتاق إليك فإنك تخلص المودة لمن لا يجازيك على ذلك وهذه الأبيات ولا شك تعريض بسيف الدولة وتطييب لنفس المتنبي على فراق مجلس أمير حلب .

وسأعرض مثالاً آخر على قدرة المتنبي على استخدام أسلوب التعريض من قصيدة أنشأها في مدح كافور الإخشيدي حيث يقول من الطويل:

فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيرُ مُذَمَّمِ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ

وَمَا مَنزِلُ اللّذّاتِ عِندي بمَنْزِلٍ إذا لم أُبَجَّـــــلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ

سَجِيّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليـــــحَةً منَ الضّيمِ مَرْمِيّاً بها كلّ مَخْرَمِ

---

[1] الديوان ج٤ ص٤١٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[2] الديوان ج٤ ص٤١٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
[3] الديوان ج٤ ص٤١٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
[4] الديوان ج٤ ص٤٢٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

رَحَلْتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شَادِنٍ   عَلَيّ وَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ [(١)]

ألاحظ هنا أن المتنبي قد اشتاق لسيف الدولة وهو الذي فارقه عن قريب عهد مبديا ندماً شديداً لهذا الفراق وهو يوضّح هنا أن المنازل لا تتفاوت إلا بما يحظى فيها من التبجيل وهذا من طبيعة نفس المتنبي ثم صوّر ما تركه في نفس سيف الدولة من ألم الفراق فهو لا شك يبكي على فراق المتنبي له وقد رسم كل ذلك في لوحة رائعة من التعريض و لم يذكر اسم سيف الدولة صراحة ثم أتبع الأبيات السابقة بقوله :

أُصَادِقُ نَفسَ المرْءِ من قبلِ جسمِهِ   وَأعْرِفُهَا في فِعْلِهِ وَالتّكَلّمِ
وَأحْلُمُ عَنْ خِلّي وَأعْلَمُ أنّهُ   متى أجزهِ حِلْماً على الجَهْلِ يَندَمِ
وَإنْ بَذَلَ الإنْسانُ لي جودَ عابِسٍ   جَزَيْتُ بجُودِ التّارِكِ المُتَبَسِّمِ [(٢)]

والمتنبي هنا يعرض بمراده من كافور حيث أوضح له في البداية ما كان من فعل سيف الدولة محذراً إياه من أنه يعرف نفس من يصادق ملوحاً بلطف حسه ودقة علمه على استشفاف كنه نفس الإنسان الذي يصادقه مستدلاً عليها بكلامه وفعله ، وأكد ذلك بأنّه لا يقبل العطية حتى يكون معها بشر وبشاشة وإلا تركها وهو متبسم غير متحسر عليها .

ثم لام كافور على تردده في الوفاء بوعده له بهذا البيت :

وَمَا كُلّ هَاوٍ للجَميلِ بفاعِلٍ   وَلا كُلّ فَعّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
وما كل هاوٍ للجميل بفاعل   ولا كل فعّال له بمتمم [(٣)]

وأرى أن هذا تعريض واضح لمن عرف ما في نفس المتنبي من الطموح ، ثم يجيء بهذا البيت بعد عدة أبيات حيث يقول :

قدِ اخترْتُكَ الأملاكَ فاخترْ لهمْ بنا   حَديثاً وَقد حكّمتُ رَأيَكَ فاحكُمِ [(٤)]

وهو في رأيي تعريض يكاد يصل للتصريح بالتهديد فهو يخبره بأنّه ترك كل ملوك الأرض وآثره دونهم ويخيّره بين أن يختار لهم أن يتحدثوا بمديح المتنبي له وبين أن يخوضوا في هجاء المتنبي وذمه لكافور بالبخل تاركاً له حرية الاختيار وقد وجدته يؤكد هذا المعنى بالبيت التالي :

وَمِثْلُكَ مَن كانَ الوَسيطَ فُؤادُهُ   فَكَلّمَهُ عَنّي وَلَمْ أتَكَلّمِ [(١)]

---

[١] الديوان ج٤ ص٢٦٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٢] الديوان ج٤ ص٢٦٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٣] الديوان ج٣ ص٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
[٤] الديوان ج٤ ص٢٧٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

أي : قد فهمت مرادي وما أسعى إليه ولن أكثر الكلام في ذلك .

وقد وجدت المتنبي يعرض كثيراً بسيف الدولة وخاصة في الكافوريات من مثل قوله في القصيدة من الطويل التي مطلعها :

أَوَدُّ مِنَ الأيّامِ مَا لا تَوَدُّهُ   وَأشكُو إلَيهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ

حيث يقول :

تَوَلّى الصِّبَى عَنّي فأخلَفتَ طِيبَهُ   وَمَا ضَرّني لَمّا رَأيْتُكَ فَقــــدُهُ

لَقَدْ شَبّ في هذا الزّمانِ كُهُولُهُ   لَدَيْكَ وَشابَتْ عندَ غَيرِكَ مُرْدُهُ (٢)

والمعنى : ولى الصبا عني وذهب فجعلت له خلفاً بما أجد من طيب أيامي عندك مخاطباً كافور ـــ فالكهول بما يلاقون في ذراك من رغد العيش ونور العدل صاروا شباباً والمرد عند غيرك صاروا شيباً لما يلاقون من البؤس وظلمة الظلم قال بن جني : هذا تعريض بسيف الدولة (٣).

الفصل السابع

١ الديوا
٢ الديوا
٣ شر

آراء النقاد حول شعر النفس
عند المتنبي

الفصل السابع : آراء النقاد حول شعر النفس عند المتنبي :

أبدأ هذا الفصل بعرض **رأي الدكتور عبد الله الغذامي** الذي عرضه في كتابه النقد الثقافي وتعرض فيه للمتنبي حيث يقول :

" وفي حال المتنبي من الواضح أننا امام شاعر مكتمل النسقية ، فهو أقل الشعراء اهتماماً بالإنساني وتحقيراً له ، فهو الذي هزأ بالحب والتشبيب : أكل فصيح قال شعراً متيمّ .. ! وغير فؤادي للغواني رميةّ ـــ وللخود مني ساعة ثم انثني وهو الشاعر المفرط في ذاتيته وفي أناه الطاغية وفي تحقيره للآخر [1] "

وأما قول الدكتور الغذامي بذاتية المتنبي فهذا أمر صحيح فشعر المتنبي ـــ كما أوضح هذا البحث ـــ صورة لنفسه وذاته بكل ما فيها من استعلاء وشموخ وطموح وعظمة وعدائية وألفة بآمالها وآلامها في وضاعتها وعليائها وفي كل حالاتها الإنسانية المختلفة فالأديب المتفوق في نظري هو من تأثرت نفسه بالحياة ومظاهرها تأثراً خاصاً بنفسيته ثم جهد بأدبه أن ينقل هذا التأثر إلى الناس وجعلهم يتأثرون بما تأثر به ويشعرون بما شعر ، وفي اعتقادي أنّ ذاتية المتنبي كانت بقدر ما نقل

[1] النقد الثقافي لعبد الله الغذامي ، ط المركز الثقافي العربي ، ص١٦٨

لنا كل شيء حوله على ضوء ما اعتقد من المثل والقيم ، وأما الرد على قول الدكتور الغذامي بأنّ المتنبي أقل الشعراء اهتماماً بالجانب الإنساني وتحقيراً له فقد تكفل به أحد أعلام النقد في العصر الحديث وهو الدكتور / مصطفى عبد الواحد في كتابه حقيقة النقد الثقافي حيث قال : " فما معنى كون المتنبي " أقل الشعراء ، اهتماما بالجانب الإنساني وتحقيراً له ؟

هل الجانب الإنساني في الشعر هو " الحب والتشبيب فحسب ؟ وهل كان المتنبي هازئاً بالحب كما زعم هذا الزاعم ؟

إن الجانب الإنساني في الشعر أوسع من أن يكون حباً للنساء وتشبيباً بهن ، إنه يشمل كل نوازع الإنسان وأفكاره وتجاربه ومواقفه في الحياة كما يشمل الأخلاق والحكمة والسياسة والحرب والصداقة والعداوة ... وليس هناك شاعر في العربية أطال الوقوف أمام النفس الإنسانية وما يعتريها من آلام وآمال ومطامع ودوافع .. كما وقف المتنبي .. حتى مدائحه التي استحوذت على أكبر قدر من شعره .. لم يخلها من وصف الأخلاق وتحليل البواعث واستخلاص الحكم والتجارب "

فمن الظلم الفادح وتجاهل الحقائق الراسخة الزعم بأنّ المتنبي كان أقل الشعراء اهتماماً "بالإنساني" وحصر هذا الإنساني في الحب والتشبيب بالنساء[1] !

ثانياً : رأي الأستاذ العقاد :

يقول : " ليس بملك ولا أمير ولا قائد ولا صاحب جاه ولكنه فخر العرب وترجمان حكمتهم والرجل الفرد الذي نظم في ديوان واحد ما نثرته الحياة في سائر دواوين التجارب والعظات ، فكان كلامها كلامه وحقائقها حقائقه ، وساغ له أن يحتجن لنفسه ما هو حصة الناس جميعاً أو حصة العرب من تجارب الحياة ووقائع الأيام ، إن استكثرنا نصيب الإنسانية كلها على رجل واحد ، فأي كلام أمير من الأمراء أو عاهل من العواهل كانت له هذه الرعاية والصيانة ؟! وأي كلمة مسموعة تتخطى الأيام والقرون وتُسمع من وراء القصر والقبر كما تسمع كلمات المتنبي [2] ؟!

ويقول في موضع آخر : " وإذا اتجه الشاعر العظيم إلى الحياة وانصرفت نفسه إلى ما بين الأحياء من العواطف والدوافع والصلات والفواصل فهو الذي يسمعك أصداء النفس الآدمية في جهرها ونجواها وفي شوقها وانقباضها حيث ترتفع في معارج الخير وحيث تتردى في مهابط الشر ، ويردد

---

[1] حقيقة النقد للدكتور / مصطفى عبد الواحد : ص١٦٨ .

[2] مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، طبعة دار المعارف ص١٨٤ .

لك ما تعتلج به من الآلام وما تحكم به من الآمال ويترجم ألغازها وكناياتها فإذا هي كلمات صريحة مأنوسة ويجمع أشتات هواجسها وأعشار تجاربها فإذا هي قوالب صحيحة ملموسة فأنت تقول إذ تراها نعم هذه هي النفس الآدمية بعينها وتصح ياعجباً إنها لهي الحياة كما أعهدها [1]"

ويقول مرة أخرى :

" لم يكن المتنبي ممن شغفوا بمحاسن الطبيعة وأسرارها ولكنه كان ممن يقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمعة فيحصون عليها هزائمها وانتصاراتها ويكتبون لها حسناتها وسيئاتها وكان الرجل أشبه رجال القول برجال العمل في الخلق والمزاج ، فأقبل على الجهاد في عصره عاملاً كما أقبل عليه مترقباً دارساً فأعانه ذلك على تقييد ضوابطه وتعليق شوارده وأخرج لنا من شعره معرضاً واعياً لكل ما يعتلج بالنفس المجاهدة وعيبة حاوية الأشكال من الحكم العربية والقواعد المقررة المشاهدة [2] "

ثالثاً : رأي الأستاذ محمود محمد شاكر :

يقول الأستاذ / محمود شاكر في كتابه المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : "رأيت أن اتصاله بسيف الدولة نقل قلب الرجل من منـــزله إلى أخرى ، نقله من منـــزلة الإحساس الشخصي الموحد إلى مترلة الإحساس الشخصي المتولج في الاجتماع المزاحم في سياسته المؤمل في سيف الدولة رد السلطان إلى العرب والعربية يعد الغلبة والظفر وتحقيق الأماني ، وكان هذا سبباً في انتقاض قلب (الرجل الشاعر) بالفرح المستولى عليه ، الغالب على عواطفه ، ثم كان أيضا ما استنبطناه ممّا سبّب في هذا القلب أسباباً للهم والحزن والأنين والبكاء والحسرة ، فصار التنازع في هذا القلب بين الفرحة الغالبة والحسرة المتمكنة ، سبباً في استخراج مكنوناته وتوليد المعاني الجديدة من الصراع الهائل الذي كان فيه .

وبذلك خرج أبو الطيب عن طوره الأول المحدود بحدّة إلى الطور الثاني المتفاسح المترامي إلى كل غايات الحياة وأسبابها وما يكون فيها وما يكون منها .

وكان هذا الرجل الشاعر إنما يعتمد في توليد معاني شعره على استيعاب ما بنفسه من الأفراح والآلام ، ما تقادم منها وما جدّ ، ثم الاستغراق في تأمل هذه الذخائر التي في نفسه وردّ بعضها إلى بعض ، وربط الغائب منها بالشاهد ، وعطف الأول منها على الآخر ، وكأنما كانت

---

[1] مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ط دار المعارف ص١٤١ .
[2] مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، ط ، دار المعارف ، ص١٤٢

تتراءى لعينيه حوادث قلبه وحوادث دهره ، وتتردد في سمعه أصوات قلبه موصولة بأصوات الناس وكلامهم ، ما قل منه وما عظم وكان هذا الاستغراق في تأمل ما بنفسه هو أحد الأسرار العظيمة في تصوير شاعريته وتسويتها وتنشئتها وتغذيتها وتنميتها إلى الغاية التي هي عليها في شعره[1] "

وبعد عرض هذه الآراء واستقراء هذا البحث استطيع أن أقول بأنّ شعر النفس عند المتنبي يعد أقوي ألوان الشعر عنده .

نتائج البحث

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج في موضوع تصوير النفس عند المتنبي على المستويين الموضوعي والفني .

فعلى المستوى الموضوعي توصل البحث إلى :

١. اختلف الدارسون لشعر المتنبي والنقاد المتفحّصون له في ذكر أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس ولكنّي في هذا البحث حاولت الإلمام قدر المستطاع بجملة هذه الأسباب واستأنست على بعضها بآراء أصحابها وذكرت بعض القصص والشواهد على بعضها الآخر حيث إنني رأيت أن هذه الأسباب هي التي جعلت للمتنبي قدرة فائقة على تصوير النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة وحصرتها في سبعة أسباب رئيسة وتحت بعضها عدة تقسيمات كالسبب الأول ثقافته الواسعة وتجاربه وكذلك السبب السابع وهو صراعاته النفسية .

٢. من خلال استقرائي لشعر المتنبي وجدته مولعاً باستخدام لفظ النفس ، فقد أورده في مدائحه وأهاجيه وفي فخره ورثائه وقد جاء به على صيغة المفرد والجمع وقد قصد به خطاب ممدوحيه

---

[1] المتنبي ، رسالة في طريق ثقافتنا لمحمود محمد شاكر ، طبعة دار المدني ، ص٣٣٤ .

ومن رثاهم وعنى به نفسه وقد جمعت له من ذلك أكثر من مئة وثلاثين بيتاً وتعرضت لها بالشرح الموجز في فصل سميته : كثرة ترديد المتنبي للفظ " النفس" في شعره .

٣. ارتبط حديث المتنبي عن الآمال بحديثه عن الآلام التي عاناها في سبيل تحقيق آماله حتى أن ذلك أصبح ظاهرة سجّلها هذا البحث على حديثه عن آماله .

٤. وجدت أن حديث المتنبي عن آلامه وآماله توزع على ثلاث مراحل بحسب ما تميزت به كل مرحلة على النحو التالي :

* **المرحلة الأولى** : حديثه عن آماله وآلامه في فترة صباه .

* **المرحلة الثانية** : حديثه عن آماله وآلامه في فترة اتصاله بسيف الدولة وبدايات بقائه مع كافور

* **المرحلة الثالثة** : حديثه عن آماله وآلامه من آخر بقائه مع كافور إلى وفاته .

٥. كانت الشجاعة والكرم والوفاء أكثر الصفات التي تحدث عنها المتنبي ووصف بها نفسه وممدوحيه .

٦. من أعظم الأدلة على ولع المتنبي بصفات الشجاعة والكرم والوفاء أنّ بعض أبياته فيها أصبحت أمثالاً يتناقلها الناس بعده في الحديث عن هذا الصفات كقوله في الشجاعة :

عِشْ عزيزاً أَوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ   بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ

وقوله في الكرم والشجاعة :

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ؛   أَلجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ

وقوله في الوفاء :

حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبلَ حُبّكَ من نأى   وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنتَ وَافِيَا

٧. عدّ هذا البحث لإعجاب المتنبي بسيف الدولة الحمداني ستة أسباب وذكر خمس صور لهذا الإعجاب من خلال استقراء شعره فيه سمّاها الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في مدائح سيف الدولة .

٨. توصل هذا البحث إلى أن المتنبي يهجو عن قلب حقود لا يسامح حتى مع من أحسن إليه ككافور الأخشيدي وفي رأي الباحث أنّ أبيات المتنبي الهجائية كالنقط السوداء في صفحة ديوان المتنبي الناصعة البياض لما في معظمها من السفالة والدناءة والانحدار الذي لا يليق بشاعر فحل كالمتنبي .

٩. توصلت الدراسة إلى تقسيم شعر الهجاء عند المتنبي إلى قسمين هما :

*الهجاء الفاحش المقذع

*هجاء السخرية والتلهي

١٠. ذيوع واشتهار بعض أبيات هجاء المتنبي كقوله :

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ   إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

وقوله :

أسَامَرِّيُّ ضُحْكَةَ كُلّ رَاءِ   فَطِنْتَ وَكنْتَ أغْبَى الأغْبِيَاءِ

١١. سجّل البحث أبياتاً رائعة في الحكمة أوردها المتنبي في قصائد الهجاء كقوله :

إذا أتَتِ الإسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ   وَلم ألُمِ المُسِيءَ فَمَنْ ألُومُ

وقوله :

لا يَسلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى   حتى يُرَاقَ عَلى جَوَانِبِهِ الدّمُ

وقوله :

وَالظّلمُ من شِيَمِ النّفوسِ فإن تجدْ   ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ

١٢. المتنبي يحب ما ينبع من طبع الإنسان ويمقت التطبع وما كان مفتعلاً وهذه ظاهرة سجلتها على حديث المتنبي عن الطباع .

١٣. أثبت هذا البحث عدم حب المتنبي لخولة أخت سيف الدولة وعدّد جملة من الأسباب دلت على عدم ولوج الحب الذي يضني الروح ويدّله العقل ويفني الجسم إلى قلب المتنبي .

١٤. استنتج هذا البحث أنّ وجود الغزل في مقدمات قصائد المتنبي راجع إلى أنه وهو الشاعر الغني الوصف ، الخصب الخيال ، الواسع الإدراك لم يُرد أن يفوته الشعراء بشيء يتحدثون فيه ويقصر باعه عنه ولذا قال :

إذا كانَ مَدحٌ فالنّسيبُ المُقَدَّمُ   أكُلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعراً مُتَيَّمُ

١٥. سجل البحث على المتنبي مخالفته قوانين المحبين كدعوته على الحسان وتفضيله الخيل على النساء وخصومته ودعاءه على ديار الأحبة ورقته في حديثه مع سيف الدولة وكافور وابن العميد واختفاء هذه الرقة في حديثه إلى النساء .

وأما على الجانب الفني فعلى النحو التالي :

١. التقرير يُعَدّ أبرز عيوب شعر المتنبي في حديثه عن النفس الإنسانية .

٢. استخدم المتنبي أسلوب التشبيه كثيراً مع سيف الدولة وكذا في غزله .

٣. استخدم المتنبي بلاغة الكناية كثيراً في حديثه عن نفسه من مثل قوله :

أَنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي   وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

٤. استخدم المتنبي الاستعارة التمثيلية كثيراً في مدح سيف الدولة من مثل قوله :

لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ   ليسَ التكحّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ

التوصيات

وفي نهاية هذا البحث يوصي الباحث بأن يقوم الدارسون بمتابعة الجهود البحثية في هذا الميدان من خلال تناول جوانب أخرى جديدة بالبحث والدراسة في شعر المتنبي منها :

١. أن يعمل الباحثون على دراسة شعر الحب لدى المتنبي وتصوير عاطفته تجاه المرأة من الناحية الفنية البحتة لما رأيت عنده من جرس موسيقي رائع وصور بلاغية متميزة فُتن البلاغيون القدماء بالكثير منها .

٢. دراسة ظاهرة مخالفة المتنبي لقوانين المحبين وتبين أسبابها وأمثلتها في شعره .

فهرس الأشعار

القافيـــة	البحر	الصفحة
قافية الهمزة		
وَأمْسَتْ تُخَيّرُنَا بِالنّقـــــــا بِ وَادي المِيَاهِ وَوَادي القُرَى	المتقارب	١٢٣
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأى غَيرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى	المتقارب	١٩
إنّما الجِلدُ مَلبَسٌ وَابيضَاضُ الـــــنّفسِ خَيرٌ من ابيضَاضِ القَبَاءِ	الخفيف	٢٣
وَأنَا مِنْكَ لا يُهَنّىءُ عُضْوٌ بالمَسَرّاتِ سائِرَ الأعْضَاءِ	الخفيف	٣٤
يَقُولونَ لي ما أنتَ في كلّ بَـلدَةٍ وما تَبتَغي؟ ما أبتَغي جَلّ أن يُسْمى	الطويل	٣٥
فَلَمّا أنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَـــا حَ بَين مَكَـارِمِنَا وَالعُلَى	المتقارب	٥٨
فَارْمِ بي ما أرَدْتَ مني فإنّي أسَدُ القَلْبِ آدَميُّ الرُّوَاءِ	الخفيف	٧٦
أسَـــــامَرِّيُّ ضُحْكَةَ كُلّ رَاءِ فَطِنْتَ وَكُنْتَ أغْبَى الأغْبِيَاءِ	الوافر	٨٣
وَأسْـــــوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أنْتَ بَدْرُ الدّجَى	المتقارب	٨٣

القافيـــة	البحر	الصفحة
وَأُوردُ نَفْسِي والمُهَنّدُ في يَدي مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَن لا يُجالِدُ	الطويل	٢٨
أبَداً أقْطَعُ البِلادَ وَنَجْمي في نُحُوسٍ وَهِمّتي في سُعُودِ	الخفيف	٣٣
فلم أرَ قَبلي مَن مَشَى البحرُ نحوَهُ ولا رَجُلاً قامَتْ تُعانقُهُ الأُسْدُ	الطويل	٣٤
إنْ أكُنْ مُعجَباً فعُجبُ عَجيبٍ لمْ يَجدْ فَوقَ نَفْسهِ من مَزيدِ	الخفيف	٣٤
وَكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشّجاعَةِ والنّدى وَلكِنّ طَبْعَ النّفْسِ للنّفسِ قائِدُ	الطويل	٨٧
أينَ فَضْلي إذا قَنِعْتُ منَ الدّهْـــ ـــرِ بعَيْشٍ مُعَجَّلِ التّنكيـــدِ	الخفيف	١٣٢
وَأتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ وَقَصّرَ عَمّا تَشتَهي النّفس وَجدُهُ	الطويل	٣٠
وَدَبِّرْهُ تَدْبيرَ الذي المَجْدُ كَفُّهُ إذا حارَبَ الأعداءَ وَالمَالَ زَنْدُهُ	الطويل	٣٦
أبَداً أقْطَعُ البِـــــــلادَ وَنَجْمي في نُحُوسٍ وَهِمّتي في سُعُـــودِ	الخفيف	٣٩
وشُغلُ النّفسِ عن طَلَبِ المَعالي ببَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ	الوافر	٤١
أذُمّ إلى هذا الزّمـــــانِ أُهَيْلَهُ فأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأحزَمُهمْ وَغْدُ	الطويل	٤٢
مَفْرَشِي صَهْوَةُ الحِصانِ وَلَكِـــ ـــنّ قَميصِي مسرُودَةٌ مِنْ حَديدِ	الخفيف	٤٧
أُحِبّكَ يا شَمسَ الزّمانِ وبَدْرَهُ وَإنْ لامَني فيكَ السُّهَى والفَراقِدُ	الطويل	٤٧
وَأمْضَى سِلاحٍ قَلّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ رَجَاءُ أبي المِسْكِ الكَريمِ وَقصْدُهُ	الطويل	٧٧
وَمَا رَغْبَتِي في عَسْجَدٍ أستَفيدُهُ وَلَكِنّها في مَفْخَرٍ أسْتَجدّهُ	الطويل	٧٧
لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ إنّ العَبيدَ لأنْجاسٌ مَناكِيدُ	البسيط	٧٩
وَكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشّجاعَةِ والنّدى وَلكِنّ طَبْعَ النّفْسِ للنّفسِ قائِدُ	الطويل	٨٧
فَفَدَى رَأيَكَ الذي لم تُفَدْهُ كُلُّ رَأيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ	الخفيف	٨٧
وَما قَتَلَ الأحرارَ كالعَفْـوِ عَنهُمُ وَمَنْ لكَ بالحُــــرّ الذي يحفَظُ اليَدَا	الطويل	٨٩
ومن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أنْ يَرَى عَدُوّاً لَهُ ما من صَـــــداقَتِهِ بُدُّ	الطويل	٩٣
وَلا العُلى لم تجُبْ بي ما أجوبُ بهَا وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيْدودُ	البسيط	٩٤
ذاتِ فَرْعٍ كأنّما ضُرِبَ العَنْـــ ـــبَرُ فيهِ بمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ	الخفيف	٩٧
قالَتْ وقَد رَأتِ اصْفِـراري من بهِ وَتَنَهّـــــــدَتْ فأجَبْتُها المُتَنَهِّدُ	الكامل	٩٨
وأغْرَى الصّبَابَةَ بالعاشِقِينَ وَأقْتَلَهَا للمُحِبّ العَميـدِ	المتقارب	١٠٩

الصفحة	البحر	القافيـــة
		قافية الفاء
٢٤	الخفيف	كُنْ أيّها السّجنُ كيفَ شئتَ فقد وَطّنْتُ للمَوْتِ نَفْسَ مُعترفِ
٥٥	الطويل	ونَفْسي لَهُ نَفسي الفِداءُ لنَفْسهِ ولكِنّ بَعضَ المالِكينَ عَنيفُ
		قافية القاف
١٧	الخفيف	أنْتِ مِنّا فَتَنْتِ نَفسَكِ لَكِنّـــ ـــكِ عُوفيتِ مِنْ ضَنًى واشتياقِ
٣٣	الرجز	وَكُلّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّـــ ـــهُ وَما لَمْ يُخْلَقِ
٨٨	الوافر	إذا ما النّاسُ جَرّبَهُمْ لَبيبٌ فإنّي قَدْ أكَلْتُهُمُ وَذاقَا
٩٩	الطويل	وَأغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كلُّ عاقِلٍ عَفيفٍ وَيَهوَى جسمَهُ كلُّ فاسِقِ
١٠٢	الوافر	أيَدْري الرَّبْعُ أيَّ دَمٍ أراقَـا وَأيَّ قُلُوبِ هذا الرّكْبِ شَاقَا
١٠٢	الوافر	لَنَا ولأهْلِهِ أبَداً قُلُـــوبٌ تَلاقَى في جُسُــومٍ ما تَلاقَى
١٠٩	الطويل	على ذا مضَى النّاسُ اجتماعٌ وفُرْقَةٌ ومَيْتٌ ومَوْلُـــودٌ وقالٍ ووامِقُ
١١٠	الكامل	أرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلي يَـــأرَقُ وَجوًى يَزيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ
١١٢	الطويل	تذَكّرْتُ ما بَينَ العُذَيبِ وَبَارِقِ مَجَرَّ عَوَالينَا وَمَجْرَى السّــوَابِقِ
١١٤	الكامل	وَعَذَلْتُ أهْلَ العِشْقِ حتى ذُقْتُهُ فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ
١٥٤	الطويل	إذا ما لَبِسْتَ الدّهْرَ مُستَمتِعاً بهِ تَخرّقْتَ وَالمَلْبُوسُ لم يَتَخرّقِ
١٥٣	الطويل	وَأقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى إلى البَحرِ يَسعى أمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي
		قافية الكاف
١١	الوافر	وَآمَنّا فِداءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَلَوْ كانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مِلاكَا
٢١	الطويل	تَحَاسَدَتِ البُلْدانُ حتى لوَ انّها نُفُوسٌ لَسارَ الشّرْقُ والغرْبُ نحوَكا
٣٤	الوافر	وكم طَرِبِ المَسامعِ ليس يَدري أيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائي أمْ عُلاكَا
١٠١	البسيط	بكَيتُ يا رَبْعُ حتى كِدْتُ أُبكيكَا وجُدْتُ بي وبدَمعي في مَغانيكَا
١٠٣	الوافر	وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كلّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ البَشَامَةَ وَالأرَاكَا
		قافية اللام
١٢٠	الزجر	فوق الخمـــــاسي قليلاً يفضله أدرك عقلاً والرهان عمـــله
١٢١	الطويل	وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل

القافيـــة	البحر	الصفحة
يَرُدُّ أبو الشّبلِ الخَميسَ عنِ ابنِهِ ويُسْلِمُهُ عِندَ الوِلادَةِ للنّملِ	الطويل	١٢٤
ألا لَيسَتِ الحاجاتُ إلاّ نُفُوسَكمْ وَلَيسَ لَنا إلاّ السّيوفَ وَسائِلُ	الطويل	٢٠
كأنّ المَـوْتَ لم يَفْجَعْ بنَفْسٍ و لم يَخْطُرْ لمَخلُوقٍ بِبَـــالِ	الوافر	٧٣
وَلَقَدْ رُمْتَ بالسّعادَةِ بَعْضاً من نُفُوسِ العِدى فأدركتَ كُلاّ	الخفيف	١٢
شَريكُ المَنَايَا وَالنّفُوسُ غَنيمَةٌ فَكُلُّ مَمَاتٍ لم يُمِتْهُ غُلُولُ	الطويل	١١
وأشرَفُ فاخِرٍ نَفْساً وقَوْماً وأكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمّاً وخالا	الوافر	١٢
ووَيْلٌ لنَفسٍ حاوَلَتْ منْكَ غرّةً وَطُوبَى لعَينٍ سَاعَةً منكَ لا تخلو	الطويل	١٢
حتى وَصَلْتُ بنَفْسٍ ماتَ أكثرُها وَلَيْتَني عِشْتُ مِنْهَا بالّذي فَضَلا	البسيط	٢٣
مُتَشابِهُو وَرَعِ النّفُوسِ كَبيرُهم وصَغيرُهمْ عَفُّ الإزارِ حُلاحِلُ	الكامل	١٤
إذا العَرَبُ العَرْباءُ رَازَتْ نُفُوسَها فأنْتَ فَتَاهَا وَالمَليكُ الحُلاحِلُ	الطويل	١٤
كأنّ نَفْسَكَ لا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إلاّ وَأنْتَ على المِفضَالِ مِفضَالُ	البسيط	١٥
أطابَ النّفسَ أنّكِ مُتِّ مَوْتاً تَمَنّتْهُ البَوَاقي والخَوَالي	الوافي	١٥
ومَنْ كانَ ذا نَفسٍ كنَفسكَ حرّةٍ فَفيهِ لها مُغْنٍ وفيها لَهُ مُسلِ	الطويل	١٧
أجْرِ الجِيادَ على ما كنتَ مُجرِيَها وخُذْ بنَفْسكَ في أخْلاقِكَ الأُولِ	البسيط	١٧
قالَتْ فَلا كَذَبَتْ شَجاعَتُهُ أقْدِمْ فنَفْسُكَ مَا لهَا أجَلُ	الكامل	١٧
وَلَوْ لم تَسرْ سِرْنَا إلَيكَ بأنْفُسٍ غَرائِبَ يُؤثِرْنَ الجِيادَ على الأهلِ	الطويل	١٩
وَفي كُلِّ نَفْسٍ ما خَلاهُ مَلالَةٌ وَفي كُلِّ سَيفٍ ما خَلاهُ فُلُولُ	الطويل	١٩
وَمَنْ لم تُعَلّمْهُ لكَ الذّلَّ نَفْسُهُ منَ النّاسِ طُرّاً عَلّمَتْهُ المَناصِلُ	الطويل	٢٠
تَجْرِي النّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً مِنهَا عُداةٌ وَأغْنَامٌ وَآبَالُ	البسيط	٢١
في خَميسٍ مِنَ الأُسودِ بَئيسٍ يَفْتَرِسْنَ النّفُوسَ وَالأمْوَالا	الخفيف	٢٢
وَإنّا لَنَلْقَى الحادِثاتِ بأنْفُسٍ كَثيرُ الرّزايا عندَهنّ قَليلُ	الطويل	٢٣
وَلَذيذُ الحَيَاةِ أنْفَسُ في النّفْـــ ـــسِ وَأشهَى من أنْ يُمَلّ وَأحْلَى	الخفيف	٢٩
أمِطْ عَنكَ تَشبيهي بمَا وَكَأنّهُ فَمَا أحَدٌ فَوْقي وَلا أحَدٌ مِثْلي	الطويل	٣٥
ذَريني أنَلْ ما لا يُنَالُ مِنَ العُلَى فصَعْبُ العلى في الصّعبِ وَالسهلُ في السهلِ	الطويل	٣٦

القافيـــة		البحر	الصفحة
لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمّلاتٍ	ولكِنْ كَيْ يصنّ بهِ الجــــَمَالا	الوافر	٩٧
ولِذا اسمُ أغطِيَةِ العُيُونِ جُفُونُها	مِنْ أنّها عَمَلَ السّيُوفِ عَوامِلُ	الكامل	١٠١
متى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارَتَهَا	لا يُتْحِفُوكَ بغَيرِ البيضِ وَالأسَلِ	البسيط	١٠٣
في الخَدّ أنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحيلا	مَطَرٌ تزيدُ بهِ الخُدودُ مُحُولا	الكامل	١٠٧
فكانَ مَسيرُ عيسهِم ذَمِيــلاً	وسَيْرُ الدّمْعِ إثْرَهُمُ انهِمالا	الوافر	١٠٧
أحْيَا وَأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَـــلا	وَالبَينُ جارَ على ضُعْفي وَمَا عَـدَلا	البسيط	١٠٨
بمَا بجفْنَيْكِ من سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً	يهوَى الحيَاةَ وَأمّا إنْ صَدَدتِ فَلا	البسيط	١٠٩
مَلُولَةٌ ما يَدومُ لَيسَ لَها	مِنْ مَلَلٍ دائِمٍ بِهَا مَلَلُ	الخفيف	١١٠
لَيَاليّ بَعْدَ الظّاعِنِينَ شُكُــــولُ	طِوالٌ وَلَيْلُ العاشِقينَ طَويلُ	الطويل	١١١
كأنّ سُهادَ اللّيلِ يَعشَقُ مُقلَتي	فبَيْنَهُما في كُلّ هَجْرٍ لنا وَصْلُ	الطويل	١١١
لا الحُلْمُ جادَ بِهِ وَلا بمِثالِهِ	لَوْلا ادّكارُ وَدَاعِـهِ وزِيَالِهِ	الكامل	١١٣
إلامَ طَماعِيَةُ العـــاذِلِ	ولا رأيَ في الحُبّ للعاقِلِ	المتقارب	١١٣
لأكْبُتَ حاسِداً وأرَى عَدُوّاً	كأنّهُما وَداعُكَ والرّحيلُ	الوافر	١٤٠
كأنّ خَلاصَ أبي وائِلٍ	مُعاوَدَةُ القَمَرِ الآفِلِ	المتقارب	١٤١
بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ	وفاحَتْ عَنْبَراً ورَنَت غَزالا	الوافر	١٤٢
إنّمَا أنْفُسُ الأنيسِ سِبَاعٌ	يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيالا	الخفيف	١٤٢
ويَبقَى على مَرّ الحَوادِثِ صَبرُهُ	ويَبدو كمَا يَبدو الفِرِنْدُ على الصّقلِ	الطويل	١٤٣
وَإذا اهْتَزّ للنّدَى كانَ بَحراً	وَإذا اهْتَزّ للرّدَى كان نَصْلا	الخفيف	١٤٣
إذا كانَ بَعضُ النّاسِ سَيفاً لدَوْلَةٍ	فَفي النّاسِ بُوقاتٌ لَهَا وطُبُولُ	الطويل	١٤٤
فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ	فإنّ المسكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ	الوافر	١٤٥
وإذا تَعَثّرَتِ الجيادُ بسَهْلِهِ	بَرّزْتُ غَيرَ مُعَثَّرٍ بحبَالِهِ	الكامل	١٤٨
خَرَجنَ منَ النّقْعِ في عارِضٍ	ومنْ عرَقِ الرّكضِ في وابلِ	المتقارب	١٤٩
ما كانَ نَوْميَ إلاّ فَوْقَ مَعْرِفَتي	بأنّ رَأيَكَ لا يُؤتَى مِنَ الزَّلَلِ	البسيط	١٤٩
وأنْتَ مِنْهُمْ رَبيعَ السّباعِ	فأثْنَت بإحسانِكَ الشّامِلِ	المتقارب	١٥١

القافيــــة	البحر	الصفحة
وَأخٍ لَنَا بَعَثَ الطّــلاقَ أَلِيّةً لأُعَلّلَنّ بِهَذِهِ الخُرْطُــــــوم	الكامل	٩٣
ومَنْ خَبرَ الغَواني فالغَواني ضِياءٌ في بَواطِنِه ظَلامُ	الخفيف	٩٤
إذا كانَ مَدحٌ فالنّسيبُ المُقَدَّمُ أكُلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعراً مُتَيَّمُ	الطويل	٩٥
نَرَى عِظَماً بالبَينِ والصّدُّ أعظَمُ ونَتّهِمُ الواشِينَ والدّمْـــعُ مِنْهُمُ	الطويل	١٠١
وَيُضْحي غُبارُ الخَيلِ أدنَى سُتُورِهِ وآخِرُها نَشْرُ الكِبـاءِ المُلازِمُهْ	الطويل	١٠٣
حَبيبٌ كأنّ الحُسنَ كانَ يُحِبـهُ فآثَرَهُ أوْ جارَ في الحُسنِ قاسِمُهْ	الطويل	١٠٣
فَلا يَتَّهِمْني الكاشِحونَ فإنّني رَعَيتُ الرّدى حتى حَلَتْ لي علاقمُهْ	الطويل	١٠٩
أرْوَاحُنَا انهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعدَهَا من بَعدِ ما قَطَرَتْ على الأقدامِ	الكامل	٢٠
دِيارُ اللّواتي دارُهُنّ عَزيزَةٌ بِطُولَى القَنا يُحفَظنَ لا بالتّمائِمِ	الطويل	١٠٣
مُتَلاحِظَينِ نَسُحُّ مَاءَ شُؤونِنَا حَذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ في الأكْمَــامِ	الكامل	١٠٧
بَلَلْتُ بها رُدْنَيَّ والغَيمُ مُسْعِدي وعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وفي عَبرَتي دَمُ	الطويل	١٠٨
قَد كُنْتَ تَهْزَأُ بالفِــــراقِ مَجَانَةً وَتَجُرّ ذَيْلَيْ شِرّةٍ وَعُرَام	الكامل	١٠٨
أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللّوائِمِ عَلِمتُ بما بي بَينَ تلكَ المَعالِمِ	الطويل	١٠٩
يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ	البسيط	١١٥
وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ	الخفيف	٣٨
أيْنَ أزْمَعْتَ أيّهذا الهُمامُ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وأنتَ الغَمامُ	الخفيف	١٤٠
وَإذا أشَارَ مُحَدّثاً فَكَأنّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ	الكامل	١٤٥
وَمُرْهَفٍ سرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ حتى ضرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ	البسيط	١٤٧
تَسَاوَت بهِ الأقْطارُ حتى كأنّهُ يُجَمِّعُ أشْتاتَ الجِبالِ ويَنْظِمُ	الطويل	١٤٧
صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ	البسيط	١٤٨
وأحسَنُ مِنْ ماءِ الشّبيبَةِ كُلّهِ حَيَا بارِقٍ في فازَةٍ أنا شائِمُهْ	الطويل	١٥١
سلَكتُ صُروفَ الدّهرِ حتى لقيتُهُ على ظَهرِ عَزْمٍ مُؤيَداتٍ قَوائِمُهْ	الطويل	١٥١
تَعَرّضَ سَيْفُ الدّولَةِ الدّهرَ كلّهُ يُطَبِّقُ في أوصالِهِ وَيُصَمِّمُ	الطويل	١٥٢
خميسٌ بشرْقِ الأرْضِ وَالغرْبِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوْزَاءِ منهُ زَمَازِمُ	الطويل	١٥٤

المراجع

١. أبو الطيب المتنبي . دراسة نحوية ولغوية للدكتور / محمد عزت عبد الموجود .
٢. أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي للدكتور ريجبيس بلا شير ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني ، ط دار الفكر .
٣. أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين للدكتور / مصطفى الشكعة ، ط دار عالم الكتب .
٤. أبو الطيب المتنبي لجوزيف الهاشم ، ط دار الشرق الجديد .
٥. أبو الطيب المتنبي لمحمد كمال حلمي بك ، ط مكتبة سعد الدين .
٦. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي للدكتور عبد القادر فيدوح ، ط دار صفاء للنشر والتوزيع .
٧. إمبراطور الشعراء للدكتور عائض القرني ، ط مكتبة العبيكان .
٨. بين الأنا والآخر في مدحيات المتنبي للدكتور عبد اللطيف الحديدي ، ط دار السعادة للطباعة .

٩. تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي ، اختصار أبي المرشد سليمان بن علي المعري ، تحقيق د. مجاهد محمود الصواف ود. محسن غياض عجيل ، ط دار المأمون للتراث .
١٠. التفسير النفسي للأدب للدكتور / عز الدين إسماعيل ، ط مكتبة غريب .
١١. الحركة النقدية حول شعر المتنبي للدكتور / زكريا سعيد علي ، ط دار الثقافة العربية .
١٢. حقيقة النقد الثقافي للدكتور / مصطفى عبد الواحد
١٣. الحكمة في شعر المتنبي للدكتور / حسن علي قرعاوي ، ط دار عمار .
١٤. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة .
١٥. خلاصة المتنبي للدكتور / عبد المجيد دياب ، ط دار سعاد الصباح .
١٦. الديوان ، شرح البرقوقي ، ط دار الكتاب العربي ببيروت
١٧. ديوان أبي الطيب المتنبي للدكتور عبد الوهاب عزام ، منشورات دار الشريف الرضي .
١٨. ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ، ط دار المعارف بمصر
١٩. رؤية نفسية لروائع مختارة من الشعر العربي للدكتور / محمود محمد ميلاد ، ط دار عمار
٢٠. سنوات ضائعة من حياة المتنبي لهادي محمد الخفاجي ، ط شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .
٢١. شرح ديوان أبي الطيب لأبي العلاء المعري ، تحقيق د. عبد المجيد دياب ، ط دار المعارف
٢٢. شرح ديوان أبي الطيب لمصطفى سبيتي ، ط دار الكتب العلمية .
٢٣. شرح شعر المتنبي لابن الإفليلي ، دراسة وتحقيق مصطفى عليان ، ط مؤسسة الرسالة .
٢٤. شرح مشكل شعر المتنبي لعلي بن سيدة الأندلسي ، تحقيق الدكتور / محمد رضوان الداية ، ط دار المأمون للتراث .

٢٥. الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط دار الحديث بالقاهرة .

٢٦. الصبح المنبي للشيخ يوسف البديعي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف .

٢٧. الصورة الفنية في شعر المتنبي للدكتور / منير سلطان ، الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية .

٢٨. علم نفس الأدب للأستاذ الدكتور / مصري عبد الحميد حنورة ، ط دار غريب .

٢٩. العوامل السياسية في شعر المتنبي لعصام السويفي ، ط دار الفكر اللبناني .

٣٠. فن المتنبي بعد ألف عام لإبراهيم العريض ، ط دار العلم للملايين .

٣١. في الميزان الجديد لمحمد مندور ، ط مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة .

٣٢. في الميزان الجديد لمحمد مندور طبعة مكتبة نهضة مصر الطبعة الثالثة .

٣٣. القصيدة العباسية قضايا واتجاهات للدكتور / عبد الله العطاوي ، ط دار غريب .

٣٤. قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني ، لأيمن محمد زكي العشماوي ، ط دار النهضة العربية ، بيروت .

٣٥. قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث للدكتور / عبد الله أبو هيف ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

٣٦. كافوريات أبي الطيب للدكتور نعمان القاضي ، طبعة مركز كتب الشرق الأوسط

٣٧. لغة الحب في شعر المتنبي للدكتور / عبد الفتاح صالح نافع ، ط دار الفكر .

٣٨. المبهات ودلالاتها الأسلوبية في شعر المتنبي لحميدة مناع العنزي ، الناشر : رابطة الأدباء في الكويت .

٣٩. المتنبي " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " للشيخ محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة .

٤٠. المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس للدكتورة / نورة الشملان ، ط دار مصر .

٤١. المتنبي دراسة جديدة لحياته وشخصيته للدكتور إبراهيم عوض .

٤٢. المتنبي فارس الكلمة لعبد المحسن علي المطلق ، ط دار العلم للنشر .

٤٣. المتنبي في مصر للدكتور / كمال عبد الباقي لاشين ، مطبعة الحسين الإسلامية .

٤٤. المتنبي للدكتور / سمير محمد كبريت ، ط دار المعرفة ببيروت .

٤٥. المتنبي للدكتور / محمد حمود ، ط دار الفكر اللبناني .
٤٦. المتنبي للدكتور بكري شيخ أمين ، ط دار العلم للملايين .
٤٧. المتنبي للدكتور زكي المحاسني ، ط دار المعارف بمصر .
٤٨. المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس للدكتور محمد التونجي ، ط عالم الكتب .
٤٩. المثال والتحول في شعر المتنبي وحياته للدكتور / جلال الخياط ، ط دار الرائد العربي ببيروت
٥٠. مجلة المورد العراقية ، ج٦ ع٣ ، ١٣٩٧هـ
٥١. مطالعات في الكتب و الحياة للعقاد ، ط دار المعارف في مصر .
٥٢. مع شعراء الأندلس والمتنبي لإميليوغرسيه غومث ، نقله على العربية د. الطاهر أحمد مكي ، ط دار المعارف .
٥٣. المعجم المفصل في الأدب للدكتور / محمد التونجي ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .
٥٤. مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي للدكتور / سعد إبراهيم شلبي ، ط مكتبة غريب .
٥٥. موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري للدكتور / زهدي صبري الخواجا ، ط منشورات دار صبري للنشر .
٥٦. النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام لأبن المستوفي ، تحقيق الدكتور / خلف نعمان ، ط دار الشؤون الثقافية ببغداد .
٥٧. النقد الثقافي لعبد الله الغذامي ، ط المركز الثقافي العربي .
٥٨. الواضح لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، ط الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦م .
٥٩. الواضح للأصفهاني ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، ط الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م .
٦٠. الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، ط المكتبة العصرية .
٦١. وفيات الأعيان ، لابن خلكان تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت .

٦٢. يتيمة الدهر للثعالبي ، ط دار الكتب العلمية ببيروت .